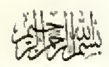
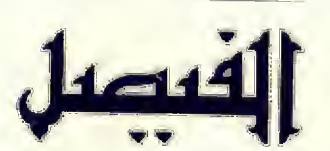


مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٣٤ - ربيع الآخر ١٤٢٥هـ - يونيو ٢٠٠٤م

ALFAISAL MAGAZINE - NO. 334 - JUN. 2004

- الثقافة في زمن العولمة
- الشبه بين الحروب الصليبية والحركة الصهيونية
- دور الروضة في تطور شخصية الطفل





مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٣٤ - ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ - يونيو ٢٠٠٤م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 334 JUN. 2004

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن امكن. أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر عن عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف
- اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات . الكويت ٦٥٠ فلس . الإمارات ٧ دراهم . قطر ٧ ريالات . البحرين ٧٥٠ فلس . عُمان ٧٥٠ بيسة . الأردن ٥٠٠ فلس . اليمن ٦٠ ريالاً . مصر جنيهان . السودان ٧٠ ديناراً . المغرب ٨ دراهم . تونس دينار واحد . الجزائر ٨٠ ديناراً . العراق ٤٠٠ فلس . سورية ٢٠ ليرة . ليبيا ٨٠٠ درهم . موريتانيا ١٠٠ أوقية . الصومال ٢٠٠٠ شلن . جيبوتي ١٥٠ فرنك . لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية . الباكستان ٢٠ روبية . المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية . الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع . هاتف:٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١). مصر . مؤسسة توزيع الأهرام . شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ . فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢... سورية . المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١. ٠٠٩٦٣، تونس . الشركة التونسية للصحافة . ٣نهج المغرب . ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ . ٧١ . ٠٠٢١٦، قطر . دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع . ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤، الأردن . شركة وكالة التوزيع الأردنية . ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ . فاكس ٤٦٣٥١٥٢ . ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين . مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٥٣١٢٨١ . ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة . مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١، الكويت . شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٠٠٩٦٥، المغرب . الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ . ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية . القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ . ٣ . ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧



الرقم المجاني ٨٠٠١٢٤٠٠٢٨





الثقافة في زمن العولمة

الثقافة استحضار للهوية دون نفي الآخر، هذا الآخر الذي ليس متماثلاً أو واحداً، بل فيه المستعبِد والمستبِد، كما أن فيه المدافع عن القيم والحرية. هذا الآخر ليس كله خيراً أو شراً، لأنه ينتمي إلى مجتمع وحضارة لهما هويتهما وقيمهما ونمط عيشهما، أي لهما ثقافة خاصة.

فكيف يستطيع كل مجتمع الحفاظ على هويته المتميزة، وفي الوقت نفسه يستطيع التفاعل مع الآخرين؟

إدارة التحرير.

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١.

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ . ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،

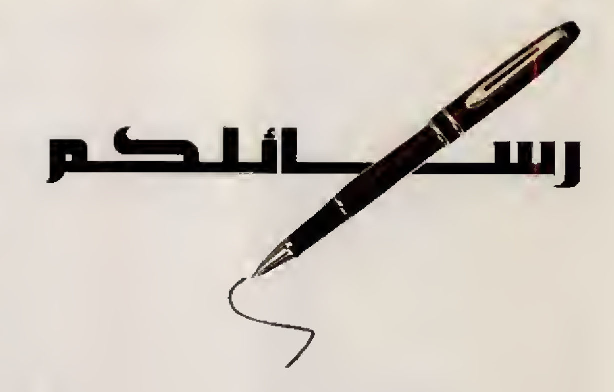
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ . ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ . ٠٢٥٨



استطلاع

أود أن أشكر لكم اهتمامكم برسائل القراء حتى ثبت أن الفيصل جديرة بالاحترام والتقدير، وهذا ليس مجاملة على الإطلاق، بل الحق أحق أن يقال، وأود أن أعلمكم أني قمت بإعداد استطلاع عن إحدى المدن المنسية في جمهورية مصر العربية لها تاريخ وماض عريقان، لكن أغفل دورها التاريخي، وهي غير معروفة بين الناس على الرغم من شهرتها في التاريخ القديم والوسيط، والحديث. لذلك أتوجه إليكم بالرد عليَّ وقبول هذا الاستطلاع مع العلم أني طالب بجامعة عين شمس، والاستطلاع موثق، وبه صور خرائط ومخطوطات وأماكن ربما لم تنشر من قبل وقد راجعه أساتذة بجامعة عين شمس، وجامعة الأزهر أرجو الرد عليَّ في أقرب وقت ممكن، وكيف يمكن إرسال الاستطلاع مع ضمان وصوله إلى أسرة التحرير. وهل لكم مندوب في مصر أم لا؟

وسوف أراسلكم على الدوام بالأخبار الثقافية من مؤتمرات وندوات وافتتاح معارض، وإصدارات كتب حديثة، أقوم حاليًا بإعداد خطة لإصدار كتاب حديث عن إحدى المدن المصرية .. وسوف ينشر في سبتمبر القادم إن شاء الله.

وفقكم الله لما يحبه ويرضاه إنه نعم المولى ونعم النصير.

هاني مشرف علي وهيب

الجيزة ـ مصر

التحرير:

اهتمام المجلة برسائل قرائها أمر طبيعي؛ لأنهم هم المستهدفون بما تقدمه من زاد ثقافي، ولا يمكن لمجلة أن تقوم بدورها من غير أن تتزود بآراء قرائها الكرام.

ونفيدكم أن إرسال المواد إلى المجلة يتم مباشرة من الكاتب إلى عنوان المجلة الموضح في صفحتها الثالثة، ونرحب باستطلاعكم الذي نتمنى أنه يأتي مستوفيًا لشروط النشر من حيث أهمية موضوعه وجدته، وتوافر الصور التوضيحية الداعمة له.

ونتمنى لك التوفيق في نشاطك العلمي.

رائعة ... ولكن!

فلي الشرف العظيم أن أكاتبكم للمرة الأولى بعد أن اطّلعت أخيرًا على أحد أعداد مجلتكم الفائقة الروعة.

وبمجرد نظرتي الأولى إلى غلاف المجلة الملون أيقنت أن فحوى صفحاتها عظيم، وبالفعل لم يخب ظني، فقد وجدتها المجلة العربية التي يحتاج إليها وطننا العربي والإسلامي كله.

وهذا الإعجاب الشديد حتّم عليَّ القيام بتوزيعها على زملائي بالجامعة؛ لأنها خير مجلة مفيدة لهم، وهذا ما أفعله.

بيد أنني أعتقد أن قيمة جوائز المسابقة قليلة جدًا وأرجو أن ترصد لها بعض الجوائز القيمة حتى تزداد صلة القراء بالمجلة متانة وحتى تجد المجلة الشهرة والانتشار الواسعين.

أرجو أن يلاقي اقتراحي هذا القبول لديكم، وأن يكون مفيدًا ماديًا لمتابعي المجلة خارج الوطن العربي.

وقبل الختام أنقل إليكم تحيات جميع زملائي الدارسين معي بالجامعة

مهنا خليل آل حسين

كازاخستان

التحرير:

نشكر لك إطراءك، وقيامك تطوعًا بتوزيع المجلة على زملائك، ويسعدنا أن نكسب صديقًا وفيًا، كما يهمنا أن يهتم شبابنا بالكلمة المقروءة في ظل سيطرة ثقافة الصورة.

أما بخصوص المسابقة، فقد أوضحنا من قبل أننا بصدد إعادة النظر فيها شكلاً ومضمونًا، ولا شك أن الجوائز وقيمتها وطريقة توزيعها من أهم جزئيات التطوير المنتظر، نشكر لك مرة أخرى.

لماذا؟

أواجه مشكلة كبيرة في الحصول على أعداد المجلة في المكتبات، بينما نجد مجلات أقل شأنًا من «الفيصل» تحتل أماكن بارزة في تلك المكتبات.

لا أعرف سبب هذا الغياب، والأغرب أنني وجدت بقالة تعرض عددًا من المجلة صادرًا منذ أكثر من عام، وهو في حالة سيئة، ولم أدر سبب إصراره على عرض هذا العدد، وعندما سألت البائع لم أجد مسوغًا.

ومع أنني أحصل على المجلة شهريًا من بعض مكتبات وسط المدينة بعد جهد جهيد، إلا أن وجودها في الأحياء يساعد حتمًا على توفير وقتنا، ويحقق لها الانتشار في ظل ما تعرفونه من منافسة شديدة، فلماذا تحرموننا من مجلتنا الحبيبة؟

عمرو نبيل محمد أحمد

جدة ـ السعودية

التحرير:

نشكر لك هذا الاهتمام، ونتمنى علاج مشكلات التوزيع في القريب، حتى تصبح المجلة في متناول قرائها الأعزاء، ويسعدنا تلقي مثل هذه الملاحظات التي تعيننا على وضع حلول مناسبة عاجلة.

الوجه الآخر لإفريقية

لقد أسعدنا التطور الفني لمجلتنا «الفيصل»، وما تزخر به من تنوع في مادتها التحريرية، ونتطلع إلى المزيد من الاهتمام بالاستطلاعات المصورة التي تعطينا صورًا ذهنية عن الأماكن التاريخية والمدن ذات العراقة.

وأتمنى أن تتوغل المجلة في أدغال إفريقية لتنقل لنا صورًا من الحياة في البلدان الإفريقية التي تتمتع بطبيعة متفردة إلا أن المشكلات والحروب أصبحت تطغى على صورتها، حتى ارتبطت بالجوع والفقر، بينما هناك جانب مشرق ينبغي تسليط الضوء عليه.

وليتكم تبدؤون باستطلاعات عن كينيا الساحرة، ونيجيريا التي تعد أكبر دولة إفريقية مساحة وسكانًا، والسنغال التي أدهشت العالم بتجربتها الديمقراطية.

القارئ السنغالي

عثمان سيس

الرياض ـ السعودية

التحرير

نشكر لك هذا الرأي الدال على حرصك على المجلة، ونتمنى أن نتمكن من تنفيذ استطلاعات حية عن قلب إفريقية تعكس بصدق واقعها بكل ما يتضمنه من حقائق.

ردود سريعة

الأخ مالك نصر الصالح ـ حمص ـ سورية:

نعتذر لك عن عدم نشر قصيدتك «افخر وحق لك الفخار» لكثرة ما لدينا من قصائد في الاتجاه ذاته، ولقد حاولنا الاتصال عليك في البريد الإلكتروني الموضح في رسالتك، ولكن تعذّر ذلك، آملين أن نتلقى أعمالاً أخرى تكون أكثر حظًا في النشر.

الأخوان هادي مغيث ـ حضرموت ـ اليمن، محمد نبيه سليمان خطاب ـ محافظة الغربية ـ مصر:

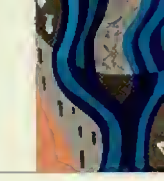
نشكر لكما إطراءكما وحرصكما على اقتناء المجلة، ونشكر لكما اقتراحاتكما التي ستكون محل اهتمامنا، وفي انتظار مشاركاتكما، ونأمل أن نكون عند حسن ظن جميع الإخوة القراء.

الأخ علي صالح يحيى القادري ـ صنعاء ـ اليمن:

لقد وصلتنا رسالتك الرقيقة التي نشكرك على ما فيها من إطراء، ونحمد الله أن انتظم وصول المجلة إليكم، وسيظل التطور في المجلة مستمرًا بفضل آراء قرائنا التي نعتزّ بها لما تعبر عنه من تواصل حميم وحرص على التجديد.

الأخ يوسف عبدالكريم عبدالجليل ـ البحيرة ـ مصر:

شرف كما قلت أن تحمل هذه المجلة اسم «الفيصل»، وهذا ما يقتضي أن تكون على المستوى المأمول دومًا، وهذا الشعور الذي عبرت عنه هو ما يجعلنا نتلمس آراء أمثالك من القراء، ونتمنى لك التوفيق في دراستك لتكون أحد المنافحين عن اللغة العربية.





الحرف والصناعات التقليدية فـــ

...ي تنومة بني شهر

صالح بن علي أبو عرّاد

أبها ـ السعودية

تُعد الصناعات المحلية والحرف اليدوية من أقدم المهن التي تُمثل في مجموعها نمطاً من أنماط التُراث الشعبي الذي عرفته البشرية. وقد مارس هذه الصناعات والحرف قطاعٌ كبير من الناس في أماكن وأزمان مختلفة. وبما أن هذه الصناعات المحلية والحرف اليدوية "تُعدّ محوراً مهماً في فن التُراث الشعبي. وهو ما يكوِّن التراث المادي الذي يُقَسّم إلى قسمين رئيسين هما: الحِرف، والصناعات التقليدية".

فإن هناك عدداً من الصناعات المحلية والحِرف اليدوية التي كانت قد عُرفت وراجت قديماً، ثم توقفت فترةً من الزمن وذلك لاستغناء الناس عنها وعدم الحاجة إليها، إضافةً إلى عدم مواكبتها للمعطيات الحضارية المتطورة التي تنعم بها مجتمعاتنا المعاصرة، وليس هذا فحسب؛ فهناك أسباب أُخرى كثيرة يأتي من أبرزها «مزاحمة الصناعات الأجنبية لها من حيث الجودة ورخص الأسعار، وهجرة الحرفيين من أبناء البلاد إلى أعمالٍ أُخرى لسهولة هذه المهن الجديدة وعائدها المُجزي».

وعلى الرغم من ذلك؛ فقد عادت بعض هذه الصناعات والحرف القديمة مرةً أُخرى إلى الظهور، وما زال بعضها يُمارس إلى الآن على نطاقٍ ضيقٍ جداً، خصوصًا في بعض المناسبات الوطنية والمهرجانات التُراثية التي تهتم بهذا الشأن، وتعُد هذه الصناعات والحرف شكلاً من أشكال هوية المجتمع وتُراثه الذي لا ينبغي إهماله أو تناسيه أو التفريط فيه.

من هنا فإن هناك عدداً من الصناعات المحلية والحرف اليدوية التي عُرفت قديماً في مدينة (تُنومة بني شهر) وما حولها من القرى في المنطقة الجنوبية من المملكة العربية السعودية، وهي في مجموعها صناعاتٌ محليةٌ وحرفٌ تقليديةٌ تمتاز بأنها «لا تعتمد على الآلة الحديثة؛ وإنما تعتمد في المقام الأول على بعض الخامات الموجودة في البيئة نفسها؛ إضافةً إلى مهارة اليد البشرية وإبداعها، وبعض الأدوات والوسائل التقليدية البدائية التي كانت تُسَخَّرُ جميعها لغرض تأمين احتياج الأهالي قديماً من بعض الضروريات التي لا غنى عنها في حياتهم البسيطة (آنذاك)».

أهمية الحِرف والصناعات التقليدية في تُنومة

تنطلق أهمية هذه الحرف والصناعات التقليدية في مدينة تُنومة وما حولها من كونها ـ كما يُشير إلى ذلك أحد الباحثين ـ «كانت أحد المصادر التي يقتات منها عددٌ كثيرٌ من الناس، كما أنها كانت من الأعمال الضرورية التي يستلزم مزاولتها على المستويين الفردي والجماعي، وذلك للحاجة الماسة لما يتم إنتاجه منها». ولذلك فإن هذه الحرف والمهن والصناعات المختلفة قد حظيت بعناية واهتمام فئةٍ من الحرفيين والصُنّاع الذين استثمروا حاجة المجتمع الماسة إلى ما تُنتجه صناعاتهم وحرفهم فاهتموا بها وعلموها أبناءهم؛ وهذا ما نتج منه المحافظة عليها

وتطورها إلى حدٍ ما، وزيادة الإقبال عليها حتى إنها حققت في الفترة الزمنية الماضية ما يُمكن أن يُسمى بالاكتفاء الذاتي لذلك المجتمع.

أنواع الحرف والصناعات التقليدية في تُنومة

تتعدد أنواع الحرف والصناعات التقليدية في تُنومة، وتختلف باختلاف حاجات الإنسان والمجتمع وظروف الحياة اليومية، ولذلك فقد تم تقسيم ما أمكن ذكره في هذه العُجالة إلى عشرة أنواعٍ رئيسةٍ هي:

أولاً - صناعة الأدوات المنزلية: وهي صناعة تعتمد على المواد والعناصر الطبيعية المتوافرة في المنطقة كالأخشاب، والحديد، والتربة الطينية، وبعض أنواع الجلود، والأصواف، والصخور، ونحوها من الخامات الطبيعية المحلية. ويشمل هذا النوع عدداً من الصناعات التي منها:

أ - الأدوات المنزلية الفخارية: وهي أدواتٌ تُصنع من بعض أنواع التربة الطينية التي توجد في أماكن معينة مثل: وديع، ورهو المدار، وآل زخران وغيرها. وتمرُ صناعة هذه الأدوات بمراحل وخطوات معينة حتى تصل إلى الشكل النهائي الذي يمكن معه الإفادة منها واستخدامها في الحياة اليومية. ومن هذه المواد ما يأتي:

(البُرْمَة)، وهي عبارة عن إناءٍ فخاري كان يُستخدم قدراً للطبخ يُصنع بأحجامٍ مُختلفةٍ حسب الاحتياج. و(الكُوز أو الزير) الذي كان بمنزلة الإناء الذي يُستخدم لحفظ مياه الشرب وتبريدها. و(المِجْمَر) الذي كان يُستخدم كمبخرة، و(الكَانُون) الذي يوضع فيه الجمر ثم يستخدم للتدفئة في المنازل، وقد يُستفاد منه في تسخين بعض المشروبات كالقهوة والشاي والقرفة والقشر ونحوها. و(التَّنور) الذي يُشبه الفرن ويُستخدم لصناعة الخبز منزلياً، ويسمى محلياً (المِيفَا).

ب - الأدوات المنزلية الخشبية: وهي أدواتٌ تُصنع من بعض أنواع الأخشاب التي تكثُر أشجارها المختلفة في المنطقة. وعادةً يُختار لها أنواع جيدة من الأشجار المتوافرة في البيئة مثل: شجر الغَرَب وشجر العِتم اللذين يمتازان بالصلابة. ويصنع من أخشابهما بعض الأدوات التي تُستخدم في أغراضٍ مختلفة منها:

(الصَّحْفَة)، وهي إناء عريضٌ يُشْبه الصحن يوضع فيه الطعام، ويختلف حجمه وسعته، و(المِقْدَح) وهو إناءٌ تُغرف به السوائل وقد تُشرب فيه. و(المدّ) الذي تُكال به الحبوب والتمور وغيرها من الأطعمة. ومن هذه الأدوات (الهَاون) الذي هو إناء توضع فيه حبوب الهيل أو البُن المحمص لدقه وطحنه. كما أنه قد يُستخدم لسحق البارود ويسمى محلياً (المِهرَاس)، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك مهاريس (جمع مهراس) تُصنع من بعض أنواع المعادن.

ج - الأدوات المنزلية المعدنية: وهي أدواتٌ تُصنع من بعض أنواعه المعادن مثل: الحديد أو النحاس، وتُستخدم في أغراض الحياة اليومية المختلفة، ومنها:

(القُدور) التي تُستخدم للطبخ وكان معظمها من النحاس، ولها أحجام وأشكال مختلفة. و(المِلْقَاط) الذي يُستخدم أداةً لالتقاط الجمر. و(المُرَكَّب) وهو أداةٌ توضع القدور فوقها عند الطبخ على النار، وتكون بأحجامٍ مُختلفة، وقد تكون قوائم المُركَّب ثلاثيةً أو رباعيةً. كما أن هناك الصحون النحاسية التي تُقدَّم فيها بعض أنواع الأطعمة. و(الصَاج) الخاص بصناعة الخبز في الغالب. و(المِجْرَفَة) التي يجرف بها الجمر، ويُنقل من مكانٍ إلى

عادت بعض هذه الصناعات والحرف القديمة مرةً أخرى إلى الظهور، وما زال بعضها يُمارس إلى الآن على نطاقٍ ضيق جداً، خصوصًا في بعض المناسبات الوطنيةِ والمهرجانات التُراثية


تحويل الخوص والسعف إلى أدوات لها استخداماتها المختلفة


صناعة الأبواب والشبابيك

آخر. والسكاكين التي تُسمى محلياً (الشِفَار) جمع (شَفْرَة) ومنها أحجامٌ وأشكالٌ مختلفة. و(المِنْزَاع) الذي هو قضيب مستقيم من الحديد الذي يكون أحد طرفيه حاداً ومعقوفاً ليمكن من خلاله نزع اللحم وتقليبه في القدور في أثناء عملية الطبخ.

د ـ الأدوات المنزلية الحجرية: وهي أدواتٌ تصنع من بعض أنواع الصخور الصلبة بعد قطعها وتحديد الأشكال والأحجام المُناسبة منها، ومن هذه الأدوات ما يأتي:

(الرَّحَى) التي تتكون من قطعتين حجريتين دائريتين توضعان بعضهما فوق بعض، وتُستخدمان بطريقةٍ وكيفيةٍ معينتين لطحن الحبوب (ولأهمية هذه الصناعة سوف نتحدث عنها بشيءٍ من التفصيل لاحقاً). و(المُسحُقَة) التي تستخدم لسحق ثمار بعض النباتات العطرية وبذورها التي تُكَوِّن في مجموعها الطيب الخاص بتسريح شعر النساء وتطييبه وتزيينه.

هـ ـ الأدوات المنزلية الجلدية: وهي أدواتٌ تعتمد في صناعتها على جلود الحيوانات بعد دبغها وتجهيزها للاستخدامات المناسبة لكلٍ منها. ومن أمثلتها:

(القِربَة) التي تُصنع بأحجامٍ مختلفة يمكن حملها لتستخدم لنقل الماء من الآبار ومصادر الماء إلى المنزل



تتشابه صناعة الغزل والنسيج في أدواتها وموادها في كثير من مناطق المملكة

وحفظه فيها. و(العُكَّة) التي يُحفظ فيها السمن أو العسل والتي عادةً تكون صغيرة أو متوسطة الحجم نسبياً. و(الشَّكْوَة) التي تُستخدم لمخض الحليب وتحويله إلى لبنٍ وزبد. و(الميزَب) الذي يستخدم كمهدٍ للأطفال، كما يُستخدم لحملهم عند الانتقال من مكانٍ إلى آخر. و(السِّعْن) وهو إناء جلدي تُحفظ فيه حبوب القهوة والهيل. و(الرَّكْوَة) التي تُستخدم لحفظ ماء الشرب القليل، ويكون حجمها أصغر من القربة.

و. الأدوات المنزلية المصنوعة من الخوص والسعف: وهي أدواتٌ كثيرةٌ ومتنوعة تُصنع وتُستخدم للأغراض المُختلفة في الحياة اليومية. ومنها:

(المُلقَا والمِنسَف) وهما إناءان دائريان وغير مُغطيين يستخدمان في العادة لحفظ الخبز وتقديمه للآكلين، وقد يُستخدمان في أغراضٍ أُخرى. و(الجُونَة) وهي إناءٌ دائريٌ مُغطى له أحجامٌ مختلفة يُستخدم لحفظ الخبز أو غيره من الأطعمة، وقد يستخدم لحفظ أغراض أو

أشياء أُخرى حسب الحاجة. و (المِنْصَد) الذي يُستخدم كسفرة يُقدم عليها الطعام، وقد يُقسَّمُ عليها اللحم في المناسبات. و(المِعلاقَة) وهي إناءٌ مغطى يمكن أن تحفظ فيها كميات قليلة من الحبوب التي عادةً تُهدى عند تبادل الزيارات، وتمتاز المِعلاقَة بإمكانية تعليقها. و(الزنابيل) التي عادةً تنقل فيها الحبوب والثمار والأعلاف، وتكون بمختلف الأحجام والأشكال، كما أن لها أيدياً ومقابض يمكن حملها من خلالها. وهي أنواع مختلفة، فمنها الصغير الذي يسمى (المِكْتَل)، ومنها الكبير الذي يُسمى محلياً (المِحْصَل).

كما أن هناك (الفُرُش) جمع (فِرَاش) التي تُصنع من الحصير والتي تُستخدم بُسطاً يفترشونها في المنازل والمساجد وأماكن الجلوس. و(المِظَلة) وهي قبعةٌ واسعةٌ من الخوص يلبسها الإنسان فوق رأسه (ذكراً كان أو أنثى) فتُغطي منطقة الرأس والكتفين في أثناء تأديته للعمل في البيت أو المزرعة، وتُستعمل للحماية من أشعة الشمس الحارقة، أو الوقاية من المطر، وقد تلبسها المرأة عند خروجها من المنزل كنوعٍ من الحشمة والوقار.

ثانياً ـ صناعة الأدوات الزراعية: وهي صناعةٌ تُعنى بمجموع الأدوات التي يستخدمها المزارع في أعمال مزرعته. وتشمل الأنواع الآتية:

أ ـ الأدوات الزراعية الخشبية: وتتمثل في الأدوات المصنوعة من الأخشاب، التي يستخدمها المُزارع في أعمال الزراعة وأغراضها المتنوعة. ومنها:

تتعدد أنواع الحرف والصناعات التقليدية في تُنومة، وتختلف باختلاف حاجات الإنسان والمجتمع وظروف الحياة اليومية

(المِقْرَنَة) وهي أداة خشبية تُصنع بطريقةٍ تسمح لها أن توضع على رقبتي حيوانين واقفين الأول بجوار الآخر فتقرن بينهما في عملٍ واحد، ثم يوصَّل بها أداةٌ أُخرى للحرث أو التسوية أو الدرس. و(اللومَة) وهي الاسم المعروف محلياً للمحراث الخشبي الذي يُصنع بطريقة يمكن معها أن تجره الحيوانات بعد توصيله بالمِقْرَنَة ليشق الطبقة السطحية من التربة بواسطة رأسٍ معدني حاد ومُعدٍ لهذا الغرض. و(المِدْسَم) الذي هو قطعة خشبية عريضة وثقيلة نسبياً، يكون سطحها الداخلي مستوياً تماماً، وبعد أن يتم توصيلها بالمِقْرَنَة تقوم الحيوانات بسحبها على التربة المحروثة فتعمل على تسويتها. و(الرَّزَةَّ، والعَجَلَة، والدَّرَّاجَة) التي تستخدم مجتمعةً لغرض رفع الماء من البئر بواسطة (الغُروب) لري المزارع. و(المِقْلَب) وهو أداةٌ خشبيةٌ تُستخدم لتقليب السنابل في الجُرن بعد حصادها حتى تجف ويحين موعد تصفية حبوبها. و(المِقْصَب) الذي تُقَسَّم به الحقول إلى قِصَابٍ صغيرةٍ مربعة أو مُستطيلة الشكل في الغالب؛ كما يتم بواسطته تنظيم مجاري الماء خلال الحقول.

ب ـ الأدوات الزراعية الحديدية: وهي الأدوات المصنوعة من الحديد، التي تستخدم للعمل في المزارع حفراً، وتسويةً، وتقطيعاً، ونحو ذلك. ومنها:

(الفأس) وهي أداةٌ تُستخدم لتقطيع أغصان الأشجار وتقليمها، وتقطيع الأخشاب الكبيرة، وتُسمى محلياً (المِخْصَلَة) وقد تُسمى الأحجام الكبيرة منها (العُطفة)، كما أن الحجم الصغير منها يُسمى (الفَاقُوش). ومن هذه الأدوات: (المِسْحَاة، والفاروع، والمِشْرَفَة) وجميعها تستخدم لحفر الأرض الزراعية وتقليب تربتها وتسويتها وتنقيتها ونحو ذلك. و(السَحب) وهو قطعة حديدية تكون في مقدمة المحراث الخشبي

لغرض استخدامها في حرث الأرض وشقها. و(الشريم) وهو أداةٌ منحنية تُشبه السكين وتكون مُسننة أو حادةً من الجهة الداخلية لأحد طرفيها؛ كما أن لها مقبضًا خشبيًا من الطرف الآخر، وتُستخدم لقطع بعض أنواع النباتات والحشائش والأعلاف أو قصها. و(اليَلم) وهو أداةٌ تُشبه المقص، وتستخدم لجني محصول الذرة في العادة؛ فتُقص به الأجزاء التي تحمل الحبوب، وتُسمى محلياً (البعاصيص) جمع (بَعْصوص)، ثم تُجمع في الجُرن حتى تجف، ثم تتم عملية فصل الحبوب عنها.

ج - الأدوات الزراعية الجلدية: وهي أدواتٌ تصنع من الجلود المختلفة للحيوانات بعد دبغها، وتُستخدم في الأعمال والأغراض الزراعية. ومنها:

(الغَرْب) الذي يستعمل كالدلو لغرض استخراج المياه من الآبار وعادةً يكون الغَرْب كبير الحجم نسبياً. و(الحبال الجلدية) التي تستخدم لسحب الغُروب من داخل البئر عن طريق الحيوانات، كما تستخدم لربط الأعلاف والمحاصيل الزراعية على ظهور الجمال ونقلها من المزارع، ومن هذه الحبال ما يُسمى محلياً (العَرَقَة) وهي حبلٌ مصنوعٌ من الجلد يمتاز بالقوة والمتانة. و(العَيْبَة) التي هي بمنزلة الإناء الجلدي الكبير الذي يُستخدم - في العادة - لنقل التمور والحبوب وغيرها من المحاصيل الزراعية وحفظها. و(المِنقَلَة) وهي أكبر حجماً من العَيْبَة، وتستخدم في نقل الحبوب غالباً على ظهور الجمال، وكذلك البضائع ونحوها.

ثالثاً - صناعة مواد البناء: وهي المواد التي تُستخدم لأغراض بناء المباني التقليدية قديماً وتعميرها، سواء كانت حجريةً أو طينية. ومن أبرز هذه الصناعات في تُنومة مايأتي:

أ - صناعة الأبواب والشبابيك: وهي صناعة تعتمد على مهارة النجار الذي يستخدم قطعاً من الأخشاب المحلية، ويحولها بمهارته وأدواته إلى أبوابٍ وشبابيك مختلفة الأحجام. وعادةً تتم زخرفة هذه الأبواب والنوافذ بنقوش جميلة ومتناسقة، وقد تزخرف وتحلى بسبائك حديدية أو نحاسية تكون على شكل مقابض أو حِلَقٍ ذات أشكالٍ مختلفة. وهنا تجدر الإشارة إلى أن هناك أنواعاً مُختلفة من الأبواب فـ (المِصرَاع) بابٌ كبير الحجم يشبه البوابات الخارجية الواسعة، وعادةً يكون المِصرَاع مكوناً من درفتين عريضتين نسبياً يُطلق عليهما محلياً (صَرْفَين) وغالباً ما تكون المصاريع (جمع مصراع) أبواباً للأحواش وليست أبواباً للمنازل. و(السَلَفَة) وهي باب صغير نسبياً يتسع لدخول شخصٍ واحدٍ أو خروجه في العادة. وتمتاز هذه الأبواب بالمتانة حيث تُصنع من خشب العِتم والعَرعَر والطلح والغَرَب، ويكون لكل بابٍ قفل من الداخل يُسمى (الضبة والمفتاح) ليتمكن الإنسان من فتحه من الخارج.

ب - صناعة القطران: وهي صناعةٌ تقوم على استخلاص القطران من أغصان شجر العتم (الزيتون البري)، ويتم ذلك في مكان يسمى (المَقْطَر) وهو فرن مستدير، قطره (١.٤٠ م)، وارتفاعه (٧٠ سم) تقريباً، يبنى على صخر مقعر، ثم تتم عملية استخلاص القطران بترك الأغصان في هذا الفرن عدة ساعات

تنطلق أهمية الحرف والصناعات التقليدية في مدينة تُنومة وما حولها من كونها ــ كما يُشير إلى ذلك أحد الباحثين ــ "كانت أحد المصادر التي يقتات منها عددٌ كثيرٌ من الناس، كما أنها كانت من الأعمال الضرورية التي يستلزم مزاولتها على المستويين الفردي والجماعي



بعض المنتجات المصنعة من الخوص والسعف

حتى يسيل القطران منها. ويستخدم القطران في دهن الأبواب والنوافذ الخشبية حتى لا تتآكل أو تتعرض للنخر. وقد يُستخدم القطران لدهن جلود بعض الحيوانات التي تصاب بالجرب.

ج. صناعة الجص: وهي صناعةٌ قديمةٌ تُنتج مادة أسمنتية صلبة تُستخدم عند تشييد المباني، وتؤخذ هذه المادة من الطبيعة؛ وبخاصة من الجهة الشرقية لتُنومة، حيث توضع في فرنٍ من الحجارة، ثم تُترك فترة تزيد على اليومين حتى تبرد، ثم تُنقل إلى مكان البناء فتُخلط مع أحد أنواع التربة ذات الحبيبات المحسوسة؛ ليتم بعد ذلك استخدامها في البناء فتساعد على تماسكه وصلابته. ولا تزال هذه المادة موجودة على بعض المباني القديمة حتى اليوم.

رابعاً. صناعة الأسلحة القديمة: وهي صناعةٌ قديمةٌ تُعنى بصناعة بعض أنواع الأسلحة الخفيفة التي يستخدمها الناس قديماً للدفاع عن أوطانهم وأنفسهم وأهليهم ومواشيهم ونحو ذلك. ولا تزال هذه الصناعة قائمةً إلى وقتنا الحاضر، ولكنها محدودة جداً، إذ تُصنع البنادق القديمة، كالمقمع، والفتيل، التي تُستخدم الآن في بعض المناسبات والحفلات. كما تشمل هذه الصناعة



أدوات مصنوعة من مواد مختلفة

بعض أنواع الأسلحة ، كالخناجر، والجنابي، والسكاكين، والسيوف، والرماح. وتعتمد صناعة هذه الأسلحة على بعض المعادن، وبعض أنواع الأخشاب الممتازة التي تُغطى في العادة بالفضة، أو تُحلى بالذهب.

ويتبع لهذه الصناعة صناعة البارود التي تعتمد على مواد ثلاث هي: (المَلْح، والخَفان، ومسحوق الفحم من شجر الغَرب في العادة). ويستخدم البارود لصناعة الطلقات النارية التي تُعرف محلياً بالرصاص أو المعَابِر، كما يُستخدم البارود لغرض تكسير الصخور وإزالتها عند البناء والتشييد أو عند حفر الآبار.

خامساً . صناعة الغَزْل والنسيج: وهي صناعة تعتمد على أصواف الأغنام أو وبر الجمال التي يتم غزلها حتى تُصبح خيوطاً مفتولة يمكن استخدامها في كثيرٍ من المصنوعات التي تُعنى بنسج أنواعٍ مختلفة من الملابس النسائية على وجه الخصوص، وبعض المفروشات والأثاث المنزلي الذي كان معروفاً ومستخدماً في الماضي؛ ومنه:

(المَلاَحِفْ) التي تُستخدم أغطيةً عند النوم، وقد تُستخدم فراشاً في بعض الأحيان. و(الهَيِيرة) وهي نوعٌ من الفرش يُشبه البُسط، ويكون مصنوعاً من الصوف. و(البِجَاد وهو بيت الشعر) الذي يُستخدم في البادية - غالباً - .

ويتبع لهذه الصناعة مهنة الخياطة والتطريز اليدوي باستخدام الخيط والإبرة التي لا يُجيدها إلا القليل، و تُعرف محلياً باسم «المشغولات الحريرية»، وتشمل بعض الملابس والأردية القديمة للرجال والنساء، ومنها:

(البشوت أو المشالح) التي يرتديها الرجال صوفيةً كانت أو غير صوفية. و(الثياب المشغولة أو المُكَلَّفَة) وهي نوع من الثياب النسائية الفاخرة التي تُكَلّف وتُطرز بخيوط الحرير الملونة بأشكالٍ مُميزة ولافتة للنظر. و(الشِيَال المُرَيَّشَة) التي تكون غطاءً للرأس عند المرأة في المناسبات والأفراح والأعياد. ومعنى مُرَيَّشَة أي مزينة الحواف بخيوط الحرير الملون.

سادساً - صناعة الحُلي (الصياغة): وهي صناعة محدودة الانتشار، وذلك لقلة عدد العاملين بها من أبناء المنطقة الذين يمتهنونها، ويجيدون فنونها، ويعرفون أسرارها، ويتوارثونها جيلاً بعد جيلٍ حتى عُرفوا بها؛ ويُطلق عليهم «الصُنَّاع»، وهم أُسرٌ معروفة إلى وقتنا الحاضر، إذ يقوم أفرادها بصناعة الحُلي الفضية التي تُستعمل في الغالب للنساء، ومنها: (الخواتم) و(الدِبَل) التي تُسمى محلياً (الفِتَخ) وتُلبس في أصابع اليدين للمرأة، و (العصائب) لزينة رأس المرأة، و(الأحزمة) التي تُشد على خصر المرأة . و(الأساور) التي تُسمى محلياً (المِسَك الشَّمالَى) وتُلبس في يدي المرأة، و (الخلاخيل) في قدمي المرأة، و هناك (الألواح)، و(الأشباك) و(المِرِّيَة) وجميعها تُصنع من الفضة، وتلبسها المرأة على صدرها، و(الخِرصَان أو الأقراط) لزينة الأُذنين عند المرأة. كما أن هناك بعض الصناعات التابعة لصناعة الحُلي، وتُعنى بمقتنيات الرجال، كالسيوف والخناجر (الجنابي). وتشتمل هذه الجنابي على أنواعٍ منها: (القُديمية، والنافعي، والأشبيل، والمالكي،... إلخ). ويتبعها صناعة (الشِفَار وهي السكاكين الصغيرة) التي كان الرجال يتمنطقون بها في أوساطهم قديماً. أما الحُلي المصنوعة من الذهب فكانت نادرةً جداً.

سابعاً - مهنتا الدِبَاغَة والخِرَازَة: وهما في الواقع مهنتان مُختلفتان إلا أنهما مرتبطتان بعضهما ببعض؛ إذ تعتمد مهنة الدِبَاغَة على معالجة جلود بعض الحيوانات وبخاصة جلود الماعز والبقر والإبل والضأن حتى تُصبح صالحةً لكثيرٍ من الاستخدامات المختلفة في الحياة اليومية. وتعتمد هذه الصناعة على «استخدام ثمار نبات (الحَدَق) التي تُشبه حبات المشمش إلا أنها ذاتُ طعمٍ مرٍ، وبداخل كل ثمرة مادة سائلة إذا سُكبت على الشعر أزالته سريعاً. ثم يوضع الجلد بعد ذلك في حوض به ماء مع مسحوق أوراق نبات (الشَّث) التي تحتوي على مادة ملينة ومحللة. فتُجفف الأوراق أولاً، ثم تُدق حتى تُصبح مسحوقاً، ثم يوضع هذا المسحوق مع الجلد المراد معالجته في حوض من الماء، ويُترك بعض الوقت حتى تتفكك جزيئاته، ويثبت على درجة من التماسك والطواعية؛ فإذا ما تم ذلك أُضيف إليه شيءٌ من اللبن والزبد والدقيق ليصبح لدناً ليناً». وبذلك يُصبح الجلد جاهزاً للصناعة والتشكيل وفق ما تستدعيه الحاجة.

وعند الانتهاء من دبغ الجلود وإعدادها للتصنيع

صناعة الأدوات المنزلية: تعتمد على المواد والعناصر الطبيعية المتوافرة في المنطقة كالأخشاب، والحديد، والتربة الطينية، وبعض أنواع الجلود، والأصواف، والصخور



صناعة البنادق وغيرها من الأسلحة بحرفية عالية

المطلوب تبدأ المهنة الثانية وتُسمى الخِرَازة التي يُتقنها بعض أبناء المنطقة، وهي صناعةٌ يتم خلالها تحويل الجلود المدبوغة إلى بعض أنواع الملابس مثل: العباءة الصوفية للرجال وتُسمى (الفَرْوة، أو الشملة). و(القباء) للنساء، و(الحزام أو السِّبتة) المصنوعة من الجلد والتي تُشد على وسط الرجل أو المرأة أو الصغار.

وقد يُصنع من الجلود المدبوغة بعض الأثاث المنزلي مثل: (المَنْشُور) الذي يُشبه اللحاف إلا أنه يتميز بأن إحدى جهتيه من الصوف الطبيعي، والجهة الأُخرى من الجلد المدبوغ، ولذلك فإنه قد يُستخدم فراشاً وقد يكون لحافاً.

كما أنه قد يُصنع منها بعض الأدوات المنزلية مثل: (القِربَة) التي تُستخدم لجلب الماء وحفظه في المنازل، أو (الشكوة) التي تُستخدم لمخض اللبن، أي هزّه وتحريكه في الشكوة لاستخراج الزبد منه. و(الخُرج) وهو ما يوضع على ظهر الحمار ـ في الغالب ـ لنقل البضائع والحاجات وغيرها من الأغراض، وعادةً يكون على ظهر الدابة ومُتدلياً على الجانبين.

وقد يُصنع منها بعض الأدوات المُستخدمة في الزراعة مثل: (الغُرُوب، جمع غَرْب) التي تُستخدم لجلب الماء من الآبار وسُقيا المزارع عن طريق رفعها بواسطة الحيوانات. و(الدلاء، جمع دلو) التي تُرفع بها المياه من الآبار للشرب أو تعبئة القرب الصغيرة.

ثامناً ـ صناعة الحِبَال: تُعد هذه الصناعة واحدةً من أهم الصناعات القديمة وأبرزها، وتعتمد على جمع شعر الماعز والضأن بعد أن يتم قصه وبلِّه بقليل من الماء، ثم تنقيته وغزله بواسطة النساء ـ في الغالب ـ حتى يصبح خيوطاً مفتولة، ثم يُظفر ويُجدل على شكل حبالٍ صغيرةٍ

تُجمع كل خمسة منها مثلاً لتُشكل حبلاً واحداً متيناً يمكن استعماله في مختلف الأغراض المنزلية أو الزراعية أو غيرها من ربطٍ وشدٍ وجذبٍ ونحو ذلك.

تاسعاً ـ صناعة الرّحَى: وهي صناعة تعتمد على قطع أنواع معينة من الصخور التي تميل إلى البياض المشرب بشعيرات وحبيبات شفافة وناتئة تساعد على عملية طحن الحبوب. وينتج من هذه الصناعة ما يُعرف بالرَّحى وهي حجران دائريان متساويان غالباً؛ يكون أحدهما فوق الآخر بطريقةٍ يمكن لهما خلالها أن يقوما بطحن الحبوب التي يتم تسريبها إلى المساحة ما بين الحجرين عن طريق فتحة في وسط الحجر. ويكون تحريكهما بواسطة اليد وبشكلٍ دائري، وتمتاز الأحجار المستخدمة في هذه الصناعة بعدم التفتت عند عملية طحن الحبوب.

وتبدأ صناعة الرّحَى «بالبحث عن نوعيةٍ معينة من الصخور؛ فإذا ما وجدت صخرة من ذلك النوع أُخذ عليها مقياس خاص بالشبر، ثم يستخدم المِعْوَل والمِقْرَاص (الأزميل) مع شيء من الماء في تحديد الحجر المطلوب قطعُه بشكلٍ دائري، ثم يُشْرَعُ في دقه بعنايةٍ وحذرٍ شديدين حتى يتم الحصول على السُّمك المطلوب من جميع الجوانب، والذي قد يصل إلى (٢٠) سم أو أقل أو أكثر. بعد ذلك تتم المعالجة بهدوءٍ وحذرٍ شديدين حتى يتم خلع الحجر بشكل سليم. وهذه العملية ليست باليسيرة إذ قد تحتاج إلى ثلاثة أيام أو أكثر. بعد ذلك يثقب في وسطها ثقب حتى يمكن استعمالها أو ربطها عند نقلها من مكان قطعها إلى السوق للبيع، أو إلى المنزل للاستخدام» (٢: ١٤. ١٥) (بتصرف من الكاتب).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك أماكن مُخصصة تُسمى مقاطع الرَّحَى، ويُعدّ وادي (عُثْرُبين) في الجهة الشرقية لتُنومة أبرز الأماكن التي تقطع منها صخور الرحى، كما أن لهذه الصناعة أُسراً معينةً ومعروفةً تتولى إنتاجها.

وبعد؛ فإن ما سبق ذكره ليس إلا جزءاً من كلٍ؛ فهناك أنواع أُخرى من الصناعات والحرف والمهن اليدوية القديمة التي تحتاج إلى مزيدٍ من البحث والدراسة والتقصي، والرصد والعناية والإيضاح، ولعل الله تعالى يُقيض لها من يهتم ويُعنى بها، والله أسأل التوفيق والسداد، والهداية والرشاد، والحمد لله رب العباد.

المراجع

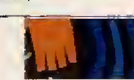
١. صالح بن علي أبو عرّاد. (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م). تُنومة بني شهر، ضمن سلسلة (هذه بلادنا)، رقم (٤٦)، الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الإدارة العامة للأنشطة الثقافية.

٢. علي عمر عسيري. مقاطع الرحى. مجلة الجنوب. عدد (٦٤ ـ ٦٥). ربيع الآخر/ جمادى الأولى ١٤٠٩هـ. السنة السادسة. أبها: الغرفة التجارية الصناعية.

٣. غيثان بن علي جريس. بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. (١٤١٣هـ). أبها: مطابع مازن.

٤. قسم التحقيقات. تُنومة بين الأمس الجادّ.. والحاضر الجديد. مجلة الجنوب. عدد (٥٩). ذو القعدة ١٤٠٨هـ. السنة الخامسة. أبها: الغرفة التجارية الصناعية.

٥ . ناصر حسين العبودي. التُراث الشعبي في دولة الإمارات العربية المتحدة. مجلة المأثورات الشعبية. العدد (٤٨). جمادى الأولى ١٤١٨هـ / أكتوبر١٩٩٧م. قطر: مركز التراث الشعبي لمجلس التعاون لدول الخليج العربية.



الثقافة في زمـ

...ن العـــولمة

حسن مسكين
الجديدة ـ المغرب

هذه المقالة تنطلق من فرضية تقول: "إننا اليوم أمام ثقافة الاستهلاك» وللدلالة على ذلك تسلك المداخل الآتية:

ـ تحديد مفهوم الثقافة - الهوية - الآخر- المثاقفة - العولمة والهيمنة.

ـ وتتخذ لبسط ذلك منهجًا وصفيًا استقرائيًا، يعرض المعطيات أولاً ويستخلص النتائج ثانيًا- بلا مبالغة أو تحجيم أو حسم.

الثقافة

من أكثر المفاهيم إثارة للجدل، إذ يمكن وسمها بأنها كلمة (مائعة) تخضع لنوع الاختصاص وزاوية النظر. بدليل «أن العالمين الأنثربولوجيين الأمريكيين (كلوكهون وكوبير) قدما أزيد من (١٥٠) تعريفا للثقافة، لم يجدا بينها تعريفًا شاملاً أو جامعًا مانعًا يخلو من القصور. ويعزو البعض قصور كثير من التعريفات إلى أنها لا تميز بوضوح بين المفهوم من ناحية والأشياء التي يشير إليها من ناحية أخرى» (١).

من التعريفات التي حاولت ضبط هذا المفهوم تعريف: د. الجابري القائل: «الثقافة ذلك المركب المتجانس من الذكريات والتصورات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتطلعات التي تحتفظ لجماعة بشرية بهويتها الحضارية، في إطار ما تعرفه من تطور بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء. وبعبارة أخرى الثقافة هي: المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده وما ينبغي أن يعمل وما لا ينبغي أن يعمل» (٢).

وتعريف كلاكهون - بيلز- هاري ومضمونه أن: «الثقافة هي كل مخططات الحياة التي تكونت على مدى التاريخ، بما في ذلك المخططات الضمنية والصريحة والعقلية واللاعقلية، وهي توجد في أي وقت كموجات لسلوك الناس عند الحاجة» (٣).

نخلص من التعريفات السابقة إلى الاستنتاجات الآتية:

الاستنتاج الأول: في الثقافة الخاص والمشترك والإنساني.

- فيها الثابت والمتغير.
- هي التعبير الأمثل عن رؤية المجتمعات للكون.
- هي التجلي الأمثل والأوسع للحضارة.
- لها ارتباط علائقي باللغة والرمز، إذ بهما تشيد العالم كرؤية وقيمة.
- الثقافة قهر نسبي للطبيعة، إذ تزداد ثقافة الإنسان كلما تقلصت هيمنة الطبيعة عليه (٤).

الثقافة والهوية:

يمكن تحديد العلاقة بينهما كالآتي:

ـ بعيداً عن المعجمات العربية القديمة التي لم تعرف الهوية، وتحفظا على المعجمات العربية الحديثة التي شددت على مسألة الثبات والذات في بعدها الأول كعوامل تؤشر إلى تميز ثقافة ما وتساويها وتشابهها، فإن الهوية في أبعادها الأخرى هي أحاسيس وصفات

ونمط حياة وسلوك يشمل كل المجالات من ملبس ومأكل وفن وفكر وسياسة واقتصاد وثقافة، تتفاعل مع المتغيرات دون أن تنمحي، قابلة للتجدد وليس للإقصاء.

الهوية والآخر:

إذا استحضرنا التعريفات السابقة وتعريفات الأنثربولوجيين الموسوعية نخلص إلى أن الثقافة استحضار للهوية دون نفي الآخر، هذا الآخر الذي ليس متماثلا أو واحدًا، بل فيه المستعبد والمستبد كما أن فيه المدافع عن القيم والحرية. هذا الآخر ليس كله خيرًا أو شرًا: لأنه ينتمي إلى مجتمع وحضارة لهما هويتهما وقيمهما ونمط عيشهما؛ أي لهما ثقافة خاصة. وهنا أستعير نموذجين طريفين لكنهما يعبران عن الخصوصية الثقافية كأسلوب ونمط حياة وتعامل:

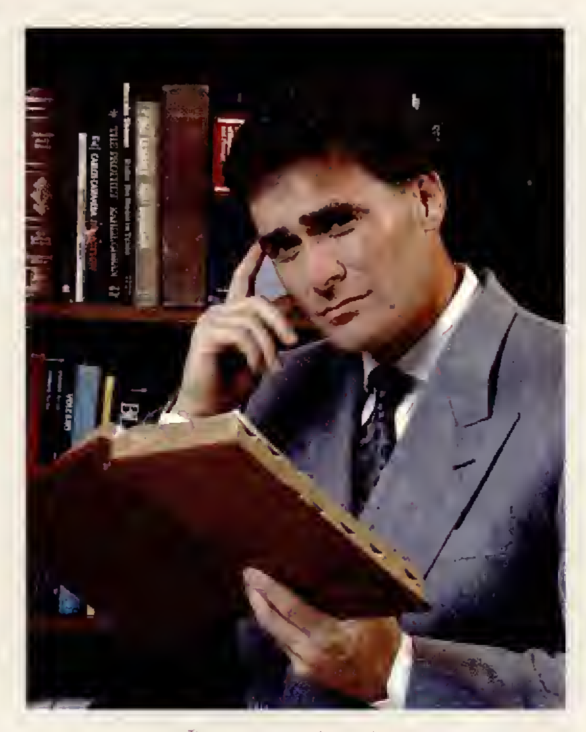
- (النموذج الأول): ذكر في المعجم النقدي لعلم الاجتماع: جاء فيه: «يميل كل مجتمع إلى تشكيل كل ثقافي فريد، يمكن لمجتمعات متشابهة في درجة تطورها الاقتصادي أن تكون مختلفة بعضها عن بعض بقوة من الناحية الثقافية، كما يؤكد الشعور العام وتثبت التجربة المباشرة. إن الألمان مختلفون ثقافيًا عن الإنجليز.... وكما يلاحظ (لينتون)، إذا وكل مسافر وصل الآن إلى أحد المرافئ النرويجية إلى حمال مهمة قبض مبلغ معين من المصرف، فإنه يكون متأكدًا تقريبًا من أن

هناك هيمنة واضحة لدول محدودة على الاقتصاد والإعلام. وتتعمق هذه الهيمنة مع انفتاح تام لأسواق الدول (المتخلفة) التي تزداد تخلفًا بسبب اتساع هامش الفقر فيها، وعدم مواكبة معظم ساكنيها للتقدم التقني والمعلوماتي

الملاحظ أننا أمام ثقافة تنتج وأخرى تستهلك، في انبهار ودون إعمال نقد أو تقويم أو تمييز، إذ الثقافة تفترض أن تترك لتنتشر طبيعيًّا في إطار تكاملي، غير موجه أو منمط

الحمال سيعود إليه مع المبلغ أما في إيطاليا، فيكون متأكدًا تقريبًا بأنه لن يراه أبدًا» (٥).

- (النموذج الثاني): هو ذلك المتمثل في سمات المفارقات والازدواجية المعبرة في الثقافة العربية، ومنها المغربية، ذلك أن العربي لا يهنأ له بال، ولو في اللحظة نفسها، وبلا ضرورة، حتى يتكلم بلسانين، ويدخل



الثقافة استحضار للهوية دون نفي الآخر



الثقافة هي التعبير الأفضل عن رؤية المجتمعات للكون

جامعتين، ويسكن مسكنين، ويؤثث أثاثين، دون أن يحول هذه التجربة إلى أي مقوم يغني ثقافته، بدل ترسيخ الانفصام والتمزق الذي يحياه باستمرار(٦).

الاستنتاج الثاني: حينما نحدد الهوية والآخر (٧) نكتشف أنهما نتاج ثقافة خاصة، لا تظهر إلا عند التقائهما وتفاعلهما إنسانياً وحضارياً.

العولمة ؟

هناك تعريفات كثيرة لها، لكن القاسم المشترك بينها هو تأكيدها فكرة دمج العالم في نسق واحد يشمل كل المجالات.

- إذ العولمة هي: «كل المستجدات والتطورات التي تسعى بقصد أو من دون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع واحد» (٨).
- «العولمة اتجاه تاريخي نحو انكماش العالم وزيادة وعي الأفراد والمجتمعات بهذا الانكماش» (٩). ويمكن أن نضيف أن العولمة:
- نمط جديد لإعادة انتشار المركزية الرأسمالية.
- هي نتاج لمرحلة ما بعد منتصف الثمانينيات.
- إذا كانت معالم العولمة في الاقتصاد والسياسة قد تشكلت، فإن ملامحها في الثقافة لم تكتمل بعد، وإن كانت إرهاصاتها آخذة في الظهور (١٠). ولنا في المعطيات الآتية شاهد على بعض معالمها.
- **اقتصادياً:**

يتمركز النشاط الاقتصادي في ثلاث مناطق كبرى هي:

- منطقة الأورو: أي الوحدة النقدية الجديدة لأوربا.
- منطقة التجارة الحرة لدول أمريكا الشمالية المعروفة (بالنافتا): أمريكا الشمالية، كندا، المكسيك.
- في هذه المناطق الثلاث يرتكز أكثر من ٨٠٪ من إجمالي الناتج القومي العالمي و٨٥٪ من إجمالي التجارة العالمية.
- **إعلاميًا:**
- هناك ما يقارب (٢٠٠٠) قمر صناعي، لأمريكا الشمالية النصيب الأوفر منه. يتم من خلاله توجيه الأخبار والأحداث حسب إرادتها، وبالشكل الذي تراه مناسبًا لها.
- ٨٨٪ من معطيات الإنترنيت تبث باللغة الإنجليزية.
- ٧٥٪ من أجهزة الحاسوب المستفيدة من الإنترنيت تصنع بأمريكا.
- ٦٠ ٪ من البث التلفازي المشاهد في العالم منتوج أمريكي (١١).

يضاف إلى ذلك أن:

وسائل الإعلام	السنة	حصة إفريقية
إنتاج الكتب	١٩٨٣	١,٨٪
توزيع الصحف	١٩٨٢	١,٥٪
استهلاك ورق الصحافة	١٩٨٢	٠,٨٪
محطات البث الإذاعي	١٩٨٣	٤,٢٪
أجهزة الاستقبال التلفازي	١٩٨٣	٢,٣٪
أجهزة الاستقبال الإذاعي	١٩٨٣	٤,٠٪
المحطات التلفازية	١٩٨٣	١,٤٪
عدد قاعات السينما	١٩٨٣	١,٥٪
المعدل السنوي لجمهور السينما	١٩٨٣	٢,٢٪
أجهزة الهاتف	١٩٨٤	١,٤٪
حركة البريد	١٩٨٠	٢,١٪
نفقات الإعلاميات	١٩٨٥	٠,٣٪

إذا كانت معالم العولمة في الاقتصاد والسياسة قد تشكلت، فإن ملامحها في الثقافة لم تكتمل بعد، وإن كانت إرهاصاتها آخذة في الظهور

- أربع وكالات أنباء عالمية فقط تهيمن على الخبر وتوجهه كما تشاء، وهي:
- الوكالة المشتركة للصحافة (أشوسيتدبريس) أعظم وكالة عالمية أمريكية.
- الوكالة المتحدة للصحافة (يونايتدبريس) أمريكية أيضًا.
- وكالة رويترز إنجليزية.
- وكالة فرانس بريس الفرنسية.

الاستنتاج الثالث: هيمنة واضحة لدول محدودة على الاقتصاد والإعلام، وتتعمق هذه الهيمنة مع انفتاح تام لأسواق الدول (المتخلفة) التي تزداد تخلفًا بسبب اتساع هامش الفقر فيها، وعدم مواكبة معظم ساكنيها للتقدم التقني والمعلوماتي السريع الذي يكتسح كل المجالات من الاقتصاد إلى الثقافة. ويظهر ذلك جليا بالنظر فقط إلى حصة إفريقية من وسائل الإعلام.

الاستنتاج الرابع: وضعية مزرية في الإعلام والاتصال،

العربي في أعين الغربي إنسان مهاجر يزاحم الغربي في العمل أو الشارع أو المقهى أو السكن. وهو إما إنسان ينتمي إلى منطقة البترول، وإما إنسان إرهابي



وضعية مزرية بالإعلام تنعكس سلباً على المجالات المختلفة

تنعكس سلبًا على المجالات كافة، إذ لا يمثل الناتج الداخلي الإجمالي سوى ٣ ٪ من الناتج الداخلي الإجمالي العالمي، مما يرسخ وضعية التخلف في القطاعات كافة، ومنها قطاع الثقافة، في عالم أصبح قائمًا على قوة إنتاج المعلومة والمعرفة.

ويكفي أن نعطي مثالاً واحدًا لقوة الإعلام في توجيه الرأي العام الغربي حين يتعلق الأمر بالإجابة عن سؤال يهم صورة العربي في أعين الغربي كيف هي ؟ الجواب:

- «العربي إنسان مهاجر يزاحم الغربي في العمل أو الشارع أو المقهى أو السكن.
- وهو إما إنسان ينتمي إلى منطقة البترول.
- وإما إنسان إرهابي إسلامي (١٣)».

ولقد ترسخت هذه الصورة الأخيرة بشكل لافت للنظر خلال الفترة الحالية في ظل الإبادة الجماعية التي يتعرض لها إخواننا في فلسطين المحتلة على يد الصهاينة الذين استعاروا المفاهيم الأمريكية المعولمة لما يسمى محاربة «الإرهاب» لترسيخ المخطط الصهيوني إعلاميًا بما يوازي الإبادة والجرائم الإرهابية التي



إن مسحًا سريعًا لما يعرض على التلفاز والفضائيات العربية أساسًا يثبت أن الثقافة السائدة هي التي تعنى بنجوم السينما والرياضة والأغاني المثيرة وعارضات الأزياء والبرامج المطبوخة

تمارسها الصهيونية والإمبريالية على الأرض الفلسطينية إلى مستوى سعت فيه هذه القوى إلى قلب الحقائق فأصبحت تنعت المقاوم بالإرهابي وهذا الأخير كالساعي للسلم والمدافع عنه !.

ـ وتلك هي المفارقة الكبرى لسياسة العولمة وإفرازاتها الواقعية الكارثية على أكثر من مستوى.

في ظل العولمة، أنحن أمام مثاقفة أم هيمنة ؟

إن المعطيات السالفة الذكر ترجح أننا أمام هيمنة، وليس مثاقفة، وذلك للأسباب الآتية:

ـ المثاقفة: تتطلب التعاون والتعارف والتشارك كما تقول الآية الكريمة: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائلَ لتعارفوا﴾. الحجرات:١٣. أي:

ـ فرص وعلاقات ووسائل متكافئة.

ـ ورغبة في



الفقر المركب من الظواهر المصاحبة للعولمة

مد الجسور والحوار والتعارف والتعاون وكل ما من شأنه تقوية الإنسان.

ـ لكن الملاحظ أننا أمام ثقافة تنتج وأخرى تستهلك، في انبهار ودون إعمال نقد أو تقويم أو تمييز، إذ الثقافة تفترض أن تترك لتنتشر طبيعيًا في إطار تكاملي، غير موجه أو منمط (١٤).

ـ لو أعطيت الثقافة حرية الاقتصاد نفسها لأصبحت عالمية، وليست معولمة، لأنها عبارة عن قيم وأفكار سامية، تسري بين الناس طبيعيًا، وذلك هو حال الديانات السماوية غير المحرفة، تستهدف التوحيد والعدالة لا الاستغلال والعبودية كما هو حال العولمة (١٥).

ـ إن تاريخ الثقافة العربية نموذج (كتاب الأغاني)، وتصورات أنثروبولوجيي الغرب مثل ستراوس في:

– الأنثروبولوجيا البنيوية:(Anthropologie Structurale 1964). والعقل المتوحش:La pensé sauvage (1962) خير شاهد على هذا المنحى من التكامل والتفاعل للثقافة الإنسانية الشاملة.

ـ أما الهيمنة فهي سائدة واقعًا، ولها مظاهر كثيرة ومتنوعة، ومنها:

ـ الأزمة الأخلاقية «ويكفي أن نذكر بكتاب خصص





انحسرت الثقافة الحقيقية وسيطرت ثقافة الاستهلاك

لهذا الغرض بعنوان: (العولمة ضد الأخلاق) (لسيرج لاتوس) بالإضافة إلى كتابات كثيرة تؤكد هذا المنحى الخطير الذي يتجسد واقعيًا.

- هيمنة ثقافة الاستهلاك.

- تحويل الثقافة إلى سلعة.

- توحيد العالم وبخاصة الشباب على «قيم» سلبية منمطة، تمثلاً بالنموذج الأمريكي من خلال وجبة مظهرية واحدة (الهامبرغر - البتزا- دجاج كنتاكي - الكوكاكولا- الأغاني الراقصة والماجنة- مايكل جاكسون- مادونة - أفلام الإثارة والرعب وحرب النجوم: التيتانيك- كادزيلا ١).

- بروز مجموعة من الاتجاهات والمفاهيم الاستهلاكية (الكوكلة - المقدنة، اللبرلة والأمركة) (١٦).

- تنامي نسبة الفقر في الدول الفقيرة فقد أصبح الفقر مركبًا، في الوقت الذي تزداد الدول العظمى فيه غنى. فقد تجاوز عدد الدول الفقيرة التي لا يتجاوز دخل الفرد فيها (٤٠٠) دولار سنويًا، نحو (٨٠) دولة من أصل (١٩٥) دولة في العالم(١٧).

الاستنتاج الخامس: نتج من كل ذلك أننا أصبحنا أمام ثقافة (جديدة) استهلاكية بكل المقاييس، إنها (ثقافة التصنيع) أو (الثقافة المصنعة) التي ابتلعت ذلك التنوع الثقافي.

إن مسحًا سريعًا لما يعرض على التلفاز والفضائيات العربية أساسًا يثبت أن الثقافة السائدة هي التي تعنى بنجوم السينما والرياضة والأغاني المثيرة وعارضات الأزياء والبرامج المطبوخة. فتراجع الفكر، وتخلى المثقف عن دوره الريادي في الأدب والفن والفكر والسياسة، وتراجعت أهمية النقد والشعر والرواية والمسرح أمام اكتساح ثقافة الاستهلاك المدعومة إعلاميًا. فسادت مفاهيم الاغتراب، والتمزق والفردية والمادية.

لقد (تشيأت) القيم والثقافة وأصبحت سلعة تعرض في سوق العرض والطلب، وليس أدل على ذلك من هذا التسويق السافر والموجه لما يسمى

إن ما تعيشه الأراضي الفلسطينية المحتلة اليوم من إبادة جماعية وتهجير لدليل واضح على الوجه الحقيقي للعولمة، كما تسعى إليها الدول الأمبريالية والصهيونية



ما تعيشه الأراضي المحتلة دليل على الوجه الحقيقي للعولمة

«بالإرهاب»، الذي جعل المثقفين والمفكرين الأمريكيين ينخرطون في ترسيخ الإيديولوجية الأمريكية التي توجهه حسب مصالحها تحقيقا لما تسميه «العدالة المطلقة»، ولو تطلب الأمر إبادة شعوب بكاملها.

ولعمري إن ما تعيشه الأراضي الفلسطينية المحتلة اليوم من إبادة جماعية وتهجير لدليل واضح على الوجه الحقيقي للعولمة، كما تسعى إليها الدول الأمبريالية والصهيونية، ولبرهان آخر على تماهي السياسي بالاقتصادي والإعلامي والثقافي (١٨).

من نتائج ثقافة الاستهلاك:

- ما يسمى: «عبدة الشيطان: أحد مظاهر ثقافة العولمة والاستهلاك، برز بشكل لافت في مصر عام ١٩٩٦م، يضم مجموعة من الشباب المنتمين إلى طبقة غنية، من خريجي المدارس الأجنبية، لا يعلمون شيئًا عن الإسلام مع أنهم مسلمون، وقد امتدت هذه المجموعة إلى دول أخرى عربية.

تجتمع هذه المجموعة على أفكار مشتركة أبرزها:

- تمجيد الذات القوية المتحررة من كل القيم والأخلاق

لقد (تشيأت) القيم والثقافة وأصبحت سلعة تعرض في سوق العرض والطلب. وليس أدل على ذلك من هذا التسويق السافر والموجه لما يسمى "بالإرهاب". الذي جعل المثقفين والمفكرين الأمريكيين ينخرطون في ترسيخ الإيديولوجية الأمريكية

السامية.

- جعل هذه القيم السامية: (المحبة - الخير - السلم...) سمات الضعفاء الخاضعين لقوانين المجتمع والدين والساسة.
- البحث عن الاختلاف مهما تكن صورته ومضامينه.
- التمثل بالشيطان كرمز لكل ما هو ممتع وقوي وصادم.

- من مرجعياتهم الثقافية المعلنة:

- كتاب (الشيطان) لمؤلفه (ليفي) مؤسس كنيسة (الشيطان) بسان فرانسيسكو.
- كتاب (باسكال غوتيي) - وأساطير الديانات، بخاصة اليهودية والمسيحية.
- التصورات (الداروينية) الاجتماعية - والفلسفة (النيتشوية).

ولمزيد من الإيضاح سأكتفي بنموذج يختزل تصورهم يقول أحدهم وهو: حسام ٢١سنة، طالب بشعبة اللغة الفرنسية: نحن لا نؤمن بالشيطان كإله بل كقيمة رمزية مظلومة. فهو يمثل عدم الامتثال. ولمعرفة ذلك يكفي الاطلاع على كتاب (الشيطان) لليفي. عبادة الشيطان ليست موضة بل هي موقف من العالم والسلطة والأخلاق السائدة. إنها رفض من نوع خاص، ونحن عكس ما يظنه الكثيرون لسنا سذجًا أو متوحشين. فالديانات السماوية الأخرى ظلت٢٠٠٠ عام تلعب بعقول (المؤمنين) وظلت تزين لهم الحياة الأخرى الجميلة التي سيدركونها بعد الموت، في حين أنها تتحكم في التربية والسياسة والعدالة أي أنها تتحكم في المعرفة. في أمريكا أمثالنا يمارسون عقيدتهم بحرية. نحن هنا نمارس شعائرنا على الإنترنت...، أصدقاؤنا كثيرون، نتواصل معهم باللغات الحية، لا نستطيع أن نقوم بشعائرنا؛ لأننا نعرف الحدود القانونية التي صنعوها لنا» (١٩).

هذا مثال لثقافة الاستهلاك غني عن كل بيان، غير محتاج إلى برهان.

البدائل

- لكن قد يعترض البعض بالقول: إن هذه صورة قاتمة للعولمة فما البدائل؟

أقول بداية: إن هذه حقائق لا ينكرها إلا جاحد أو معاند. ونحن لا نهدف منها المبالغة أو التهويل أو نبذ الحداثة والتطور، بقدر ما نتوخى إعمال النظر، وعدم التستر على الحقائق، بغية توجيه وسائل العلم والإعلام إلى ما هو منتج وفعال في مجال كالثقافة التي هي مرآة الشعوب، خصوصًا أننا نعلم من جهة بأن الثقافة في كل مجتمع لا يمكن، ولن نستطيع أن تنزوي وتنغلق، ومن جهة أخرى لا يمكن أن تهرب من تأثيرات العولمة، لكن ذلك لا يعني الخنوع والاستسلام التام لهذه العولمة (المتوحشة) التي تضرب أرقى القيم الإنسانية وأعظمها.

نعم لا أحد يجادل في أن العلم في حد ذاته محايد، لا نستطيع أن نصفه بأنه خير أو شر في ذاته، بل من خلال أسلوب توظيفه واستخدامه، حتى يكون نافعًا، غير مدمر، إنسانيًا غير متوحش كما الحال الآن. إلا أن بلوغ هذه الغاية ألا وهي النهوض بثقافتنا رهين بتهيىء شروط ضرورية، من أبرزها:

- الإرادة السياسية الواضحة.
- العمل المشترك في سائر المجالات.
- النظر إلى الثقافة على أنها قاطرة أساسية وحاسمة نحو التنمية، وليس مجرد ترد فكري.
- إعتماد روح الابتكار والنقد معرفيًا وثقافيًا.
- الانفتاح الواعي والمتبصر غير المنبهر على الثقافات الإنسانية دون استلاب.
- تقديم الصورة الحقيقية للحضارة والإنسان والثقافة العربية أمام الثقافات الأخرى عبر الاستغلال المنتج لوسائل الإعلام والاتصال الحديثة (٢٠).

المراجع والهوامش

١- الطبيعة والثقافة: د.محمد سبيلا - د. عبد السلام بنعبد العالي: دار توبقال، المغرب، ١٩٩١م، ص ١٣. وانظر أيضا: التعريف الذي اعتمدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وهو أن الثقافة هي ذلك المركب الذي «ينتظم جماع السمات المميزة لأمة من مادية وروحية وفكرية وفنية ووجدانية. وتشمل مجموعة المعارف والقيم والالتزامات الأخلاقية المستقرة فيها وطرائق التفكير والإبداع الجمالي والفني والمعرفي والتقني وسبل السلوك والتصرف والتعبير، وطراز الحياة. كما تشمل أخيرا تطلعات الإنسان للمثل العليا، ومحاولته إعادة النظر في منجزاته، والبحث الدائم عن مدلولات جديدة لحياته وقيمه ومستقبله، وإبداع كل ما يتفوق به على ذاته». ويلاحظ أن هذا تعريف موسوعي يقترب من تعريف الأنثروبولوجيين الذي نميل إليه. عالم الفكر - ع ٢- أكتوبر ب. ديسمبر ١٩٩٩م، ص ٢٢٩.

وكذا: المعجم الوسيط، ٩٨/١، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٧٢م.

المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٧٩م، ص٥٨.

٢- فكر ونقد: ع ٢. ص ٥ ـ ٦، ١٩٩٨م.

وانظر المعجم النقدي لعلم الاجتماع: بودون وبوريكو: ترجمة: سامي حداد ١٩٨٦م.

٣- مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة: كلايد كلاكهون - هاري هويجر: ص ١٣٧ ـ ١٣٩.

٤- لمزيد من الإيضاح انظر: المعجم النقدي لعلم الاجتماع: بودون وبوريكو١٩٨٦م.

: Anthropolgie Sapir (1967).

Anthropologie avec charbonnier : C.L Strauss : Collection 10-18 p: 182 - 184.

٥- المعجم النقدي لعلم الاجتماع: ص٢٢٨.

وانظر كذلك: المعجم الفلسفي: ١٩٧٩، والمعجم الوسيط: ٩٨/١ ـ ١٩٧٢.

٦- ثقافة الأذن وثقافة العين. عبدالسلام بنعبدالعالي، ط٢، دار توبقال، المغرب، ١٩٩٤م، ص٥٥.

٧- لمزيد من الإيضاح: انظر المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٧م. والمفاهيم والألفاظ في الفلسفة الحديثة: يوسف الصديق، ص١١٥.

8- Globalisation : Roland Robertson - landon, sage (1992).

9- Globalisatin : Malcom water : Routhedge - London (1995).

١٠- لمزيد من الإيضاح انظر: التربية والثقافة في زمن العولمة: د. محمد مصطفى القباج، ص ٢٤، سلسلة المعرفة للجميع، مارس، أبريل ٢٠٠٢، المغرب.

١١- العالم ليس سلعة: نقد العولمة، د. عبد الهادي بو طالب، منشورات الزمن، ط١. المغرب، ١٩٩١م، ص ٤٩ وما بعدها.

١٢- حوار التواصل: د. المهدي المنجرة، سلسلة شراع، المغرب، ١٩٩٦م، ص ١٢

١٣- فكر ونقد: عدد ٤٥، يناير ٢٠٠٢. ص ١٣٢

١٤- هذا عكس ما نراه اليوم من توجيه صريح لثقافة واحدة تريد تنميط كل الثقافات: انظر لمزيد من التفصيل مجلة الفيصل السعودية العدد٣٢٢ جمادى الأولى١٤٢٤ هـ. يوليو ٢٠٠٣ بخاصة ص ١١١ المعنون: التذويب الثقافي.

١٥- انظر المنعطف: عدد ٢٠ سنة ٢٠٠٢، ص ٢٢ وما بعدها - المغرب.

١٦- العالم ليس سلعة / ص ٥٣

١٧- لمزيد من الإيضاح: انظر: حوار التواصل: د. المهدي المنجرة، والعولمة الاقتصادية د. عباس برادة السني، ص ١٥٧، سلسلة المعرفة للجميع، عدد ١٢ يناير ٢٠٠٠- المغرب.

١٨- يصعب إلى حد كبير الحديث عن جانب من هذه المجالات بمعزل عن الآخر، وبخاصة في العصر الحالي.

١٩- انظر: جريدة الاتحاد الاشتراكي (المغربية) السبت ٥ يناير ٢٠٠٢ وجريدة الشرق الأوسط: السبت ٢٠٠٣/٣/١م، عدد ٨٨٥٩.

٢٠- انظر مثلا: الدور المهم والخطير للإعلام الأمريكي في توجيه السياسات والثقافات ضمن: مجلة البيان السعودية: عدد ١٨٩ - السنة ١٨ جمادى الأولى١٤٢٤هـ، يوليو ٢٠٠٣ م ص ٦٦ وما بعدها.





الشبه بين الحروب الصليبية والحـ

ــركة الصهيونية

عبداللطيف زكي أبو هاشم
القدس - فلسطين

إن المسجد الأقصى يجسد النصر الذي أحرزه المسلمون على الصليبيين، بريادة عماد الدين زنكي الرائد الأول لقيادة المسلمين إلى قتال الصليبيين في العراق وغيرها من الحدود المتاخمة لهم، ثم تبعه ـ ولكن بصورة أكثر وأشرس ـ القائد الرباني نور الدين زنكي (١)، هذا الذي صنع منبرًا للمسجد الأقصى الأسير، متفائلاً وموقنًا بنصر الله للمسلمين، ثم توجت هذه الانتصارات بالقائد المظفر البطل صلاح الدين الأيوبي الذي وحّد الجبهتين (المصرية والشامية) ضد الغزو الصليبي المتمركز في تلك البلاد حتى انتصر عليهم في المعركة الفاصلة (حطين) سنة ٥٨٣ هـ (١١٨٧)م.

الحروب الصليبية

لقد كان المسجد الأقصى يئن تحت المغتصب الصليبي الذي «قتل في باحة المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفًا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان، وجاور بذلك الموضع الشريف، حيث لبثوا في البلدة أسبوعًا، وأخذوا من عند الصخرة نيفًا وأربعين قنديلاً من الفضة، وزن كل قنديل ٣٦٠٠ درهم، وأخذوا تنورًا من فضة وزنه أربعون رطلاً بالشامي، وأخذوا من القناديل الصغار مئة وخمسين ... ومن الذهب نيفًا وعشرين قنديلاً، وعتموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء» (٢) وقد غاصت الخيل في دماء المسلمين حتى وصلت إلى الركب (٣)، وقد أمعن الفرنجة بالقتل في كل من وجدوه في بيت المقدس، حتى لطخت الدماء الكواحل (٤). وقد كان المسلمون بحالة لا يحسدون عليها، من تناقض وضعف وهزيمة، لقد أصاب المسلمين آنذاك انحطاط في كل شيء مما مكن الغزاة من أن يعيثوا فسادًا في تلك البقعة المقدسة كما حدث ويحدث اليوم.

هذه الحرب البشعة التي عُرفت فيما بعد بالحروب الصليبية كانت بدايتها على يد بعض القساوسة في بلاد الفرنجة، ففي يوم ٢٧ نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٠٩٥م، غصت كاتدرائية مدينة (كليرمونت) في فرنسا على رحبها بالحضور المنقطع النظير للأساقفة، وعدد غفير من الأمراء والنبلاء، والألوف من أتباع الكنيسة المؤمنين بتعاليمها والمتمسكين بما تبشر به، ومع أنه كان يومًا باردًا من أيام شهر تشرين الثاني إلا أن هذا الجمع الغفير انتقل بعدما احتشد إلى ساحة كبرى خارج الباب الشرقي للمدينة، فقد تجمع الناس كتلاً للوقاية من زمهرير الشتاء القارس، وبعدما اكتمل الحشد اعتلى منصة الوعظ البابا أوربان الثاني، وألقى خطابًا رهيبًا لم يخطب مثله من قبل واحد من بابوات الكنيسة أو قساوستها.

لقد فجر هذا الخطاب قيام ما يعرف باسم الحروب الصليبية، والحروب الصليبية هي عدوان عسكري، وصراع سياسي وعقائدي واقتصادي لم



اخفقت محاولات إسرائيل في اجتثاث الفلسطينيين من أرضهم

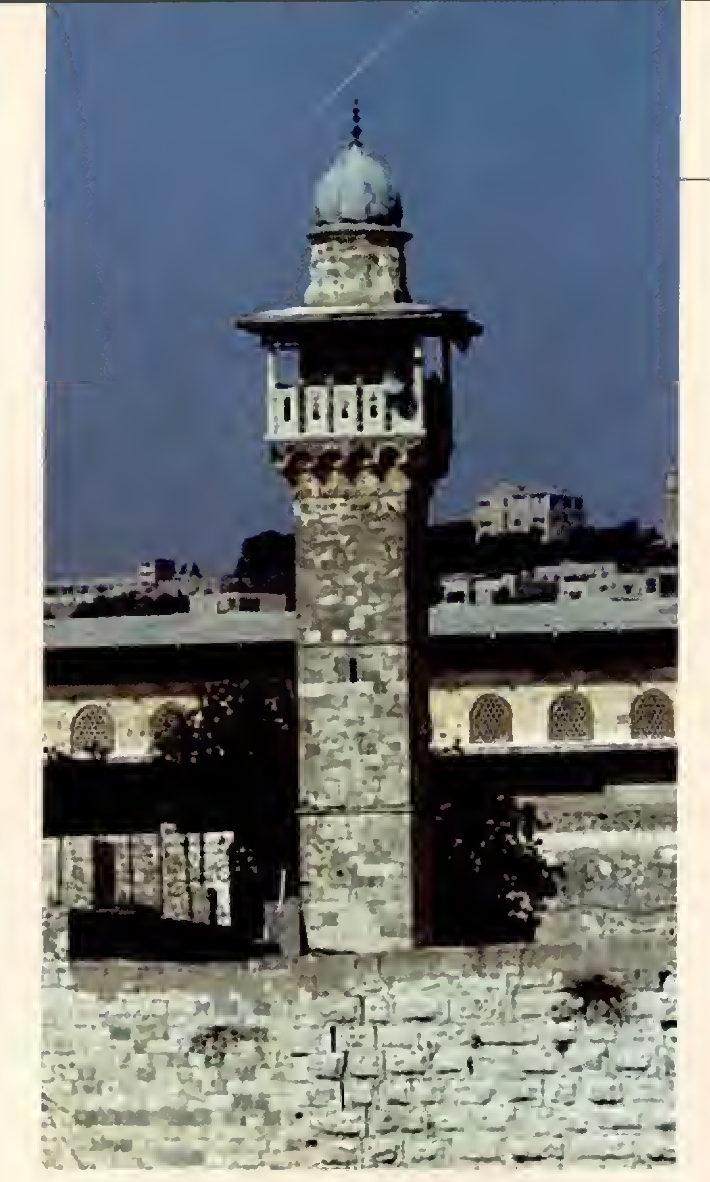
يشهد له التاريخ مثيلاً أبداً، فما الذي دفع البابا أوربان الثاني إلى إلقاء خطابه هذا وتوجيه دعوته، ثم لماذا قام البابا بالذات بتوجيه هذه الدعوة الرهيبة دون سواه، ومن هو البابا وما مكانته وتاريخه، وما الذي قصده من توجيه الدعوة إلى حمل السلاح والتوجه إلى الشرق؟ (٥).

ولقد تحدث الرحالة ابن جبير واصفاً أحوال المسلمين الذين يؤدون الجزية (الضريبة للمحتل الغاصب)، في مقابل أن يؤذن لهم في زراعة أرضهم المغتصبة التي احتلها عنوة وبالقوة. يصف لنا ذلك في رحلته فيقول: «ورحلنا من تبنين (٦)، دمرها الله، سحر يوم الإثنين، وطريقنا كله ضياع متصلة، وعمائر منتظمة، سكانها كلها مسلمون، وهم من الإفرنج على حالة ترفيه، نعوذ بالله من الفتنة، وذلك أنهم يؤدون لهم نصف الغلة عند أوان جمعها، وجزية على كل رأس دينار وخمسة قراريط، ولا يعترضون في غير ذلك. ولهم على ثمر الشجر ضريبة خفيفة يؤدونها أيضاً، ومساكنهم بأيديهم، وجميع أموالهم متروكة لهم، وكل ما بأيدي الإفرنج من المدن بساحل الشام على هذا السبيل رساتيقهم

كلها للمسلمين، وهي القرى والضياع، وقد أشربت لما ينصرون عليه من أهل رساتيق المسلمين عمالهم على ضد أحوالهم من الترفيه والترفق، وهذه من الفجائع الطارئة على المسلمين، إذ يشتكي المسلمون بعضهم بعضاً من الجور للإفرنج، ويأنسون بعدلهم في مقابل ظلمهم لبعضهم البعض، فإلى الله المشتكى من هذا الحال» (٧).

يعلق الأستاذ كمال الأسطل على ما جاء في رحلة ابن جبير بقوله: «إن ابن جبير يوضح في رحلته أنه رغم أن الصليبيين يأخذون ضرائب من الفلاحين تبلغ نصف محصولهم، فإن الفلاحين كانوا في نعم رغم قلة ما يتبقى من المحصول، حيث إن الحكام المسلمين كانوا من قبل مجيء صلاح الدين يظلمون المسلمين أكثر مما يظلمهم الصليبيون، على الرغم من الضرائب المالية المحددة والملزمة لهم. في ذلك الوقت في مثل هذه الظروف من كان يتصور أن يهب المسلمون للجهاد ضد الصليبيين في وقت انفصل فيه الحاكم عن المحكوم، وفي وقت أصبح الحاكم يسلب المواطن ما يقتات به، هل هذا الوضع سيؤدي لأن يكون المواطن جندياً من جنود الحاكم أم أنه سيدفع للثورة ضد الحاكم. هكذا كانت أحوال المسلمين قبل مجيء صلاح الدين»(٨).

يلاحظ أن كلاً من ممالك الفرنجة والدولة الصهيونية، بسبب طبيعتها الإحلالية خلقت مشكلة اللاجئين. وتطرح الدولة الصهيونية نفسها قاعدة للحضارة الغربية كلها في مواجهة العالم الإسلامي



شواهد حية على عروبة فلسطين

الأمة وحالة الفشل السياسي

على الرغم من أن الفشل السياسي (في توحيد الجهود العربية إزاء الخطر الصليبي كان يؤدي بدوره إلى مزيد من الإخفاقات العسكرية، فإن الرأي العام الإسلامي بدأ يضغط بكل قواه على الحكام ... فقد أثارت أعداد اللاجئين التي تدفقت من بلاد الشام إلى سائر بلاد المنطقة العربية مشاعر الغضب والاستياء ضد الحكام، وفي البداية عبر الناس عن مشاعرهم الغاضبة في المساجد، ومن فوق المنابر في صلاة الجمعة، وبدأت الدعوة إلى الجهاد تسري في

أوصال العالم الإسلامي، وسرعان ما تحولت إلى معركة شعبية ضاغطة يقودها المفكرون وأصحاب الرأي، وسطرت الكتب والرسائل التي تتحدث عن الجهاد وفضل المجاهدين، وعن مكانة بيت المقدسة وأهميته بالنسبة إلى المسلمين.

في ظل هذه الحركة تكون رأي عام قوي وضاغط بحيث لم يعد في وسع الحكام أن يتجاهلوه، وقيض الله لهذه الحركة أن توجه مجرى الأحداث على مدى ما يزيد على قرنين من الزمان (٩).

أوجه التشابه بين الحملات الصَّليبية والمشروع الصهيوني

يقول الدكتور المسيري: «يلاحظ الدارس عمق التشابه بين المشروع الفرنجي الصليبي والمشروع

اهتم اليهود اهتمامًا كبيرًا يفوق التصور بالحركة الصَّليبية، وبكل ما يتصل بها من دراسات، وذلك لما سكن في العقل الصهيوني من التشابه الصارخ بين التجربتين

الصهيوني الإسرائيلي، وهذا أمر متوقع لأن لكليهما جزءًا من المواجهة المستمرة بين التشكيلتين الحضاريتين السائدتين في الغرب والشرق العربي، كما أن حملات الفرنجة هي انطلاق أوربا نحو التوسع والإصرار على بسط سيطرتها على الخارج،



الحروب الصليبية أثارت مخيلة السينمائيين في الغرب

والواقع أن حملات الفرنجة احتوت بذور كل أشكال الإمبريالية الأوربية التي حكمت فيما بعد حياة جميع شعوب العالم، ولهذا أصبحت حملات الفرنجة صورة مجازية أساسية في الخطاب الاستعماري الغربي، .. وقد رأى كثير من المدافعين عن المشروع الصهيوني من اليهود وغير اليهود أنه استمرار وإحياء للمشروع الصليبي أي الفرنجي، ومحاولة وضعه موضع التقييد من جديد في العصر الحديث، فقد آلف (سي آر. كوندر) عام ١٨٩٧م، وهو صهيوني غير يهودي، ومؤسس صندوق استكشاف فلسطين كتابًا عن تاريخ المملكة اللاتينية في القدس أشار فيه إلى أن الإمبريالية الغربية نجحت فيما أخفقت فيه الحملات الصّليبية» ويمكننا أن نقول: «إن المشروع الصهيوني هو نفسه المشروع الفرنجي بعد أن تمت علمنته، وبعد أن تم إحلال المادة البشرية اليهودية التي تم تحديثها وتطبيعها وتغريبها وعلمنتها محل المادة البشرية المسيحية» (١٠).

آثار الحروب الصليبية كما تبدو في عمل فني

وهو يقارن بين الحملتين الصهيونية والصّليبية فيقول: «... كما يلاحظ أن كلاً من ممالك الفرنجة والدولة الصهيونية، بسبب طبيعتها الإحلالية خلقت مشكلة اللاجئين، كما يلاحظ أن هؤلاء اللاجئين تحولوا إلى وقود جند سكان المنطقة ضد الدولة القلعة ....، وتطرح الدولة الصهيونية نفسها باعتبارها قاعدة للحضارة الغربية كلها في مواجهة العالم الإسلامي، ويشير أحد الدارسين الإسرائيليين إلى أنه كان هناك جباية فرنجية موحدة تمامًا مثل الجباية اليهودية الموحدة» (١١).

«لقد شغلت الحروب الصليبية عددًا كبيرًا من العلماء والباحثين في إسرائيل، حتى أصبحت الجامعة العبرية من أهم مراكز الأبحاث الصّليبية في العالم يستخرجون العبر من دراسة تلك التجربة التاريخية الحية لمجتمع أجنبي حل في البلاد المقدسة، واستقر فيها قرابة قرنين من الزمن» (١٢).

«والحركة الصّليبية في جوهرها حركة استيطانية» (١٣)، «وهي حلقة من حلقات الصراع بين الشروق والغرب ... وهي حركة كبرى نبعت من الغرب

الأبحاث الصهيونية في الصليبيات على كثرتها تكاد تنحصر في مملكة القدس اللاتينية، ولا تتخطاها إلا في النادر لدراسة الإمارات الصّليبية الأخرى

الأوروبي المسيحي في العصور الوسطى، واتخذت شكل هجوم حربي استيطاني على بلاد المسلمين، وبخاصة في الشرق الأدنى بقصد امتلاكها. وقد نبعت هذه الحركة من الأوضاع الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التي سادت غرب أوروبا في القرن الحادي عشر» (١٤).

فالحركة الصَّليبية اعتمدت على المقولة الدينية لتثوير الغرب الأوربي وإثارة الدافع الديني لديه، وذلك من خلال خطبة بطرس الناسك، وتحريض البابا أوربان، حيث طرح هذا البابا في خطابه في كليرمونت أن هذه الحملة هي (حجة) تهدف إلى تحرير البلاد المقدسة من براثن (الكفار) (ذلك الجنس الخسيس الذي يعاني من الحقارة والانحطاط وتستعبده الشياطين والعفاريت) على أيدي (جنود المسيح) الذين يطيعون (أوامر الله والكنيسة المقدسة)، وهكذا زحف الغربيون نحو البلاد المقدسة تحت شعار (إرادة الله) كما بعثت الحركة الصهيونية من ركام التاريخ تعابير تفي بالغرض مثل (أرض الميعاد)، و(شعب الله المختار)، و(العهد)، و(صهيون)، و(يهودا)، و(السامرة) و(أورشليم)، وبذلك تم تشييد الهيكل الدعائي للحركة الصهيونية، آخر الحملات الصَّليبية وأشدها دهاءً، فهذه الحركة لا تزال في جوهرها حركة استيطانية مسلحة، قدمت من بلاد الغرب واستعمرت قطعة من بلاد الشرق، وأخضعت أهلها، واستندت إلى قاعدتها في الغرب لتقديم الدعم بالرجال والأموال والعتاد ولكن تغيير الأديان وما تبعه من تغيير الرموز والشعارات أديا إلى إغشاء الأبصار وتضليل العقول، فبدلاً من أن يستمر طرح التناقض بين الغرب المسيحي من جهة والشرق المسلم العربي من جهة أخرى، عرض على أنه صراع بين اليهود والعرب ودعي بالقضية الفلسطينية» (١٥).


الحركة الاستيطانية لاتزال مستمرة على قدم وساق

لقد اهتم اليهود اهتمامًا كبيرًا يفوق التصور بالحركة الصَّليبية، وبكل ما يتصل بها من دراسات، وذلك لما سكن في العقل الصهيوني من التشابه الصارخ بين التجربتين وبين المشروعين الاستعماريين (المشروع الصليبي . المشروع الصهيوني) والقاسم

يستاء الصهيونيون من مقارنة حركتهم بالحركة الصَّليبية لما تتضمنه تلك المقارنة من جعل إسرائيل عنصرًا دخيلاً على الشرق سيلفظه كما لفظ الدولة الصَّليبية من قبل



المشترك بينهما هو الأب الداعم الأوربي الذي رأى في وجود المشروع الصهيوني قضية كبرى لمصلحته الإستراتيجية في المنطقة. وللإحساس العميق لدى الدارسين الإسرائيليين بالمصير الذي لاقته الحملات الصّليبية في هذه البلاد، وهي (التجربة الصّليبية)

تستخدم الحركة الصهيونية التاريخ بمختلف مناهجه لدراسة ظاهرة الحروب الصليبية أو "تاريخ مملكة القدس اللاتينية" كما يحلو لمؤرخيهم تسميتها

وهي النموذج التاريخي الحي الذي يمكن استقراؤه وتمحيصه للاستفادة من تجربته، ولتلافي أخطائه التي عجلت بإنهائه.

لا يجوز بحث موضوع الدراسات الصهيونية للحركة الصّليبية دون الإشارة إلى يهوشع برافر عميد الدراسات الصّليبية، وهو المؤسس الأول لهذه الدراسات، وأصبحت هذه الدراسات تعرف فيما بعد بـ (السلفانيوت) في مقابل (Crsders) الكلمة الإنجليزية، وتميز دراسات برافر بأنه أول من نظر إلى الحركة الصّليبية على أنها حركة استيطانية كولونيالية، فكتب أبحاثًا رائدة في مشروع الدولة الجديدة، ومهد لتلاميذه الذين أصبحوا زملاءه فيما بعد سبل البحث في كيان الدولة ومؤسساتها وطبيعة الحكم فيها والأسس التشريعية لهذا الحكم، ونظامها العسكري، وتطور مفهومها الأمني، وتأثير العوامل الجغرافية، كالصحراء على الاعتبارات الاستراتيجية، وطبيعة علاقة الصّليبيين بالسكان المحليين المدعوين بالأقليات من مسلمين ومسيحيين شرقيين ويهود، وبدو، وإسماعيلية، وموارنة، بكثير من التفصيل ... ودرسوا الحياة الفكرية والعقلية في تلك الفترة ... وقد ركزوا أيضًا في الدراسات الإسلامية، إذ درسوا الوضع السياسي والاجتماعي المعاصر في المجتمع العربي ـ الإسلامي، والحياة العقلية والفكرية والأدب والأشعار والأمثال الدارجة في تلك الفترة، ثم بحثوا في فكرة الجهاد وفاعليتها في تحريض المسلمين على القتال (١٦)، كما درسوا طبيعة الحكم والعلاقات الطبقية والتجارية والزراعية ومدى انعكاس هذه العوامل على الدولة الصّليبية.

وليس أدل على نشاط العلماء الإسرائيليين في هذا المجال أكثر من عضويتهم في (جمعية دراسة الصليبيات والشرق اللاتيني) ومركزها بريطانيا، إذ

ينضم الآن إلى هذه الجمعية خمسة وعشرون عالمًا وعالمة من إسرائيل من أصل ٢٣٧ من جميع أنحاء العالم، مقابل سبعة علماء عرب !! والأبحاث الصهيونية في الصليبيات على كثرتها تكاد تنحصر في مملكة القدس اللاتينية، ولا تتخطاها إلا في النادر لدراسة الإمارات الصَّليبية الأخرى في طرابلس وإنطاكية والرَّها، وقد يعكس ذلك اهتمام الإسرائيليين عمومًا بالتركيز في التاريخ غير العربي - الإسلامي لفلسطين، ولكن على أي حال لا يدل على اهتمام علمي مجرد بالوجود الصليبي في الشرق بعامة بل ينحصر ذلك في الكيان الذي قام في الأراضي المقدسة.

ويستاء الصهيونيون من مقارنة حركتهم بالحركة الصَّليبية لما تتضمنه تلك المقارنة من جعل إسرائيل عنصرًا دخيلاً على الشرق سيلفظه كما لفظ الدولة الصَّليبية من قبل، ونعتقد أن تشريحهم للكيان الصليبي يستهدف استخلاص العبر من تمكنهم من تجنب ذلك المصير، ونرى أنهم نجحوا بالفعل في تفادي أخطاء الصَّليبيين في عدة نواحٍ أساسية، كاستعمال اليهود في الزراعة، وتأسيس الجامعات،

يلاحظ الدارس عمق التشابه بين المشروع الفرنجي الصليبي والمشروع الصهيوني الإسرائيلي، وهذا أمر متوقع لأن لكليهما جزءًا من المواجهة المستمرة بين التشكيلتين الحضاريتين السائدتين في الغرب والشرق العربي



وتشجيع العلم والفكر، وتهجير السكان الأصليين، وتشجيع الهجرة اليهودية بشتى الوسائل، والتمييز بين الأقليات، وتعميق العلاقات الصهيونية الدولية، والتدخل بشكل فعال في شؤون البلاد المجاورة، ولكنهم لم ينجحوا في نواح أخرى مثل التمسك بالعنصرية، وعدم الانصهار في الشرق، والاعتماد على المساعدات الخارجية، والإخفاق في اجتذاب عدد أكبر من المهاجرين من البلاد الغربية.

أما التشابه الأساسي بين التجربتين فهو التشابه الاجتماعي الإنساني.. ووجوه الشبه بين هاتين الدولتين صارخة إذ إن كلاً منهما حركة بنيت على الدين، مسلحة عدوانية استيطانية غربية المصدر فلسطينية المستقر، عنصرية غير انصهارية، اعتمدت على الدعم الغربي ماليًا وعسكريًا ودعائيًا واجتماعيًا، ثم إن كلاً منهما نشأت في فترة انقسام وشرذمة الشرق.

الأمن هاجس الاحتلال الصهيوني

أوجه الاختلاف بين الصليبية والصهيونية

الحركة الصليبية: نشأت في فترة تكافؤ القوى بين المشرق الإسلامي والغرب المسيحي من حيث القوى السياسية، والاقتصادية والعلمية فلم يكن انتصار الصليبيين تعبيرًا حقيقيًا عن موازين القوى، فقد كانت الجيوش العربية، وموارد المنطقة الاقتصادية والبشرية تكفل هزيمة ساحقة إذا ما جمعتها جهة موحدة، وهو ما حدث بالفعل بعد ذلك، ولكن التشرذم العربي، بل ومساندة بعض المسلمين للجيوش الصليبية وميراث الحقد والشك والضغائن بين حكام المنطقة جعلت انتصار الصليبيين أمرًا منطقيًا (١٧).

نبه الدكتور شاكر مصطفى على أن اهتمامات المستشرقين اليهود منحصرة في نقطة وحيدة هي: "كيف تم طرد الصليبيين من هذه البقاع نفسها التي يحتلونها"، لهذا لا يهمهم بحث ما قتله الغربيون بحثًا، ولكن تهمهم الرمال المتحركة تحت الغزاة في فلسطين

الحركة الصهيونية: نشأت في فترة تفوق فاضح للغرب على الشرق في جميع المجالات وبالأخص

الجانب العسكري، مما أدى إلى استيراد الأسلحة من الغرب الأوربي والأمريكي، ومن ثم حوصر المشرق، وافتقد استقلاليته الفكرية، وافتقد قراره السياسي والعسكري، إذ إن قراراته كانت تتلاءم مع ظروف توفر الأسلحة اللازمة، في حين انخرط المجتمع الصهيوني علميًا وثقافيًا وعسكريًا، فأصبح أكثر مقدرة على إنتاج الأسلحة المتطورة.

الموقف اليهودي من الحروب الصليبية

إن الموقف اليهودي من الحركة الصليبية نابع من إدراكهم حقيقة الوظيفة الحضارية للتاريخ كعلم، فهم يدرسون تاريخ الحركة الصليبية مع التركيز في الوجود اللاتيني فوق أرض فلسطين، وطبيعة علاقات الصليبيين بشعوب المنطقة، وعوامل النجاح التي حققت لهم الانتصارات الأولية، ثم عوامل الفشل والإخفاق التي أدت إلى رحيل الصليبيين من المنطقة العربية ونهاية دولتهم.. إذ إن هناك كثيرًا من أوجه التشابه بين الصليبيين والإسرائيليين. فكلتا الحركتين استعمارية استيطانية، تسربلت برداء الدين، وارتكزت على مفهوم الخلاص، وكل من مملكة بيت المقدس اللاتينية وإسرائيل كيان غريب، يضم مجموعات بشرية متفاوتة الثقافات والدرجات الحضارية، زرع في أرض عربية اللسان، إسلامية الثقافة، مشرقية السمات، كما أن الصليبيين والصهاينة يشتركون في الاعتماد على كلتا الحالتين، فضلاً عن جوانب أخرى تشابه فيها الصليبيون والإسرائيليون، منها الطابع العسكري للمجتمع وتوظيف موارد هذا المجتمع كافة من أجل الحرب، ومنها العنصرية التي تختفي خلف ستار الدين. هذا التشابه هو الذي يغري الكثيرين من الدارسين اليهود بدراسة تاريخ الحركة الصليبية، وتسخير نتائج دراساتهم في دراسة مستقبل الكيان الصهيوني (رؤية إسرائيلية: قاسم عبده قاسم، ص٢٤٨ - ٥٠) بتصرف.

«والباحثون الإسرائيليون يولون الصليبيات عناية فائقة، يرون فيها الحركة الرائدة والتجربة السالفة، فالغزو الصهيوني يشبه في غزوه واحتلاله الغزو الصليبي، يهتمون بالمشكلات التي واجهت الصليبيات، الأمن، والاستيطان، والعمائر والمستوطنات الحربية، ونقص في الطاقات البشرية، ويدرسون الموقف في الشرق العربي الإسلامي، وهناك فرق عمل كاملة في الجامعات العبرية تخصصت في دراسة الحروب الصليبية، يهوشع بروار، وميرون بنفينستي، وبنيامين أربل، وآرييه جرابوس، ويأئيل كاتزير، والقائمة طويلة، يكتبون بالعبرية، والإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية، والروسية، ويتابعون ما يُنشر عن الصليبيات في العالم أجمع، ويشاركون في الجمعيات العلمية المهتمة بدراسة الصليبيات مثل جمعية دراسة الحروب الصليبية والشرق اللاتيني بإنجلترا، الصليبيات في حد ذاتها لا تهمهم، وإنما يهتمون بها لكونها نقلة بين الحركة الصهيونية والمستقبل، ولإسقاط التاريخ على الواقع المستقبلي، درسوا القلاع الصليبية ونظم التحصين الصليبي في مرتفعات الجولان، وحللوا رحلات الحجاج والتغير في الرؤية للأرض المقدسة، درسوا الجغرافيا التاريخية لفلسطين إبان الحروب الصليبية، وتاريخ اليهود والأحياء اليهودية والاستيطان الصليبي، والإقطاع وقوانين الإدارة والتجارة والحدود، والسقوط المفاجئ لمملكة بيت المقدس، وطرد آخر بقايا الصليبيين غداة سقوط عكا، هذه المسألة في الماضي، وممتدة في المستقبل.

الإسرائيليون يتحسسون في الصليبيات مصير الغد، الصليبيات والصهيونيات كأنهما فلقتان أخرجتا من بذرة واحدة كان النصف الأول من البذرة في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي، والنصف الآخر من القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر





عملان يصوران الحروب الصليبية وفق الرؤية الغربية

الميلادي، المكان واحد وهو فلسطين، الغزوة الصليبية والغزوة الصهيونية نتاج مشكلات أوربية داخلية خالصة اجتماعية واقتصادية...إلخ!! (١٨).

الحروب الصليبية في العقل الصهيوني

تستخدم الحركة الصهيونية التاريخ بمختلف مناهجه

شغلت الحروب الصليبية عددًا كبيرًا من العلماء والباحثين في إسرائيل، حتى أصبحت الجامعة العبرية من أهم مراكز الأبحاث الصَّليبية في العالم يستخرجون العبر من دراسة تلك التجربة التاريخية الحية لمجتمع أجنبي حل في البلاد المقدسة

لدراسة ظاهرة الحروب الصليبية أو «تاريخ مملكة القدس اللاتينية» كما يحلو لمؤرخيهم تسميتها، إذ إن هناك مؤسسات علمية بحثية تقوم بتنظيم فرق بحث لدراسة تاريخ الحملات الصليبية لتستخلص منها العبر، ومن خلال استخلاص تلك العبر تقوم بالكشف والتنقيب عن النموذج المماثل لها في التاريخ ليتم الكشف عن أوجه التشابه بين التجربتين ـ حيث التمزق والتشرذم الذي تعانيه الأمة آنذاك، وتعانيه اليوم، وبالصورة نفسها بل أكبر وبشكل مكثف جدًا وأبشع، على الرغم من أن انتصار الصليبيين آنذاك لم يكن تعبيرًا حقيقيًا عن موازين القوى، فقد كانت الجيوش العربية، وموارد المنطقة البشرية تكفل هزيمة ساحقة إذا ما جمعتها جهة موحدة، وهو ما حدث بالفعل بعد ذلك، ولكن التشرذم العربي، بل ومساندة بعض المسلمين للجيوش الصليبية، وميراث الحقد والشك والضغائن بين حكام المنطقة جعلت انتصار الصليبيين أمرًا منطقيًا (١٩). وهذا من أهم عوامل انشغال الوعي الصهيوني بهذه الحروب وبتلك الحملات، حيث أخذت



الحركة الصهيونية درست بعمق كل مايحيط بالحروب الصليبية

حيزًا مهمًا من انشغال العاملين في الأبحاث الاستشراقية والصراعية، فتتم دراسة الوقائع والتطورات والعبر ذات الصلة بالحملات الصليبية ومواجهتها، ودراسة الظروف العربية التي سبقت وسادت القرنين الثاني عشر والثالث عشر، والوقوف مليًا عند معركة حطين عام ١١٨٧م: مقدماتها ومجرياتها ونتائجها والدروس المستخلصة منها، مع محاولة صهيونية مكشوفة لتزوير التاريخ بجانب أو بآخر مما يتصل بالفترة المدروسة (٢٠).

لقد أعدت الحركة الصهيونية العدة الكاملة لدراسة الظاهرة الصليبية، فهناك المؤسسات

والجامعات والمعاهد والباحثون. ويتضح لنا ذلك حينما نعرف أن اليهود من أنشط الاستشراقيين.

رصد المستشرقين الإسرائيليين للمصادر العربية والإسلامية التي كتبت في عصر الحروب الصليبية

المستشرقون اليهود ليسوا بدعًا في ذلك، إذ إنهم يحاكون الاستشراق الغربي بجميع مناهجه ومؤسساته التي أسست من أجل المعرفة ومن ثم السيطرة، معرفة هذا الشرق للسيطرة عليه وعلى خيراته، فهم أخضعوا الشرق أو بلاد المشرق العربي للدراسة وجعلوا منها حقلاً غنيًا لدراساتهم.

والمستشرقون الأوربيون هم الرواد في الدراسة والبحث والتحليل واستخلاص العبر من خلال دراساتهم عن الحروب الصليبية أو ما يعرف بالصليبيات CRUSDES، إلا أن الفارق بينهم وبين الاستشراق اليهودي هو أنه ليس قلقًا على مصيره كما هو الحال في إسرائيل.

على أن بعض هؤلاء المستشرقين اليهود هم تلامذة للمؤسسات الاستشراقية الأوربية، لذلك يقوم الاستشراق، بجميع فرقه ومؤسساته، بمختلف اهتماماتها، بدراسة المصادر العربية والإسلامية ورصدها والتي ألفت وكتبت قبل الفتح الصلاحي وبعده وفي أثناء الحروب الصليبية ـ حروب الفرنجة.

الحركة الصليبية نشأت في فترة تكافؤ القوى بين المشرق الإسلامي والغرب المسيحي والحركة الصهيونية نشأت في فترة تفوق فاضح للغرب على الشرق

وقد قامت الجامعة العبرية في القدس والمكتبة الوطنية بتوفير جميع تلك الدراسات والمؤلفات للباحثين والدارسين، ولا بدع في ذلك فمكتبة الجامعة العبرية من المكتبات المهمة جدًا والعريقة، وفيها من الكتب ما لا يوجد في غيرها حيث تجاوزت محتوياتها من الكتب العربية المليوني كتاب عدا الكتب باللغات الأخرى، وفيها من المخطوطات العربية الكثير، وبالذات ما تم الاستيلاء عليه من خزائنها الأصلية، ودور أصحابها التي صودرت في أثناء النكبة عام ١٩٤٨م.

ويوجد فيها أيضًا معظم المخطوطات العربية المهمة على المصغرات الفيلمية (ميكروفيلم وميكروفيش)، وهناك دور للأرشيف تحتفظ بمئات الألوف من الوثائق، فلا عجب حينما يتصدون لدراسة تلك الحقبة وتلك الفترة.

وقد بين المؤرخ الكبير الدكتور شاكر مصطفى في محاضرة قيمة له بعنوان «الإسلام والصليبيات» وهي بمنزلة عرض وتعليق لكتاب المستشرق اليهودي عمانويل سيفان، ونبه الدكتور شاكر مصطفى على أن اهتمامات المستشرقين اليهود منحصرة في نقطة وحيدة حسب قوله هي: «كيف تم طرد الصليبيين من هذه البقاع نفسها التي يحتلونها»، لهذا لا يهمهم بحث ما قتله الغربيون بحثًا، ولكن تهمهم الرمال المتحركة تحت الغزاة في فلسطين وحول فلسطين، إنهم يدرسون معنى الجهاد وكيف استيقظ في المشرق العربي، ومدى حيوية الشام بالذات، وتأثير فكرة الجهاد قبل الصليبيات وخلالها وبعدها، يحللون مدى قدسية القدس وعناصرها في نفوس المسلمين، وردود فعلهم ضد الاحتلال الغريب، ويبحثون عن جذور الترابط في المنطقة من مصر إلى العراق، عن أسباب توحدها في حطين وما بعدها.

ويضيف د. مصطفى قائلاً: «ولاحقت نصوص التراث التي تتداولها المجموعة الصهيونية بالدراسة،

فإذا التراث الذي نتصور أنه نائم في دمائنا وفي أدراجنا هو لديهم كيان كامل على المشرحة، يستنطقونه ويحكمون علينا من خلاله، يدرسون خطب الجهاد منذ عهد الفتوح مرورًا بالحمدانيين حتى العهد المملوكي، وكل الكتب التي ألفت في الجهاد أو كتبت عنه، وبخاصة كتاب الجهاد الذي ألفه علي بن طاهر السلمي النحوي المتوفى سنة ٤٩٨هـ، والذي كان يدرسه في الجامع الأموي ١٢ جزءًا، إثر الاحتلال الصليبي للقدس مباشرة، وقد صور اليهود هذا الكتاب من المكتبة الظاهرية بدمشق، ونشروا بعضه عام ١٩٦٦م، ويدرسون كذلك أحكام الجهاد وفضائله لعز الدين السلمي، وكتاب الجهاد الذي وضعه القاضي بهاء الدين بن شداد لصلاح الدين الأيوبي، ضمن كتابه (دلائل الأحكام)، فكان «كتاب المخدة» عنده لا يفارقه. بينما يدرس الصهيونيون الكتب التي تتحدث في فضائل الشام والقدس ومقارنتها بمكة والمدينة (وتصل إلى خمسة وثلاثين كتابًا).

وأشار د. مصطفى أيضًا إلى اهتمامات الإسرائيليين حتى بالشعراء الذين عاصروا الحروب الصليبية حتى الصغار منهم، ممن عاشوا الفترة الصليبية، كما يدرسون كتاب الفقه والفتاوى، وبخاصة تلك التي أصدرها العلماء (كالإمام النووي) و(كتاب المغني لابن قدامة)، ويدرسون السير الشعبية ويرونها منجم المشاعر العميقة للجموع المقاتلة، مثل سيرة الأميرة ذات الهمة، وسيرة عنترة وفتوح الشام للواقدي، وفتوح الشام الأخرى للأزدي،

المراجع والهوامش

١. بصدد مراجعة ما كتب عن هذا القائد الإسلامي العظيم، انظر: نور الدين بن زنكي: د. حسين مؤنس، القاهرة: الزهراء للإعلام الإسلامي، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

يقول عنه الكاتب الكبير الأستاذ علي الطنطاوي: «نور الدين زنكي بن الشهيد الرجل الذي مهد الطرق لصلاح الدين، ووضع له الأساس، وشرع له المنهج، وكان إمامه وقدوته في كل خير، وأحد الرجال الذين لم يعرف تاريخ البشرية كلها أطهر منهم نفوسًا، ولا أقوم سيرة، ولا أعظم أثرًا، اللهم إلا الأنبياء، الذين لا تجد عليهم مطعنًا في دين ولا خلق ولا سياسة ولا قيادة، والعظماء من غيرهم إن استكملوا ثلاثًا من هذه الأربع نقصتهم الرابعة، الرجال الذين لا تجد أمثالاً لهم في غير التاريخ الإسلامي: أبي بكر، وعمر، وعمر بن عبدالعزيز، ونور الدين محمود بن عماد الدين الزنكي، وصلاح الدين الأيوبي.. ومن سار سيرتهم وسلك طريقهم». انظر: رجال من التاريخ: علي الطنطاوي، جدة: دار المنار، ط٨١٩٩٨م. (ص ١٨١ . ٢٠٤).

ويعزز مقولة الأستاذ علي الطنطاوي المؤرخ البحاثة د. سهيل زكار، فيقول: «كان نور الدين زوجًا لابنة أنر وزير دمشق، ومنذ وفاة مالك ظهر بأنه الرجل الذي سيحل محله في الزعامة، وكان حادث اغتيال زنكي قد طوى مرحلة حرب الاسترداد الأولى، وهكذا انتهت مرحلة الموصل لتبدأ مرحلة حلب، وهي المرحلة الثانية للتحرير، وتسلم نور الدين محمود بن زنكي القيادة بعد سقوط أبيه، وكان نور الدين - الذي اتخذ من حلب مقرًا له - مثله مثل أبيه في الشجاعة والحزم والإخلاص والطموح، إنما تميز عن أبيه بتقواه وزهده وسلامة نيته، فقد كان يعتقد بأن الله تعالى قد وكل إليه مهمة اقتلاع الفرنجة من ديار المسلمين، وتوحيد هذه وأهلها تحت راية واحدة، ولهدف جهادي واحد. انظر تاريخ الحروب الصليبية، صنفه باللاتينية: وليم رئيس أساقفة صور، ١١٣٠ - ١١٨٥م، ترجمة وتقديم: د. سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٩٠م.

٢. انظر الكامل في التاريخ لابن الأثير (ص ٢٨٢ . ٢٨٥)، عن الحروب الصليبية في كتابات المؤرخين العرب المعاصرين لها، تأليف: حسين أحمد أمين، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٣م، ص٣٤.

٣. يقول فوشيه الشارتري واصفًا فظائع الصليبيين في هذه البلاد: «الإفرنج يجوسون المدينة، شاهري السيوف، لا يشفقون على أحد، حتى على الذين يتوسلون الرحمة، سقط شعب الكفار تحت ضرباتهم مثلما تسقط جوزات البلوط المهترئة من شجر البلوط حين يهزون أغصانها». فوشيه الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: د. زياد العسلي، عمان: دار الشروق.

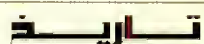
ويقول في موضع آخر: «إنا لم نترك منهم أحدًا على قيد الحياة». بهذه الصورة وصف فوشيه أعمال الفرنجة عشية استيلائهم على المدينة المقدسة أمام عينيه في الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة ٤٩٢هـ، ١٥يوليو ١٠٩٩م، فقد امتزجت صلواتهم المحمومة أمام (قبر السيد المسيح) بدماء الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والمقعدين، حتى رؤوس الرضع سحقت على الحجارة. مجلة العربي: ص١١٥، ع٤٩٨، المحرم ١٤٢١هـ، مايو ٢٠٠٠م.

وقصة علي نور الدين المصري مع مريم الزنارية، ويصلون حتى تحليل النكات والنوادر، هكذا يقوم المستشرقون الإسرائيليون بتحري الأسباب التي تدفع الباحثين والمستشرقين الصهاينة إلى التوغل في أعماق غابات الكتب الصفراء قراءة، وتحقيقًا واستخلاصًا، وذلك لأن في التراث العربي قرائن وأدلة ثابتة على ما كان سائدًا في الفترة التي تنتمي إليها هذه المؤلفات، لذلك فالدراسات التي يقوم بها المستشرقون الإسرائيليون للنتاجات الفكرية والثقافية التي ظهرت إبان الحقبة الصليبية وقبلها، تسعى إلى وضع اليد على التغيرات الكمية التي قادت إلى التغيرات النوعية في تاريخ المنطقة مع معركة حطين وغيرها، ووضع اليد كذلك على السياق العام الذي جاء فيه صلاح الدين الأيوبي، والتراث العربي إذ يعكس بأمانة هذا المعطى، فإنه يقدم في الوقت ذاته مؤشرًا إلى ضرورة التحسب لاحتمالات تكرار ظاهرة الانتصار العربي الساحق على الغزو الأجنبي مستقبلاً. لذلك فمعركة حطين تشكل كابوسًا يجثم على الإسرائيليين، والأهم من هذا العامل ذي الطابع النفسي هو ذلك الهم الإسرائيلي المشحون الذي يُعنى بالتعرف إلى أوضاع الصليبيين في الشرق، وتصدع بنائهم الاجتماعي. الانقسامات - انقطاع العون الخارجي، وبالتعرف إلى الاستثمار العربي للإمكانات المتاحة (توحيد البلاد - استنهاض هم الجهاد - التنظيم - إدارة الصراع - ارتباك العدو - بناء الإنسان... إلخ)، وصولاً إلى الانتصار.

---

٤. انظر مقدمة د. زياد العسلي لكتاب فوشيه الشارتري (تاريخ الحملة إلى القدس).
٥. انظر: تاريخ الحروب الصليبية الأعمال المنجزة فيما وراء البحار: صنفه باللاتينية: وليم رئيس أساقفة صور، ١١٣٠ - ١١٨٥م، نقله إلى العربية: د. سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٩٩٠م، ج١/ص٧.
٦. تبنين: بلدة في جبال بني عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور. معجم البلدان: ياقوت الحموي، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٢/ص١٦.
٧. هنا يذكرنا ابن جبير باستنكاره هذا على المسلمين بقبولهم المستعمر المحتل والتعامل معه، ولقد كان ابن جبير - رحمه الله - من أوائل من يرفضون ما نستطيع أن نقول عنه بلغة اليوم (التطبيع)، وهو ما حذرنا منه معظم المفكرين والسياسيين، وعلى رأسهم المفكر الإسلامي الجزائري مالك بن نبي، في كتابه «سيكولوجية الاستعمار»، فقد نبه على نظرية خطيرة فحواها «قابلية الشعوب للاستعمار». انظر مالك بن نبي.
٨. انظر كتاب: مستقبل إسرائيل بين الاستئصال والتذويب: تأليف: كمال محمد الأسطل، القاهرة: دار الموقف العربي، ١٩٨٠م، ج٢/ص ١٥١ - ١٥٢.
٩. راجع مقدمة الدكتور العسلي: تاريخ الحملة إلى القدس.
١٠. انظر موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج٦/ ص١٣١ - ١٣٢، د. عبدالوهاب المسيري، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٨م.
١١. المرجع السابق نفسه، ص١٢٢.
١٢. انظر: مقدمة كتاب فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: د. زياد العسلي، ص٥.
١٣. انظر بهذا الصدد: المسيري، الموسوعة، ج٦/ص١٢٤، وراجع مقدمة زياد العسلي، ص٩.
١٤. انظر الحركة الصليبية صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، ج١/ص ١٩ - ٢٢، بتصرف، ط٥، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩٣م.
١٥. انظر مقدمة كتاب د. زياد العسلي: تاريخ الحملة إلى القدس، ص ١٣ - ١٤.
١٦. بصدد التعرف إلى تاريخ جهاد المسلمين للحملات الصليبية انظر كتاب: الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في العهد الأيوبي، للدكتور: فايد حماد محمد عاشور، القاهرة: دار الاعتصام، ط١، ١٩٧٧م.
١٧. انظر رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية: د. قاسم عبده قاسم، القاهرة: دار الموقف العربي، ١٩٨٣م، ص ١٩٩ - ٢٠.
١٨. انظر: مقالة محمد عيسى صالحية: مجلة العربي، ع ٤٩٨، مايو: ٢٠٠٠م، المحرم ١٤٢١هـ، ص ١١٥ - ١١٧ بتصرف.
١٩. نظر: رؤية إسرائيلية للحروب الصليبية: د. قاسم عبده قاسم، القاهرة: دار الموقف العربي، ١٩٨٣، ص ١٩٩ - ٢٠.
٢٠. انظر: أبحاث الصراع لدى إسرائيل، ص٢٢٦.





الطب والأطباء في عهـ

ــــد الفراعنة

طارق العمراوي

جندوبة ـ تونس

إن الحضارة الفرعونية بغناء ميراثها الأدبي والأثري والتاريخي ما زالت تشد إليها الأنظار لفهم كل معطيات التطور المعرفي والحضاري لهذه التجربة الإنسانية السباقة تقريبًا في كل المجالات.

وها هو ذا الطب أحد أهم الإنتاجات البشرية المرتبطة عضويًا ببقاء الجنس البشري والمحافظة عليه، تتداخل عناصره النظرية في الأوراق البردية بين التوق إلى الانعتاق من السحر والشعوذة والتدجيل والارتباط به في مجموع البرديات الموجودة بالمتاحف التي تحدثنا عن تحضير العقاقير، والآلات الجراحية، وتشخيص الأمراض، وغيرها من المسائل التي وجدت محفورة ومرسومة بالمقابر والمعابد.

علاقة الطب الفرعوني بالسحر

تزخر الدلائل الأركيولوجية بالكثير من الدلالات التي تصف مدى متانة العلاقة الرابطة بين السحر والآلهة وتسلطهم على البشر. كما عدّ القمل عقابًا إلهيًا، وكتبت له التمائم كما التميمة ضد لدغة الأفعى كما مدتنا بردية «سميث» بتعويذة لتحويل الكهل إلى شاب، وأدعية لإبعاد الرياح الموبوءة، وتكتب هذه التعويذات السحرية على قطع من الفخار أو على ورق البردي، وتوضع في سائل، ثم يشرب بعد ذلك.

وتتلى بعض العزائم على العسل، وعند تحضير الأدوية. ومما يجدر بنا الإشارة إليه هو طريق التقدم الطبي لدى أطباء الفراعنة الذي تأخر وتباطأ في فترة اعتقد فيها الناس نجاعة السحر فوق نجاعة الطب وعقاقيره على الرغم من أن قرطاس «إيبرس» بصمات السحر والعزائم فيه قليلة.

كما تزخر الموروثات بالكثير من الأدلة التي تثبت متانة العلاقة الرابطة بين السحر، والآلهة والطب، فهذه العلاقة الثلاثية الأطراف تبتدئ بتصنيف الكتب السحرية ضمن العلوم المقدسة وإعطاء وظائف طبية شافية لبعض الآلهة واختصاصهم بها، مثل: خونسو إله القمر يشفي بعمليات سحرية، وإزيس إلهة الطب الحقيقية، و«نيت» إلهة التناسل والحوامل، و«سخت» إلهة الجراحة، و«محوتب» إله الطب.

كما سميت المستشفيات باسم هذه الآلهة، كما في مثال «نيت» شيّدوا باسمها معبدًا خاصًا لتعليم القابلات وتمريض الحبالى، وكانت المعبودة إزيس تعبد في مدينة صا الحجر، والنساء يزرن معبدها ليضعن فيه.

فالعلاقة جدلية بين أمراض متفشية وكثيرة يوجب علاجها بالسحر وعالمه الغريب بتعويذاته وتمائمه الكثيرة والموجهة، فلكل مرض تمائمه وتعويذاته المحبوكة والمنظمة تحت إشراف آلهة اختصت بهذه العمليات السحرية أولاً، ثم الوقاية العلاجية ثانيًا. فإذا كانت نقطة القمة هي الآلهة فلأنها هي محور التحرك الثلاثي: آلهة - طب - سحر، فالحركة تكون إلهية



مصحوبة بالسحر والطب لإيقاف أي عقاب إلهي، كالقمل مثلاً أو بشيطان أو روح دخل الجسد وأحدث عدم توازن ليتدخل السحر الطبّي أولاً بتعاويذه وتمائمه، ولتلتحق العقاقير والأدوية ثانيًا من أجل استرجاع التوازن الحسي والروحي للجسد البشري.

فأصل العملية بطريقة ثانية مرض مسّ الجسد أو الروح، ولعل أمراض الروح أو الأمراض النفسية هي التي كانت المدخل الرئيس للطب السحري واستفحاله وأخذه بزمام المبادرة وسيلة لشفاء الناس من أمراضهم، حتى الجسدي منها عدّوه عقابًا إلهيًا، مثل القمل، أو عُدَّ حالة خاصة. ومن هنا دخل الطب ليشخص، ويقدم وصفات وقائية ثم علاجية.

التداوي من الوقاية إلى العقاقير

اختلف العلماء فمن قائل بأن كثرة الأطباء دلالة على انتشار الأمراض والقائل مثل هيرودوت بأن أحسن الأمم صحة هم الأوروبيون ثم المصريون، المهم تتعدد الأمراض لدى المصري قديمًا، وسنأتي على ذكرها لاحقًا.

فإلى جانب القراطيس الطبية للعقاقير والأدوية والعزائم والتمائم تفطن المصريون إلى فكرة الوقاية، فهذا «منفتاح الأول ابن رمسيس II نفى من أرض مصر نحو ٨٠٠٠ إسرائيلي مصابين بالبرص إلى محاجر كرة كيلا تنتشر العدوى بين الناس» (١). هذا الأداء الذي تم

تزخر الموروثات بالكثير من الأدلة التي تثبت متانة العلاقة الرابطة بين السحر، والآلهة والطب. فهذه العلاقة الثلاثية الأطراف تبتدئ بتصنيف الكتب السحرية ضمن العلوم المقدسة



عالم الطب الفرعوني غريب بتمائمه وتعويذاته

تناقله بواسطة العبرانيين والفينيقيين، فالذباب ينقل الرمد، ويساعد على انتشار مرض العمى للناس الذين لايعرفون النظافة؛ لذلك توجب تجديد الهواء في المكان، أما البعوض فقد نقل هيرودت «أن أهالي تلك البقاع كانوا يعتنون بجعل مبانيهم مرتفعة جدًا لتكون في طبقات من الهواء عالية نقية بعيدة عن تطاير هذه الحشرة» (٢) المنتشرة في الجهات التي بها المستنقعات والقمل، واستعانوا عليه بأمشاط تسريح الشعر وعادة ما كان الرجال يحلقون ذقونهم ورؤوسهم.

وهذا الملك مينا شيّد بمدينة منفيس جسرًا عظيمًا

توصل به إلى تجفيف الأراضي لتتناقص الأمراض، وتحذير الأهالي من التجوال بعد غروب الشمس في الأسابيع الأولى من زمن الفيضان. وفي الأخير ازداد الاهتمام بالنظافة لإيقاف تسرب الأمراض ، وكان الكهنة يغتسلون مرتين في الأحواض التابعة للمعابد.

أما عالم العقاقير فقد سبقته تعاويذ السحرة الأطباء الروحانيين، وعلى الرغم من تقدم المصريين القدامى في هذا المجال، واحتواء البرديات على أكثر من ٥٠٠ دواء جمعها لوريت (Loret) إلاّ أن الأناشيد والأدعية والتمائم لم تفارق القراطيس الطبية، فهذه بردية «إيبرس» احتوت على ١٢ وصفة للأناشيد والأدعية وأسماء الأدوية الخاصة بكل عضو، كما احتوت المعابد على ما يشبه الصيدلية المستخدمة مخزنًا للمواد المعطرة والروائح الزكية أو المخبر «ففي معبد إدفو غرفة من الحجر كان يطلق عليها اسم المخبر، جدرانها مغطاة بالوصفات الهيروغليفية التي تشرح طريقة تحضير مختلف أنواع العطور الطقسية، والمواد الأساسية، ومقادير الخلائط، ومدة الطبخ والتبريد ...» (٣) إلى جانب البساتين لزرع النباتات الصالحة كعقاقير أو استجلابها من بعيد كما فعل تحتمس الثالث عندما جلب نباتات من سورية، أو الملكة حتشبسوت التي استحضرت من بلاد العرب نباتات عطرية وزرعتها.

سبق العقاقير التشخيص وتفصيل الجسم، فالمصريون كتبوا «رسالة القلب» في بردية إيبرس تقول «بداية أسرار الطب معرفة حركات القلب ومعرفة القلب به أوعية تذهب إلى كل عضو ...» (٤) كما عرفوا المخ، والغشاء الذي يغلف المخ. وكما كتبوا في الاضطرابات الهضمية والمعدية، وانتفاخ البطن ...

وتقدموا في جبر الكسر ومداواة أمراض النساء وفن التوليد، مثل الإجهاض والسيلان المهبلي والقلق الحيضي، وقيام الأطباء بعمليات جراحية أولاها الختان وآخرها التوليد.

الطب من الدراسة إلى الممارسة

إن الكهنوت المصري عالم مغلق، ولا يزال يحمل أسراره إلى اليوم، كما حمله بالأمس، ومن ضمن عوالمه الخاصة احتكاره الطب كمادة، والأطباء كأوفياء لهذه المؤسسة. ترجع العلاقة الأولى بين المصريين القدامى والطب إلى أمحتب أول طبيب في العالم مشهور بعالم الهندسة، وعمل حكيمًا في بلاط الملك زوسر صاحب الهرم المدرج ليعدّه المصريون بعد ذلك في ٢٩٠٠ ق.م وعدة أطباء آخرين مثل الطبيب «سخمتنا عنخ» عايش الملك سحوري، والطبيب «ناعنخ»، والطبيب «نترحتب» وضع كتابًا في علم تشريح الإنسان لتتولى المعابد هذه المسؤولية ابتداء من الطبيب الذي يحلق رأسه، ويلبس جلود الفهد على ظهره والثياب المنسوجة من الكتان الغليظ و«من قوانينهم ألاّ يرشح لها من الشباب وغيرهم إلا من يكون كثير الصمت، شهيرًا بالثبات والحلم. وأديت له عملية الختان، وأن يكونوا بعد تلقي الدروس وتلقينها في أماكن التعبد خلف المحاريب والهياكل حتى لا تدنس نفوسهم بمخالطة السفهاء» (٥) وبعد تخرجه وأداء اليمين أمام الهيكل المقدس بكتمان أسرار العلوم ليؤدي بعد ذلك عدة سنوات في خدمة الكهنوت، وربما في العيادات المجانية للفقراء في المعابد والهياكل ليتم إعفاء الأطباء بعد ذلك من نصف الضرائب، واستدعاؤهم في الاحتفالات الرسمية، وعدم حرمانهم من التزوج والإقامة خارج المعابد.

كما أنشؤوا مدارس في عواصم الأقاليم، ومن أهمها مدارس منفيس، وطيبة، وصا الحجر، ويختار من المتفوقين ليكونوا بصحبة الفراعنة وعائلاتهم ليعاملوا معاملة حسنة، أما عن أجورهم فقد خلفت لنا الحضارة المصرية عدة طرائق نذكر منها «وكان المألوف في تلك العصور أن ينقد



لطبيب أجرًا ماليًا عقب شفاء المريض بنسبة حالته بين قومه، ثم عدلوا عن هذه الطريقة، وقرروا أن يمتنع كل مريض من بدء توعكه عن حلق شعره أو قص شيء منه حتى يتم شفاؤه. وفي يوم النقاهة يحلق شعره ويزنه بالفضة أو الذهب ويسلم كل ذلك إلى المعابد التي كانت تؤدي للأطباء رواتب شهرية نظير حصولها على هذه الأجور..» (٦) وتدعم الاختصاص بعد ذلك ليعلق عليه هيرودوت. ففي أواخر القرن الخامس ق. م تفرغ بعضهم للأمراض الباطنية، وغيرهم للرمد والرأس ... ومن كان ينتدب في حالات الحرب أو لعلاج الملوك الأجانب أو استقبال الطلبة من خارج مصر «وقد روى أكليمندس الإسكندري أن بيثاجور الكاهن لما قدم مصر سنة ٥٥٠ ق. م وزار مدينة هليوبوليس، وعلموا أنه غير مختتن نفروا منه وطردوه من البلاد لكونه أجنبيًا، ولم يحترم عادات مثله فيها يخضع للعرف المتبع، وأجرى لنفسه عملية الختان. فبعد التثبت منها قبلوه في مدارسهم، ومارس طرائق التعليم الخاصة، وانتظم في سر الكهنوت، وتلقى عن رجاله أسرارهم البالغة وعلومهم، ونال عندهم حسن الزلفى (٧).

التدليل الأركيولوجي والأدبي

أ ـ التدليل الأدبي:

كانت مصر محط رحال العلماء وطلبة العلم ومبعوثي الأمراء والملوك والسلاطين، فهذا هيرودوت يذكر أن سيروس وداريوس أتيا إلى مصر للبحث عن أطباء ماهرين، كما تعرض بليني إلى كثرة أطباء مصر نتيجة كثرة الأمراض، ويذكر كيف افتخر المصريون بأنهم أول شعب أوجد علم الطب، و«اعتبرهم اليونان أنهم منشئو علم صحة الأبدان، وقالوا: المصريون هم الشعب الوحيد السليم البنية الذي يمكنه أن يعمر طويلاً مع بساطتهم في أدوار الحياة وتناول الأغذية البسيطة وليست كذلك الشعوب الأخرى» (٨).

كما لم يخف كل من هيبوقراطيس وجالينوس من بلاد الإغريق جزءًا من معلوماتهما التي جاءت من المؤلفات المثرية التي درساها في معبد محوتب في مدينة منف، وتحدث كل من شامبليون ثم برستد وغيرهما.

ب ـ التدليل الأركيولوجي:

أما التدليل الأركيولوجي فهو نوعان: أولهما رسوم المعابد والمقابر والتماثيل، وثانيهما البرديات الطبية، أما عن هذه الرسوم فنذكر منها مقبرة الأطباء بناحية سقارة المحتوية على عمليات جراحية كثيرة، منها عملية جراحية على يد مريض، وأخرى عملية جراحية الغالب



الرسوم والتماثيل تنطق بأحوال الفراعنة الحياتية المختلفة

أنها عملية ختان، ورسوم أخرى للمقاعد المخصصة للولادة أحدهما بمعبد الأقصر.

وإلى جانب العمليات الجراحية، فإنّ الأدوات الطبية كان لها حضور في الرسوم، كسكين مقبضها من حجر الصوان وجدها لورتيه (Lortet) في أبيدوس موجودة بمتحف ليون أو مجموعة إبر من النحاس موجودة بالمتحف المصري، ومجموعة أسلحة مشارط من معدن البرونز ترجع إلى ١٥٠٠ عام قبل الميلاد أو ملاقيط من معدن البرونز ومجموعة ملاعق وآلات مبسوطة الأطارف لم يفك رمزها حتى اليوم وأهمها رسم لآلات جراحية حفرت على جدران معبد كوم أمبو نحو ٦٠٠عام ق. م.

كما احتفظت الرسوم والتماثيل بأهم أمراض المصريين القدامى، فهذه مومياء لكاهن مصري نحو ١٠٠٠٠ عام ق.م مصابة بدرن العمود الفقري، والرسوم الموجودة في مقابر بني حسن يرجع تاريخها إلى ٢٣٠٠ عام ق. م. وتتعرض لداء الكساح، وتمثال وجد بسقارة محدودب الظهر يرجع إلى نحو ٢٧٥٠ ق. م.

وشاهد قبر للكاهن روما الأعرج أو تمثال الملك منتوحتب مصاب بداء الفيل، به ضخامة عظيمة في الأطراف السفلى دون الفخذين، وغيرهما من الرسوم والتماثيل، ثانيهما البرديات التي حصرتها الكتب الباحثة في تاريخه وتطوره عبر العصور، ومنها بردية كاهون المدينة



الأدوات الطبية لها حضورها في آثار الفراعنة وكتاباتهم

الكهنوت المصري عالم مغلق، ولا يزال يحمل أسراره إلى اليوم، كما حمله بالأمس، ومن ضمن عوالمه الخاصة احتكاره الطب كمادة، والأطباء كأوفياء لهذه المؤسسة

الفرعونية التي تعرضت للطب البيطري واحتوت على ٣٥ وصفة طبية لأمراض النساء والولادة، وبردية إيبرس بها ٨١١ وصفة طبية ووصفًا تشريحيًا دقيقًا لجسم الإنسان مع وظيفة القلب والأوعية الدموية، وبردية لندن اشتملت على ٦٣ وصفة سحرية لمعالجة أمراض العيون والحروق وأمراض النساء، وبردية برلين وجدت قرب أهرام سقارة طولها ٥,١٦ م وعرضها ٢٠ سم في حين كان طول بردية هيرست ١٧,٢ سم وبها ٢٧٣ سطرًا كان مجموعها تطور الطب من التشريح إلى العقاقير، ومادة أعمل فيها الباحثون معًا ولهم المعرفية والأثرية.

خاتمة

تعلم المصريون حب الحياة والخلود فأسسوا علم الطب، وهندسة معمارية، وتقاليد عيش متميزة جعلتهم قدوة الشعوب والحضارات، ساهموا في تقدم أهم العلوم تقنية بإنتاج أدوات عمل للجراحة ولجبر الكسور، ومعرفة برسم تشريح الجسم البشري وكتابة العقاقير، والأدوية مقاديرها ومستحضراتها التي تبنى زرعها والمحافظة عليها ملوك، مثل حتشبسوت وغيره ممن بنوا المستشفيات التي تعلم بها المصريون وغيرهم، ممن كانوا سفراء الصحة للعالم بأجمعه ليخلص القول في شعب قدم تجربة فريدة مازلنا ننهل من منابعها حتى اليوم.

المراجع

١. الطب والتحنيط في عهد الفراعنة، مجموعة مؤلفين، مكتبة مدبولي، ط١، ١٩٩٣م، ص ٥٩ بتصرف.

٢. الطب والتحنيط، ص ٦٢.

٣. الكهان في مصر القديمة، سيرج سونيرون، ترجمة طنوس، طبعة أولى، ١٩٩٤م، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢٠٦.

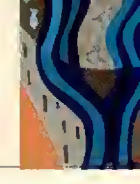
٤. معجم الحضارة المصرية، مجموعة مؤلفين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م، ص ١٦١.

٥. الطب والتحنيط، ص ١٦.

٦. الطب والتحنيط، ص ٢٨.

٧. الطب والتحنيط، ص ٤٤، ٤٥.

٨. الطب والتحنيط، ص ٩٧.





الخزف عند العرب قبل

الإسلام وبعده

إبراهيم بن عبدالرحمن الهدلق
الرياض - السعودية

عرف العرب الفخار قبل الإسلام، وكانت المشربيات من أكثر الفخاريات استعمالاً، إذ كان يوضع فيها الماء، واستعمل العرب أيضًا الفخار لحفظ المواد الغذائية والأشياء الثمينة، مثل الذهب والحلي والنقود. ويعتقد عدد من الباحثين أن العرب قد استخدموا عجلة الخزاف، واستخدموا الأتون لتحويل الأواني من الفخار إلى الخزف.

كما استخدموا السمن لسد مسام الجرار وغيرها من الأواني الفخارية. واستعمل العرب الخزف في صنع الجرار، والقلال، والأكواز.

وقد اشتهرت قبيلة هجر القريبة من المدينة المنورة بقلالها حيث قيل عنها: «قلال هجر» كما صنعوا الخوابي، والكؤوس، والصحاف.

وقد اكتشفت الجرار والمشربيات في المدافن مما يسفر عن اعتقاد العرب قبل الإسلام بحاجة الإنسان إلى طعام وشراب بعد موته.

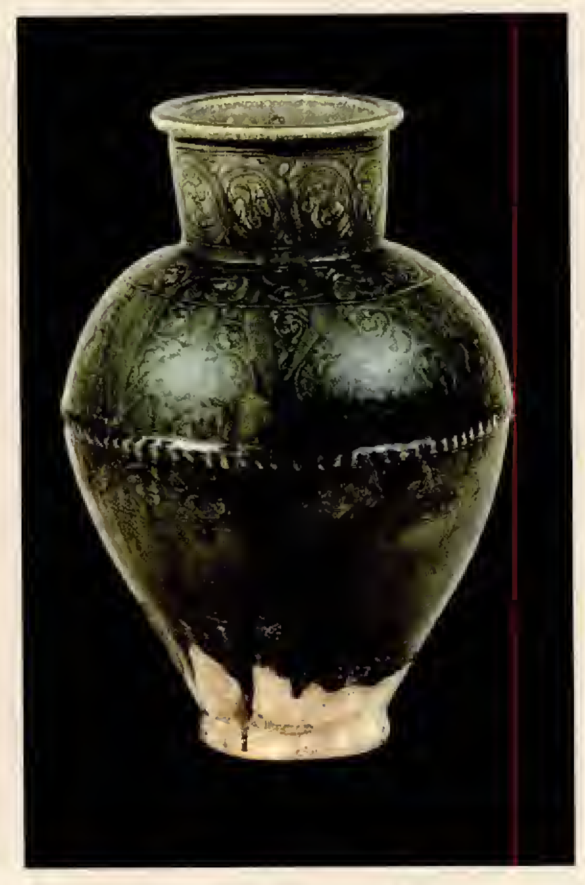
الخزف الإسلامي الأصيل

تقدمت صناعة الفخار والخزف في العصور الإسلامية تقدمًا عظيمًا منذ فتح المسلمون أقطارًا كثيرة ذات تراث عريق في مجال هذا الفن، وخصوصًا إيران، والعراق، ومصر، والشام. وتم إنشاء المدارس الفنية في عهوده المزدهرة وعم الانتعاش في مرافق الحياة كافة..

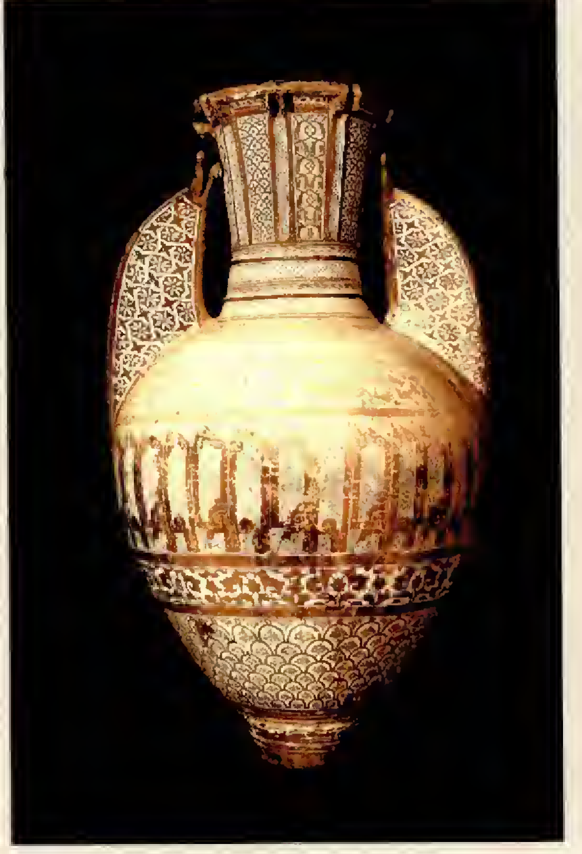
ومما يميز هذا العصر بزوغ فجر الدين الجديد الذي اقتضت أحكامه نشر العقيدة الجديدة بنبذ عبادة الأصنام، مما دفع الفنان المسلم إلى أن يغطي تماثيله وصوره الحيوانية بشبكة من الزخارف الرائعة الجمال التي من شأنها أن تعيد صياغة العمل، وتخرجه عن طبيعته الآدمية والحيوانية. فجناح الطائر يتحول بقدرة ابتكارية رائعة إلى فرع نباتي أنيق بثنياته، وأوراقه المجردة، ولم يكتف الفنان المسلم برسم زخارف الأرابيسك المعروفة، بل اقتبس كثيرًا من الوحدات الزخرفية من الفن الصيني العريق الذي كانت معظم أقطار الإمبراطورية الإسلامية تستورد كميات كبيرة من الأواني المصنوعة منه، وذلك ما أكدته تنقيبات حفريات البحث الأثري في الفسطاط وسامراء، وغيرهما من مراكز الإنتاج الفني في عهود الإسلام المختلفة.

إن ازدهار الحضارة الإسلامية والثراء الذي وصل إليه الخلفاء في العصور الإسلامية واستمتاع الناس بأدوات وملابس وأشياء فاخرة تتناسب مع الثراء العريض الذي كانوا ينعمون به، أدت إلى نشوء حلول ابتكارية رائعة، تحقق المبادئ التي تستشعرها في جوهر العقيدة، للموافقة بين هذه المبادئ والثراء الذي يعيش فيه الخلفاء والأمراء. فابتكر الفنان المسلم الخزف ذا البريق المعدني، وقد توجب على ذلك المرور بعدة مراحل فنية كي يتم صنع الخزف ذي البريق نوجزها فيما يأتي:

- المرحلة الأولى: تصنيع الآنية من الطين الجيد، وحسب الشكل المطلوب.
- المرحلة الثانية: تغطى المصنوعات بطبقة رقيقة أخرى من طين نقي من النوع الجيد، وهي المسماة



جرة من الخزف (مصر) القرن السادس-السابع الهجري



إناء الحمراء (الأندلس) القرن السابع الهجري. متحف صقلية الوطني، بالرمو

البطانة أو الملاط.

- المرحلة الثالثة: توضع الآنية في داخل الفرن، كي تشوى وتصبح فخاراً.

- المرحلة الرابعة: تخرج الآنية من الفرن، ويقوم الخزاف بتسوية سطحها وطلائها بطبقة زجاجية معتمة.

- المرحلة الخامسة: تعاد إلى الفرن ثانية لتثبيت الطبقة الزجاجية عليها.

- المرحلة السادسة: تخرج من الفرن وتزين بالزخرفة والنقوش التي يتم رسمها بواسطة مزيج من مواد مختلفة قوامها أوكسيد الفضة، أو كلوريد الذهب السائل، وقد تستعمل أكاسيد أخرى عند الحاجة، وتتم عملية مزج هذه المواد بعضها مع بعض بإضافة التراب الحديدي مع أحد الحوامض، كالخل مثلاً؛ لكي تتفاعل هذه المواد بعضها مع بعض مكونة محلولاً بواسطته ترسم الأشكال الزخرفية المطلوبة.

- المرحلة السابعة: تعاد الآنية إلى الفرن للمرة الثالثة على أن تكون نار الفرن هادئة، وذلك لأن الفرن الشديد الحرارة يذيب المحلول الذي رسمت به الزخرفة.

- المرحلة الثامنة: تبقى الآنية داخل الفرن فترة قصيرة، ثم تخرج منه، وحينئذ تظهر عليها طبقة براقة متلألئة لا تلمس، ويترك المحلول المعدني فوق سطح الآنية. وهكذا نجد أن تلك العمليات المتعددة المتبعة في صناعة الخزف ذي البريق المعدني، هي التي تكسبه أهمية، وتجعل ثمنه غاليًا، وخاصة أن كل خطوة أو

ما أنتجه الحرفي المسلم من فخاريات على طول التاريخ الإسلامي باختلاف عصوره وأزمنته، وبامتداد العالم الإسلامي في شرقه وغربه، هو دليل واضح على مدى التقدم والتطور الحضاري للمجتمعات الإسلامية

مرحلة من العمل، قد تؤدي إلى تلف بعض المصنوعات.

يعود أصل الخزف ذي البريق المعدني إلى الصلصال المشوي المزجج، وقد استطاع الفنان أن يحول هذه الخامات الرخيصة بما أسبغه عليها من زخارف دقيقة وألوان جميلة ومزاوجة بين الخامات إلى أعمال فنية غاية في الإتقان والجودة والروعة.

جرة من الخزف المزجج (مصر) القرن التاسع الهجري



أعمال خزفية وتوقيعات

تتركز المصنوعات الخزفية في الأساس في صناعة الأواني، وتتفرع إلى أغراض وأدوات كثيرة. وقد ذاع استعمال بلاطات القاشاني في الكسوة والتبليط، أما الفسيفساء الخزفي، فقد كان يجمع بعضها إلى بعض، وتثبت من الخلف بمادة لاصقة تملأ هذه التجاويف بين هذه الجزئيات فتتماسك في تشكيلات وزخارف متكاملة تثبت على المسطحات المعمارية المعد لتزيينها بالفسيفساء. أما السلادون وتقليد البورسلين، فيصنعان من عجائن مختلفة، ولكنها بدورها أكثر صلابة وتماسكًا من عجينة الخزف، ويكثر استعمالها عادة في صناعة الأواني. ومن أشهر أماكن صناعة الخزف الإسلامي: بغداد، والموصل وسامراء في العراق، والري، وقاشان، والسوس في إيران، والفسطاط، والفيوم، والقاهرة في مصر، ودمشق، والرقة في سورية، ومالقة وغرناطة في الأندلس، وأزنيك وكوتاهية في آسيا الصغرى. وقد ذكرت المصادر التاريخية أنه كان في أزنيك ثلاثمئة مصنع في عهد السلطان أحمد، وفي إستانبول عثر على كتاب وهو رسالة مفصلة تشرح بدقة صناعة الخزف، وقد كتبها عبدالله بن علي بن أبي طاهر في قاشان عام (١٢٧٩م)، كما أن كثيرًا من توقيعات الفنانين قد مهروا بها زخارفهم في كثير من آثار الخزف الإسلامي.

ونقرأ - على سبيل المثال - توقيعات مسلم وسعد، وعبدالله وغيبي بن التوريزي وكثيرين غيرهم. وإذا رجعنا إلى عهود الإسلام الخوالي، منذ العصر الأموي، فإننا نستطيع من خلاله أن نحدد ملامح المدرسة الفنية الأموية، وكما هو معروف أن هذه الفترة تسمى في نظر الباحثين فترة الانتقال من فنون الأمم السابقة إلى الفن الإسلامي بملامحه المميزة؛ ولكن استعمال الفسيفساء وهي أحد مشتقات الخزف كان واضحًا بشكل رائع في قصر الحير الغربي الذي اكتشف منذ عام (١٩٣٠م)

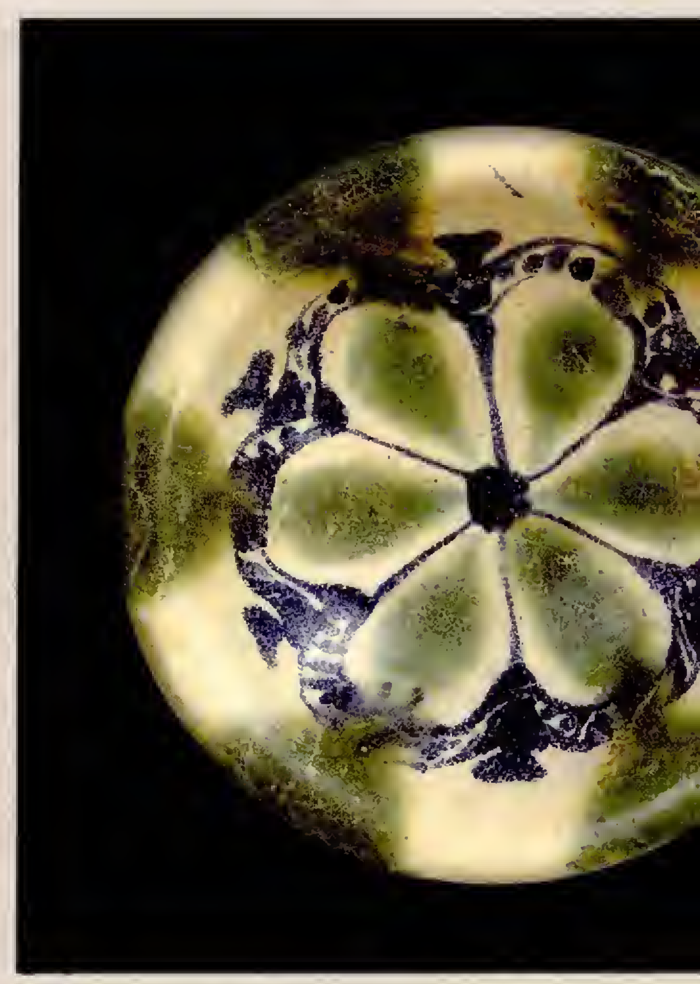

جرة من الخزف المزجج البراق (إيران) القرن السابع-الثامن الهجري

الفنانون المسلمون أوصلوا المصنوعات الخزفية في بلاد الأندلس إلى قمة البريق المعدني. واستخدمت زخارفها في أشكال الحيوانات والطيور، والزخارف المختلفة

وهو خليط بين الفن الإغريقي والفن الساساني ، وما إن حل القرن التاسع الميلادي، حتى قامت نهضة إسلامية في صناعة الخزف، ويرجع المؤرخون سببها إلى التحف الخزفية التي استوردها الخلفاء العباسيون من الصين في عهد أسرة (تانج)، التي حكمت الصين بين عامي (٦١٨ و ١٩٠٨م). وقد أجاد الفنانون المسلمون تقليد هذا النوع من الخزف لدرجة يصعب بل يستحيل أحيانًا التمييز بين ما هو أصلي من الصين وما هو محلي إسلامي، فقد ابتكر المسلمون الأواني الخزفية، ذات البريق المعدني لتكون بديلاً للأواني الذهبية والفضية التي حرّم الإسلام استعمالها.

وهذا الخزف ذو البريق المعدني هو فن إسلامي خالص، وانتشر هذا النوع من الخزف في باقي أنحاء الإمبراطورية الإسلامية، وخاصة في مصر، حيث عثر بين أطلال مدينة الفسطاط على عدد كثير منها ترجع إلى العهد الطولوني. كما اشتهر إقليم جاروس الإيراني، وإقليم خراسان بإجادة هذا الخزف، وتميز بزخارف العناصر

على الطريق بين دمشق وتدمر، وترجع نسبته إلى عصر هشام بن عبدالملك حيث وجد اسمه منقوشًا على جدران هذا القصر. وربما كان هذا سنة (١١٠هـ) ويمثل قصر الحير التقاء التيارات الفنية المعمارية المختلفة في الأساليب الفنية،



سلطانية من الخزف (العراق) القرن الثالث الهجري





شمعدان من الخزف المزجج (سورية) القرن التاسع الهجري

الحية، والكتابة في نقوشه الإسلامية. كما اشتهر الخزف في مصر في العهد الفاطمي، وتعددت موضوعاته الزخرفية، فقد انفردت زخارفها برسوم تشكيلات من الأرابيسك الرائعة ممتزجة بالخطوط والكتابات ورسوم الحياة الشعبية المصرية كموضوعات متكاملة، تتوسطها في بعض الأحيان صور لشخصيات معروفة في الحياة العامة. ونجد أيضًا أن عصر السلاجقة كان عهد تألق وازدهار، فقد هاجر الخزافون المصريون بعد سقوط الدولة الفاطمية عام (١١٧١م). والتحقوا بخدمة السلاجقة، وشاعت شهرة مدينة قاشان. وقد عثر في تركيا بين أطلال قصر قونيه وقصر تباد اللذين يعودان إلى العصر السلجوقي على بلاط خزفي بألوان المينا، يشبه في زخارفه وطريقة صنعه ما عثر عليه في عهد السلاجقة في إيران. أما عصر السلاجقة في سورية، أو (حكم الأتابكة) فقد تمركزت صناعة الخزف ذي الزخارف النباتية والكتابية في دمشق، والرقة، والرصافة. وفي العصر المغولي، حافظ المغول على الأساليب السلجوقية، التي كانت سائدة، وشجعوا الفنانين، وأغرقوهم بالطلبات الخاصة من الفن الراقي ذي البريق المعدني، كمظهر من مظاهر



رسومات بديعة تبرز قدرة الفنان المسلم

السلطة والتفوق، واستخدموا نوعًا فريدًا من الفن الإسلامي، وهو التماثيل الخزفية من آدمية وحيوانية. ويحتوي متحف (المتروبوليتات) بنيويورك حاليًا على مجموعة نادرة منها، ترجع إلى القرن السابع الهجري.

ازدهرت فنون الخزف أيضًا في مصر، وسورية في عهد حكم المماليك وابتكرت أنواع ذات مستوى رفيع من نوع خزف البريق المعدني، تشبه الخزف الصيني، بل وتقدمت عليه من حيث المهارة في الصنعة، والبداعة في الزخرفة وخاصة في زخرفة الوحدات النباتية، واستعمال الخط العربي الرشيق، وبرع المسلمون بالنقش البارز، والحفر الغائر، والطبع بالأختام، وفي بعض الصور طليت النماذج الفخارية بالألوان التي تحتوي على الأخضر والأصفر والبني، وعليها تحفر الزخارف حتى تصل إلى جدار الإناء. ولم يعرف الخزف ذو البريق المعدني في الأندلس إلا في القرن الثامن الهجري، وقد يكون ما وجد منه قبل ذلك مستوردًا من مصر والعراق.



ازدهار الحضارة الإسلامية، والثراء الذي وصل إليه الخلفاء في العصور الإسلامية، واستمتاع الناس بأدوات وملابس وأشياء فاخرة تتناسب مع الثراء العريض الذي كانوا ينعمون به، كل ذلك أدّى إلى نشوء حلول ابتكارية رائعة، تحقق المبادئ التي تستشعرها العقيدة

قمة البريق

وعندما أنتج الفنانون المسلمون المصنوعات الخزفية في بلاد الأندلس وصلوا بها إلى قمة البريق المعدني، واستخدمت زخارفها في أشكال الحيوانات والطيور، والزخارف المختلفة الأشكال والرسوم الهندسية، والكتابات في توافق فني مع العبارة الشهيرة (لا غالب إلا الله)، وقد كانت هذه العبارة شعار ملوك غرناطة، وقد كثر استعمالها في جميع نقوش العصر الذهبي، واشتهرت عدة مراكز بإبداع فن الخزف مثل مالقة، وغرناطة، ثم انتقلت هذه المراكز إلى مدينة بلنسية، وتخصصت مدينة (منيشة) بالخزف ذي البريق المعدني، وبهذا أصبحت مراكز التصدير إلى الدول الأوربية، لذلك لم يكن غريبًا أن يعثر بين الآثار الأندلسية على كثير من الأواني الخزفية، وقد نقشت عليها الشارات الأوربية، والرسوم القوطية متداخلة مع زخارف الأرابيسك الإسلامية، ويعدّ الطراز المغربي، أقرب طراز إلى الفن المملوكي. أما في العصر الإسلامي الحديث فقد كان العصر الصفوي عهدًا ذهبيًا للفنون الإسلامية كافة، وللتحف الخزفية خاصة، فقد نجح الخزافون في أوائل القرن السابع عشر الميلادي في إنتاج نوع راقٍ من الخزف الثمين هو البورسلين، وقد تفوق على مثيله الذي كانت تنتجه الصين في عهد أسرة (منج)، وقد شجع الشاه عباس هذا الفن الرفيع، وأحضر عددًا كبيرًا من الخزافين الصينيين، ومن أجل ذلك ظهرت الزخارف خليطًا من الأرابيسك الإسلامية ورسوم التنين والطيور والحيوانات منفذة بالأسلوب الصيني الشهير نفسه، وبألوانها الزرقاء التقليدية، وسيطرت (كهرمان)، وتألقت مراكز الإنتاج في أصفهان التي ابتكرت أثمن التحف الخزفية ذات اللونين الذهبي والأحمر النحاسي.

وتخلص الفنان المسلم تدريجيًا من وحدات الزخارف الصينية، وأخذ يستلهم رسومه من الحياة العامة.

في تركيا، لم تزدهر صناعة الخزف إلا في بداية القرن السادس عشر الميلادي في مدن (أزنيق، وأسنك، وكوتاهية)، ويمكننا تقسيم الخزف إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تأثرت بالنماذج الصينية التي شاهدناه في العصر المغولي والصفوي.

المرحلة الثانية: تمتاز بزخارفها النباتية، وخاصة استخدام الأزهار المحورة كأزهار السوسن، وقرن الغزال، والقرنفل.

المرحلة الثالثة: تميز الخزف في هذه المرحلة بنقوشه النباتية والأزهار التي كانت سائدة في المرحلة السابقة. وقد عُدّت زخارف البلاط في قصر السلطان مراد الثالث، وقصر (طوب قابي) الذي شيد عام (١٥٦١م) روعة من روائع الفن التي منحت العصر العثماني طابعًا فنيًا متميزًا.

من أنواع الخزف الإسلامي

ـ الخزف ذو الزخارف البارزة: وقد انتشر هذا النوع في العصر العباسي في العراق، وكانت مراكزه المهمة في (سوسة وسامراء) وكذلك في سورية، وسلطان أباد، وقاشان.

ـ الخزف ذو الزخارف المحفورة: وقد بدأ إنتاجه في العصر العباسي، وقد عثر على هذا النوع من الخزف في سامراء والفسطاط.

ـ والخزف الذي أزيلت أرضيته حول العناصر الزخرفية بالحفر، وقد بقيت هذه العناصر بارزًا عليها الدهان. أما الأرضيات المحفورة فتكشف عن سطح الإناء الأصلي، ويسمى هذا النوع من الخزف أحيانًا باسم الخزف الجيري، وكانت مراكز إنتاجه في (جاروس وزنجان)، وتعود أغلب قطع هذا النوع من الخزف إلى ما بين القرنين (١٠ و ١٢م).

ـ خزف ذو أرضية محفورة، وزخارفه مطلية بلون أسود: ويمتاز هذا الخزف بالقدرة الظاهرة في العناصر الزخرفية، التي تتعدد عناصرها النباتية والحيوانية والخزفية، وقد غطيت العناصر الزخرفية ذات اللون

الخزف وانواع مختلفة

فوجدناه يبدع مناظر وحدات الزخارف، ومناظر الحفلات، والحدائق، ورحلات الصيد، ومجالس اللهو، ومختلف مظاهر الحياة الإيرانية.

واشتهرت زخارف البلاطات الخزفية المجمعة لتزيين القصور والمساجد وغيرها من الأبنية. وفي العهد العثماني

الأسود، وكذلك الأرضية، بدهان فاتح اللون يغلب أن يكون اللون الأزرق، وقد انتشر هذا النوع في إيران بين القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين.

- خزف محفورة زخارفه وأرضيته بلون أزرق: وتتكون زخارفه في الغالب من الطيور والحيوانات والزخارف النباتية، وتنسب إلى إيران.

- خزف أبيض رقيق الجدران: وهو تقليد للخزف الصيني الذي ينسب إلى عصر (تانج)، وقد انتشر في إيران في القرنين العاشر والثاني عشر الميلاديين.

- خزف محزوز تحت بقع وخطوط لونية: وانتشر في إيران بين القرنين الثامن والتاسع الميلاديين.

- خزف ينسب إلى (زنجان) في إقليم أذربيجان وتشتمل الزخارف فيه على رسوم الحيوانات والطيور بطريقة بسيطة في القرن الحادي عشر الميلادي.

- خزف عملت الزخارف فيه على شكل وحدات صغيرة. أما الأرضيات فقد غطيت بدوائر دقيقة أو تعريجات أو حلزونيات متلاصقة أو أقواس كلها محزوزة، وخزف تقوم الزخارف فيه على رسوم الطيور والحيوانات بطريقة غاية في القوة والإبداع، وتستعمل ألوان متعددة في تلوين الإناء، وينسب إلى إيران في القرنين الحادي والثاني عشر الميلاديين، وقد عثر على خزف زخارفه محزوزة في الفسطاط.

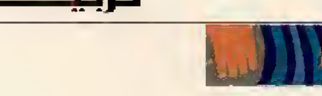
ومن خلال تتبع مسيرة التطور لفن الفخار يمكن أن نؤكد هذا الدور البارز الذي أدّاه هذا الفن في الخريطة الحضارية لفنون الفخار على المستوى العالمي والإنساني.

إن ما أنتجه الحرفي المسلم من فخاريات على طول التاريخ الإسلامي باختلاف عصوره وأزمنته، وبامتداد العالم الإسلامي في شرقه وغربه، هو دليل واضح على مدى التقدم والتطور الحضاري الذي وصلت إليه المجتمعات الإسلامية، كما أنه سند تاريخي لا يقبل الشك على مدى ما ساهم فيه المسلمون في تقدم التراث الإنساني.

الهوامش والمراجع

❖ الخزف: تذكر المعاجم اللغوية أن الخزف هو «ما عمل من الطين وشوي بالنار فصار فخارًا». وقد أطلق الباحثون كلمة الخزف على الفخار المزجج حيث شاع استعمالها.

١- الفخار والخزف الإسلامي، بيت القرآن، ١٤١٨هـ، البحرين.
٢- كنوز الفن الإسلامي، دار الآثار الإسلامية، ١٩٨٥م، جنيف.
٣- الفن الإسلامي ورعايته - كنوز في الكويت، دار الآثار الإسلامية، ١٤٢١هـ، لندن.
٤- المنتخب من الفنون الإسلامية، بيت القرآن، ١٩٩٤م، المنامة، البحرين.
٥- كنوز المتحف الوطني للآثار القديمة، ١٩٩٧م، الجزائر.
٦- الفنون الخزفية من خلال مجموعات المتحف الوطني للآثار، ١٩٩٥م، الجزائر.
٧- تاريخ الفنون الإسلامية، محمد يوسف خضر، ٢٠٠١م، الإمارات العربية المتحدة.
٨- وحدة الفن الإسلامي، مركز الملك فيصل، ١٤٠٥هـ، الرياض.
٨- خزف سامراء الإسلامي، خالد خليل الأعظمي، سومر، الجزء الأول والثاني، المجلد الثلاثون، ١٩٧٤م، بغداد.
١٠- الخزف الإسلامي بين الأصالة والابتكار، رفيق صفوت مختار، القافلة، رجب ١٤٢٠هـ.
١١. ابن منظور: لسان العرب، بيروت ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م المجلد التاسع.
١٢. آرنست كوتل: الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، ط٢، ترجمة: أحمد موسى، زكي محمد حسن، القاهرة: دار الآثار العربية ١٩٤٨م.
١٣. آرنست كوتل: فنون الإسلام، ترجمة: أحمد موسى، زكي محمد حسن، القاهرة ١٩٤٨م.
١٤. سعاد ماهر محمد، الخزف التركي، القاهرة ١٣٩٧هـ.
١٥. ربيع حامد خليفة، فن الفخار والخزف، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٩٧م.
١٦. آرثر لين، ترجمة نافع محمد الراوي، الخزف الإسلامي القديم، المورد، المجلد الثاني، العدد الثالث ١٣٩٣هـ.
١٧. محمد الحسين عبدالعزيز، الخزف الإسلامي ذو البريق المعدني، العربي الإسلامي، العدد ١٨٤، ١٤٠٠هـ.
١٨. جمال محمد محرز، الخزف الفاطمي ذو البريق المعدني في مجموعة الدكتور علي إبراهيم باشا، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، يوليو ١٩٤٤م.
١٩. عبدالرؤوف علي يوسف، تحف الخزف في متحف الفن الإسلامي، المنهل، العدد ٤٦٥، ١٤٠٩هـ.
٢٠. زكي محمد حسن بك، تحف جديدة من الخزف الفاطمي ذي البريق المعدني، مجلة كلية الآداب، جامعة فؤاد الأول، المجلد الثالث عشر - الجزء الثاني، ١٩٥١م.
٢١. أحمد المكناسي، دراسة تمهيدية عن الخزف الإسلامي القديم في المغرب، تطوان، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية، تطوان، المغرب، العدد الثاني ١٩٥٧م.
٢٢. لطفي السومي، الخزف السوري في العهد الأيوبي، أبحاث المؤتمر السنوي التاسع لتاريخ العلوم عند العرب، جامعة حلب، معهد التراث العربي، ١٩٨٨م.
٢٣. محمد أبو الفرج العش، الخزف العربي الإسلامي في المتحف الوطني بدمشق، المجلة، العدد ٥٥، السنة الخامسة ١٣٨١هـ، القاهرة.
٢٤. مصطفى كامل إبراهيم، الخزف الإسلامي المبكر، تأليف الأستاذ آرثر لين، الرسالة والرؤية، العدد ٧٦٢، فبراير ١٩٤٨م، القاهرة.
٢٥. محمد مصطفى، روائع فن التحف الإسلامية، سومر، الجزء الأول والثاني، المجلد الرابع عشر، ١٩٥٨م، العراق.



دور الروضة في تطور شخ

...صية الطفل

دعد الشيخ
دمشق ـ سورية

تعد السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل أهم سني الحياة. إذ إن هذه الفترة من أسرع فترات النمو، وخاصة في مجال النمو العقلي وتكوُّن الشخصية، ولهذا فإن خصائص الطفل وسماته الشخصية تكون أكثر عرضة للتغير في هذه المرحلة، ومن ثم يكون للأسرة وللتربية والتعليم أعمق الأثر وأبعده.

حنان وعدوان

ولعل ما يعطي مرحلة الطفولة الأهمية الكبرى هو إجماع الدراسات على وجود علاقة وثيقة بين أساليب تنشئة الأطفال في الشعوب البدائية، وبناء شخصيات الكبار. إذ وجدت الدراسات أن الغالبية العظمى من شخصيات أفراد إحدى القبائل تتسم بالدعة والهدوء والمسالمة والصداقة والتعاون، وينفر أفراد هذه القبيلة من التنافس والتسلط، كما لا توجد لديهم أي بوادر للعدوان والغرور. وعند دراسة تعامل الكبار مع الأطفال في هذه القبيلة لوحظ أن الطفل هو موضع مودة وعطف كبيرين من الجميع. ترضعه أمه كلما جاع، وتطيل وقت إرضاعه، وتحمله بين ذراعيها بحنو وعطف. والطفل في هذه القبيلة لا يعاقب، كما يوحى إليه بأن كل إنسان طيب سواء العم أو الأخ أو الجار ... إلخ.

وبالمقابل وجدت هذه الدراسات أن أفراد قبيلة أخرى يتسم معظم شخصياتهم بالعدوانية والارتياب، فالأب يحذر ابنه، والأخ لا يستطيع أن يعيش مع أخيه، والفرد موضع الإعجاب هو المحارب الذي تسيطر عليه صفات العدوانية سواء أكان رجلاً أم امرأة. ولدى دراسة أساليب تنشئة الأطفال في هذه القبيلة وجد أن الطفل يولد وينشأ في جو غير آمن، فعملية الرضاعة كفاح وتوتر. وهي عملية مؤلمة بالنسبة إلى الطفل إذ يوضع في سلة من القش الخشن، ولا يرضع إلا فترة قصيرة وعند الحاجة الظاهرة، كما تمارس عملية الفطام بشكل قاس، إذ يزاح الطفل عن صدر أمه بعنف، وغالبًا ما يقترن بالعقاب، وعلى هذا يشعر الطفل منذ أول حياته أنه في عالم عدواني وغير آمن.

كل ذلك يؤكد لنا أهمية السنوات الأولى من حياة الطفل في بناء دعائم شخصيته، وتكوين اتجاهاته وميوله ونظرته إلى الحياة: فالطفولة هي المرحلة التي توضع فيها بذور اضطرابات الشخصية المختلفة، كما أنها المرحلة التي توضع فيها أسس الشخصية السليمة بأبعادها ومكوناتها؛ ذلك أن ما يكتسبه الفرد في هذه الفترة من عادات واتجاهات، وما يكوِّنه من أسلوب في الحياة، ومن مفهوم للذات إنما يميل إلى الثبات النسبي، ويميل إلى أن تظل آثاره باقية في حياة الفرد، وفي الأساليب التي يتعامل بها مع الناس. ولهذا نجد فرويد يرد سلوك الراشد إلى عهد الطفولة المبكرة. إننا نستطيع كراشدين أن نتعلم لغة جديدة، وأن نتكيف لبيئة جديدة، ونستطيع أن نتعلم عادات جديدة ... إلخ. إلا أن ما يظل دائم التأثير فينا هو سمات الشخصية الأساسية التي تكوَّنت في سنوات الطفولة الأولى كالتفاؤل والتشاؤم، والعدوان أو الاستكانة، والاتكالية أو



من ينل الأمن والعطف في طفولته يمنح الأمن والحب

الاستقلال، والثقة بالنفس أو عدم الثقة بها ... إلخ.

ولهذا فقد أكدت معظم الدراسات أهمية الجو الاجتماعي والنفسي الذي يعيشه الطفل في الأسرة أولاً، وفي الروضة ثانيًا، فالسنوات الخمس الأولى الأساسية من عمر الطفل تدور غالبًا في محور هاتين البيئتين، وبقدر ما يتمتع هذا الجو بمشاعر الأمن والتقبل والاستقرار، وبقدر ما يخبر الطفل من أساليب تربوية متزنة، ومن اتجاهات حكيمة، يتمتع بمواصفات الصحة النفسية في مرحلة الرشد.

أما البيئة التي تغرس في نفس الطفل اتجاهات الكراهية والحقد والنقمة، فهي تخرج أفرادًا منحرفين ومشكلين، فمن نشأ في بيئة مشبعة بالعدوان لا يشعر بالصداقة في كبره أينما ذهب. ومن حرم الأمن والعطف في طفولته عز عليه أن يمنح الأمن والحب. ومن تعود الهرب من المشكلات ومواجهة المصاعب استقبل عهد الشباب خائفًا مضطربًا. وليس مضطرب

لابد للروضة من الاهتمام باحتياجات الأطفال الغذائية، ونشر الوعي الغذائي والصحي، وتعويد الأطفال عادات النوم والنظافة الجيدة. وتوفير فرص اللعب والعمل بالهواء الطلق

الشخصية إلا شخصًا بدأ حياته بعادات سيئة، وكون أسلوب حياة شاذًا لازمه منذ الصغر ولم يستطع التخلص منه في الكبر. فإذا أردنا أن نفهم متاعب الكبار وانحرافاتهم فهمًا متعمقًا، فلا بد من أن نفهم طفولتهم المبكرة.

وبسبب هذه الأهمية البالغة لمرحلة الطفولة بوصفها فترة للتعلم ولاكتساب صفات الشخصية الأساسية، فإن المسؤولية الكبرى تقع على عاتق الأسرة والروضة.

أهمية الروضة للطفل

الطفل، مهما كان صغيرًا، فهو عضو فعَّال في عائلته، وهو عنصر له قيمة، والجميع يحسبون حسابه، ويمنحونه العطف والحب، وعليه أن يتدبر أمره وسط إخوة أصغر منه أو أكبر أو أصغر وأكبر في معظم الأحيان.

في البيت تتاح للطفل فرصة الأخذ والعطاء، لأنه يملك أشياء خاصة به وحده، فيقول: هذا سريري، هذه لعبتي، هذا أبي، هذه أمي ... إلخ وهذا يعني أن الطفل قد اكتسب فكرة الشعور بالتملك قبل ذهابه إلى الروضة.

الروضة محيط مختلف نسبيًا عن المنزل، وعندما يألف الطفل هذا المحيط، ويقيم علاقات جديدة مع رفاقه يبدأ بملاحظة أن المعلمة ليست له وحده. وفي هذا المحيط يكتشف الطفل النظافة والنظام، والعناية والتعاون، والتهذيب والمثابرة، ويتعلم كيفية احترام الآخرين، وكيفية تذوق الجمال، كما يكتشف أنه إذا أراد أن يكون محبوبًا فإن عليه أن يكون لطيفًا، وإذا أراد أن يحس بأنه عنصر ذو قيمة في محيطه اضطر إلى القبول بأن لرفاقه الحقوق نفسها.

أسئلة الأطفال في هذه المرحلة لا تعبر دائمًا عن اهتمامهم الاستطلاعي، والسعي إلى الحصول على معلومات جديدة، بل للفت انتباه الراشد واستدراجه إلى التخالط معهم

باختصار يتعلم الطفل في محيط الروضة أنه لم يعد وحيدًا، ولم يعد مركز الاهتمام كما كان في المنزل، فشخصيته تنمو إلى جانب شخصيات مختلفة، ويجب أن يقيم لها حسابًا. وهذا وضع لا يقبله الطفل بسهولة، خصوصًا الولد الوحيد أو الغيور أو المدلل ...إلخ.

ومن هذا المنطلق فالروضة ضرورة أكيدة لحياة اجتماعية تقضي بقيام التوازن في القوى من دون اصطدام. فالطفل الوحيد هو أكثر حاجة من الآخرين إلى التخالط الاجتماعي، والولد المدلل يصادف مقاومات رفاقه ومعاكساتهم لمتطلباته فيصبح تصرفه أقل تعديًا، وأقل حبًا للذات. وإذا كان الطفل كثير الوداعة فالحياة مع مجموعة أطفال من عمره لها الفضل الأكبر في تعليمه الدفاع عن نفسه ...إلخ.

إن استعداد الطفل للتعلم، وتقبل المعارف المختلفة ولا سيما اللغة وتمثل العادات والسلوك والقيم والاتجاهات أشد ما يكون في هذه المرحلة، فهو عطش إلى المعرفة، ولديه رغبة ملحة في معرفة كل شيء حوله، وهذا ما دعا بعض المربين إلى وصف هذه السن بسن العبقرية ، كما وصفها بعض علماء النفس بمرحلة الخصوبة، أو المرحلة الذهبية لتقبل المعارف والخبرات وترسيخ العادات.

ورياض الأطفال هي بداية لطريق طويل يسمى اصطلاحًا (المؤسسات التربوية) وهي ترعى الطفل وهو لا يزال في مراحله المبكرة.

ومرحلة الرياض ليست مرحلة التدريس أو اكتساب المعلومات، بقدر ما هي مرحلة للتنمية الشاملة لحواس الطفل وقدراته وميوله واستعداداته. فالهدف من الرياض هو تربية الأطفال وتنشئتهم أطفالاً أصحاء أقوياء محبين

للعمل، متفتحي الذهن، قادرين على التكيف، ولهذا فإن على مناهج الرياض أن تركز الأنشطة والفعاليات التي تشبع استطلاع الطفل، وتجيب عن تساؤلاته، وتحدّد بدقة السنّ الملائمة للتدريب المثمر لكل فعالية، إذ إن قدرة الطفل على الاستفادة من التدريب على طائفة من الأمور العقلية يحتمل أن تتحسن بزيادة نضجه، ففي كثير من الأعمال نجد أن تدريبًا قصيرًا في سن متأخرة يفضي إلى درجة كبيرة من الإتقان تبلغ ما يؤدي إليه تدريب طويل في سن مبكرة.

ومما هو جدير بالملاحظة أن دراسات كثيرة وجدت أن إعطاء الأطفال تمرينات خاصة بقصد زيادة كفاءتهم في استخدام اللغة والتذكر، وحل المسائل، وفهم المدركات المتعلقة بالزمن .... إلخ قد زاد من تفوقهم على زملائهم الذين لم يتلقوا هذا التدريب، ولكن ذلك قد كلفهم كثيرًا من الوقت والجهد والتدريب المكثف لتعلم عمل قد لا يستغرق

الروضة محيط مختلف نسبيًا عن المنزل، وعندما يألف الطفل هذا المحيط، ويقيم علاقات جديدة مع رفاقه يبدأ بملاحظة أن المعلمة ليست له وحده. وفي هذا المحيط يكتشف الطفل النظافة والنظام، والعناية والتعاون

تعلمه سوى مدة قصيرة إذا تم هذا التعلم في مرحلة النضج المناسبة. أي أن الفرد يستطيع أن يتعلم أمورًا كثيرة في سن ما إذا أجل إلى الوقت الملائم الأمور التي تلائم مرحلة لاحقة من النضج.

كل ما تقدم يوصلنا إلى حقيقة مهمة هي ضرورة معرفة خصائص النمو لطفل الروضة حتى نستطيع مساعدته على إشباع حاجاته النفسية والبيولوجية، ومساعدته على تحقيق التكيف الحسن مع ذاته ومع مجتمعه. لأن من أكبر أخطائنا في تربية النشء عدم فهمنا طبيعة النمو وخصائص النشء في كل مرحلة من مراحل العمر. فما





على مناهج الرياض التركيز في الأنشطة والفعاليات التي تشبع استطلاع الطفل

خصائص النمو المميزة للطفل في مرحلة الروضة؟

أولاً: الخصائص الجسمية

تنمو أعضاء الجسم بنسب مختلفة متأثرة بعدة عوامل ، فينمو الجهاز العظمي والأسنان، والجهاز العصبي والعضلات، وينمو الطول والوزن، ففي نهاية السنة الثالثة يكون الطول نحو ٩٠ سم ثم يزداد ولكن بشكل بطيء نسبيًا، مع ملاحظة نمو الجذع واستطالة العظام، وفقدان الشحم الذي كان في مرحلة الرضاعة.

وبالنسبة إلى الوزن فإنه يزداد، ولكن بشكل بطيء أيضًا، وبمعدل كيلو غرام واحد تقريبًا في السنة على أن من أهم مظاهر النمو في هذه المرحلة هو تحول الغضاريف إلى عظام، واستطالتها، وزيادة حجمها مما يؤدي إلى نمو الأطراف ونمو الجهاز العصبي، إذ يصل وزن الدماغ في نهاية هذه المرحلة إلى ٩٠٪ من وزنه الكامل عند الراشد، ويتعاظم دور القشرة الدماغية في توجيه سلوك الطفل وتنظيمه.

وتؤدي بعض التغيرات الفيزيولوجية إلى زيادة قوة تحمل الطفل، وإلى تمكينه من أن يسهم في أوجه نشاط أكثر عنفًا ومشقة، كما أن التنفس يصبح أكثر عمقًا، وبينما يزداد ضغط الدم وتستمر الأسنان المؤقتة في الظهور، ويكتمل عددها، ثم تتساقط الأسنان اللبنية وتنبت الأضراس الدائمة الأولى في أواخر هذه المرحلة تبطؤ نبضات القلب. كما تحدث تغيرات نمائية مهمة تؤثر في تكيفات البصر والسمع، وفي الجهاز العصبي الحركي بأجمعه. إذ يتميز البصر بالطول وتسهل رؤية الكلمات الصغيرة، ويميز الطفل في هذه المرحلة الألوان ويسميها. كما يتطور السمع تطورًا سريعًا من حيث قوة التمييز



يكتسب الطفل مهارات جديدة من خلال النشاط الحركي

السمعي، ويلاحظ نمو حاسة الإيقاع الموسيقي. كما تتكون بعض المهارات الحركية، ويزداد التوافق الحسي الحركي لدى الطفل في هذه المرحلة مما يساعده على اكتساب مهارات جديدة كالتسلق إلى أعلى وإلى أسفل، وتسلق بعض الحواجز، والجري والوثب ... إلخ.

وبشكل عام فإن ما يميز حركات الطفل في هذه المرحلة هو أنها حركات غير هادفة، إذ يتصف نشاط الطفل بعدم الاستمرارية، فهو سريع الانتقال من نشاط إلى آخر، ومن مهارة إلى أخرى، ولايستطيع تركيز انتباهه لممارسة أي مهارة سوى مدة وجيزة. وسرعان ما يضيق ذرعًا بما يمارسه من نشاط، وتظهر حاجته الملحة إلى التغيير والتنويع، ويعد نجاح الطفل في بعض الأنشطة الحركية عاملاً مساعدًا على تثبيت الكثير مما يقدمه المشرفون على تربية الأطفال في الرياض من تشجيع وتمرين، وإيجاد الدوافع التي تثير الأطفال وتدفعهم إلى الحركة، وذلك عن طريق إشراكهم في الكثير من أوجه النشاط الجماعي الذي يكسب الطفل مرونة واتزانًا في حركاته. وعلى المربين الانتباه إلى نتائج الدراسات التي أثبتت وجود علاقة بين التأخر في النمو الحركي والإصابة بالمرض خلال فترة الطفولة، إذ تبين أن الأطفال المتأخرين في عطائهم الذهني غالبًا ما يعانون نقصًا في القدرات الحركية، بعكس الأطفال الموهوبين فإنهم يظهرون تفوقًا في نموهم الحركي.

ولابد للروضة من الاهتمام باحتياجات الأطفال الغذائية، ونشر الوعي الغذائي والصحي. وتعويد الأطفال عادات النوم والنظافة الجيدة. وتوفير فرص اللعب والعمل بالهواء الطلق، وتخصيص أنشطة تساعد على الكشف عن أي قصور قد يوجد عند الطفل في أي حاسة من حواسه، بالإضافة إلى ضرورة البعد عن الحركات التي تتطلب توافقًا عضليًا دقيقًا؛ لأن الطفل سيخفق بها بسبب عدم نمو عضلاته وتآزرها بشكل جيد.

تسهم الروضة في تنمية المشاعر السامية لدى الأطفال. فحنين الطفل لأصدقائه ومساعدته لهم، ومقاسمتهم اللعب والحلوى، ومحاولة الدفاع عنهم وحمايتهم.كل ذلك يساعد على تطوير المشاعر الاجتماعية

ثانيًا: الخصائص العقلية

يطلق بعضهم على هذه المرحلة مرحلة السؤال، إذ يحاول الطفل الاستزادة العقلية المعرفية فيكرر أسئلته بصيغ مختلفة ماذا؟ لماذا؟ متى؟ أين؟ كيف؟ ... إلخ.

إنه يريد أن يعرف الأشياء التي تثير انتباهه، ويريد أن يفهم الخبرات التي يمر بها. هو يسأل، ولكن قد ينصت للإجابة وقد لا ينصت، وقد يفهم وقد لا يفهم.

ويلاحظ بشكل عام أن أسئلة الأطفال في هذه المرحلة لا تعبر دائمًا عن اهتمامهم الاستطلاعي، والسعي إلى الحصول على معلومات جديدة. فالأطفال

الطفولة هي المرحلة التي توضع فيها بذور اضطرابات الشخصية المختلفة، كما أنها المرحلة التي توضع فيها أسس الشخصية السليمة بأبعادها ومكوناتها

بطرحهم الأسئلة يتوخون لفت انتباه الراشد واستدراجه إلى التخالط معهم، وغالبًا لا ينتظرون جوابًا، وقد لا يسمعون الأجوبة عن أسئلتهم، ويقاطعون الراشد عند البدء بالإجابة لينتقلوا إلى أسئلة جديدة.

إن تأثير الكبار يتجلى بالاهتمام بأسئلة الطفل، وتعليمه كيف ومتى يسأل، وتدريبه على صياغة السؤال المناسب، ومساعدته على اجتياز المسافة بين عالم الخيال وعالم الواقع معتمداً على القصص التربوية

أسئلة الأطفال للفت انتباه الراشد



الهادفة، مع الحرص على عدم المبالغة في القصص الخيالية كي لا يؤدي ذلك إلى تشويه الحقائق المحيطة به، وبذلك يمكن نقل المعارف المتنوعة للطفل، ونقله إلى الاهتمام بالمعلومات والبيئة ومعرفة الجديد.

إننا عندما ندرس الخصائص العقلية لطفل الروضة نجد أن هناك استناداً متبادلاً بينها وبين الخصائص النفسية ويتجلى ذلك فيما يأتي:

أ. الإحساس:

إن نشوء الإحساس يتطلب وجود تأثير منبه فيزيائي من جهة، واستعداد تشريحي من جهة ثانية. وطفل الروضة غالبًا ما يجد صعوبة في التفريق بين الإحساسات، وذلك لكون القشرة الدماغية والجهاز العصبي المركزي والخلايات الموصلة إلى أعضاء الحواس الخارجية من عين وأذن وجلد لا تزال في طور النمو.

وتؤدي الكلمة دورًا مهمًا في نمو الإحساس وإغناء خبرة الطفل، وخاصة عند اقتران دلالة المنبه بالكلمة المناسبة، كأن نردد على مسامعه كلمة أحمر حين نعرض اللون الأحمر، وأصفر حين نعرض اللون الأصفر ... إلخ بحيث نربط بشكل مستمر بين الإحساسات. كأن يشاهد الطفل التفاحة الحمراء ويلمسها، ويشاهد الليمونة الصفراء ويلمسها، وهكذا حتى نتمكن بواسطة الكلمة من تمييز صفات الأشياء ومقارنتها وتصنيفها بأسلوب يساهم في إنماء خبرة الطفل، فعندما يدرك التفاحة الحمراء فانه يعكس في الإحساس لونها ورائحتها وطعمها. كما يستطيع تمييزها من الفواكه الأخرى الشبيهة بها.

ويعد عمر ثلاث السنوات بداية لقدرة الطفل على التمييز بين الألوان: فالطفل العادي يستطيع أن يعطي كل لون اسمه الخاص به. ولكن هذه العلاقة بين الاسم واللون غالبًا ما تتكون بعد الرابعة من العمر.

ويستطيع الطفل تمييز الأشكال بحسب ما تشبه من أشياء موجودة في بيئته. فالدائرة تشبه الدولاب،

والأسطوانة تشبه الكأس، وهكذا يتعلم الربط بين الشكل والموجودات الحسية في محيطه.

ب ـ الإدراك:

يتميز إدراك الطفل في هذه المرحلة بالتمركز حول الذات، إذ يردّ كلّ شيء إلى نفسه ويدركه من خلال ذاته. كما أن تفسيره خبراته الحسية يتم بطريقة معقدة، فهو ليس مجرد مستقبل سلبي للمثيرات الحسية، وانما يختار منها ويدمج بينها في ضوء خبراته الإدراكية السابقة والخط العام للنمو. إنه يستجيب للمثير نفسه بطرائق متعددة، وتحت تأثير الظروف المختلفة من الحاجات والضغوط النفسية والاجتماعية والثقافية، ووفق القدرات العقلية التي يمتلكها الطفل، وفي بداية هذه المرحلة يصعب على الطفل إدراك الاتجاهات والعلاقات المكانية بين الأشياء؛ فهو لا يفرق بين اتجاه اليمين واليسار، أو أعلى وأسفل، أو أمام وخلف، ولا يميز بين الأعداد؛ لأنه لا يفهم معنى الكم. ويستطيع طفل الخامسة القيام بالعد الترتيبي حتى العدد عشرين أو أكثر مع ربط هذه الأعداد مع الأشياء المعدودة. على أننا إذا غيرنا الأشياء المعدودة من حيث الشكل، وأعطيناها شكلاً عشوائيًا في الترتيب لاعتقد الطفل أن الشكل العشوائي المنتشر أكبر من المجموعة المتقاربة. كما أن طفل الخامسة يستطيع القيام بعمليات الجمع والطرح ولكن يتعذر عليه فهم المقصود بعمليات الضرب والقسمة، لذلك أخذت هذه العمليات وضعها المتأخر في المنهاج.

كما يجد الطفل صعوبة في إدراك المكان لذلك يجب البدء معه بإدراك المكان الذي يعيش فيه، والانتقال منه إلى الظواهر والأماكن الأبعد. مع ربط هذه الفعاليات بالكلمات.

أما إدراك الزمن فهو أكثر تجريداً؛ لكونه لا يعتمد على الإدراك الحسي أو السمعي، وتدل الدراسات على أن الطفل العادي لا يدرك تمامًا ما يعنيه المدى الزمني للدقيقة أو الساعة أو الأسبوع حتى يبلغ السادسة من عمره أو يتجاوزها.

ج ـ الانتباه:

للنشاط والكلام دور بارز في زيادة حجم الانتباه لطفل الروضة؛ لكونه يدرك الكلمة ومعناها، فإن كلام الكبار يصبح موضوعًا لانتباهه، وهو قادر على توجيه هذا الانتباه بشكل إرادي إلى بعض الموضوعات التي تجذبه وتتطلب منه تركيزًا، ومن هنا كان دور المربين توجيه الاهتمام لمساعدة الطفل على الانتباه، وذلك بتنويع المثيرات والأنشطة التي تقدم له حيث الحجم واللون والحركة.

د ـ الذاكرة:

الذاكرة عملية عقلية تمكن الفرد من استرجاع الصور الذهنية البصرية والسمعية أو غيرها من الصور التي مرت بالفرد من ماضيه إلى حاضره.

إن تتبع تطور تذكر الأطفال يوضح لنا أن الفاصل الزمني يزداد تبعًا لازدياد السن كما أن تذكر الفرد طفولته قد يستمد معظم عناصره من أحاديث أهله وأقاربه، فيختلط الأمر عليه أحيانًا، ويظن أنه يذكر هذه الحادثة أو تلك.

وتدل الدراسات على أن الطفل في سن الخامسة يستطيع أن يتذكر الأرقام والألفاظ والحركات والمعاني والأوامر المختلفة، على أن تذكره للألفاظ والصور يحتل المرتبة الأولى؛ وذلك لارتباطهما الوثيق بالنمو اللغوي

الهدف من الرياض هو تربية الأطفال وتنشئتهم أطفالاً أصحاء أقوياء محبين للعمل، متفتحي الذهن، قادرين على التكيف

الذي يرتبط بدوره بالبيئة المحيطة.

وتزداد قدرة الطفل على التخيل، كما تزداد أكاذيبه الخيالية التي تعينه على أن يكيف البيئة ويصبغها بالصبغة التي تتماشى مع انفعالاته وأنشطته.

هـ - التفكير:

الطفل من الثالثة حتى السادسة يهتم بأنواع شتى من النشاط الذهني الذي يغني معارفه عن الأشياء وصفاتها. ومع ازدياد قدرته على الكلام تنمو لديه عملية امتلاك اللغة والقدرة على استخدامها كوسيلة من وسائل معرفة المحيط، أو وسيلة من وسائل معرفة الذات، وأداة اتصال بين الناس، كما تزداد قدرته على تمييز الصفات الجوهرية للأشياء، فالحصان حيوان، والوردة نبات، والأب إنسان .... إلخ كما يستطيع الطفل أن يقيم علاقات سببية بين الأشياء التي تحدث معًا. فقد يحدث أن يخاف من شيء ما ويختبئ تحت غطائه فيتوصل إلى الاعتقاد أن الغطاء قد حماه من الأذى. ومن خصائص هذه المرحلة الميل إلى إضفاء صفة الحياة على الأشياء الجامدة، فالحجر يبكي ويتألم، واللعبة تخاف، والحيوان يفكر ..... إلخ.

ويعد فهم معنى الكلام مزيجًا من التفكير واللغة. فالكلمة من دون معنى هي صوت فارغ ومن ثم فالمعنى هو محك الكلمة وعنصرها الضروري . ولذلك ينبغي الاهتمام بتطوير لغة الطفل من خلال اختيار الكلمات المناسبة، والتحدث معه بنبرات مختلفة، ومراعاة فترات

البيئة التي تغرس في نفس الطفل اتجاهات الكراهية والحقد والنقمة، تخرج أفرادًا منحرفين ومشكلين

الصمت والوقف، ورفع الصوت وخفضه: لان ذلك يهيئ الاستعداد للتعلم. فاكتساب الكلمات معناه اكتساب خبرة عقلية، وتجربة نفسية، وصلة اجتماعية. وقد وجدت الدراسات أن الطفل في عمر ٣ - ٦ سنوات غالبًا ما يعمد إلى تكرار المفردات والجمل ذاتها مما يشير إلى قلة مخزونة اللغوي. كما أنه يستخدم ضمائر المتكلم أكثر من ضمائر المخاطب مما يشير إلى اعتداده بنفسه وتمركزه حول ذاته.

و لأهمية اللغة في تطور نمو تفكير الطفل فإن من الضروري التعرف إلى بعض العوامل التي تؤثر في اكتساب اللغة وأهمها:

- العمر الزمني: فكلما تقدم الطفل في السن ازداد محصوله اللغوي، وازدادت قدرته على التحكم في استخدام الكلمات والجمل، ويرجع ذلك إلى العلاقة الوثيقة بين السن والنضج ولا سيما نضج الجهاز الكلامي والنضج العقلي، وما يصاحب ذلك من زيادة في خبرات الطفل.

- الصحة العامة: كلما كان الطفل سليمًا من الناحية الجسمية كان أكثر نشاطا، وأكثر قدرة على اكتساب اللغة.

- الجنس: وجدت الدراسات أن النمو اللغوي عند البنات يكون أسرع منه عند البنين، وذلك فيما يتصل بعدد المفردات، وطول الجمل وسرعة الفهم. ويكون هذا الفرق ظاهرًا في السنوات الخمس الأولى، إلا أن الفروق تتقارب إلى درجة تصل إلى التساوي فيما بعد.

- الذكاء: أثبتت الدراسات وجود ترابط عال ووثيق بين حاصل الذكاء والنضج اللغوي، كما أن الأطفال الأذكياء يستفيدون لغويًا من الحكايات والقصص أكثر من الأطفال الأقل ذكاء.

- البيئة الاجتماعية: يتأثر النمو اللغوي بالخبرات، وكمية المثيرات الاجتماعية ونوعها، إذ تؤدي كثرة خبرات الطفل وتنوعها، واختلاطه المستمر بالراشدين الذين



يدرك الطفل في الروضة حاجته إلى الرفاق واللعب المشترك

يستمعون إليه ويحدثونه إلى المساهمة في زيادة مفردات الطفل. وتشير بعض الدراسات إلى أن الطفل الوحيد ينمو لغويًا بشكل أفضل، وذلك لاحتكاكه الكبير بالراشدين. كما وجد أن الأطفال من الطبقات الأعلى أثرى لغويًا من أطفال الطبقات الدنيا.

ـ البيئة الثقافية: تؤثر الحكايات والقصص في النمو اللغوي تأثيرًا كبيرًا في هذه المرحلة لذلك يجب تأكيد التنويع في طرائق الإلقاء، وضرورة إشراك الطفل في المواقف، وإعادة بعض الجمل والأحداث في ما يعرض عليه من قصص.

ثالثًا: الخصائص الانفعالية

تشهد هذه المرحلة تغيرات تتناول مضمون المشاعر وشكلها، وينمو لدى الطفل الكثير من المشاعر الجديدة التي لم تكن موجودة من قبل، وذلك نتيجة للشروط الحياتية المستجدة لديه في الروضة، حيث تتكون العلاقات الجماعية ويدرك الطفل من خلالها حاجته إلى الرفاق واللعب المشترك. وتسهم الروضة في تنمية المشاعر السامية لدى الأطفال. فحنين الطفل لأصدقائه ومساعدته لهم، ومقاسمتهم اللعب والحلوى، ومحاولة الدفاع عنهم وحمايتهم في حال حدوث أذى لهم، كل ذلك يساعد على تطوير المشاعر الاجتماعية

السامية، وتحقيق النجاح والرضا عن الذات، وكل ذلك يتكون من خلال مجالات النشاط الكثيرة والمتنوعة التي يواجهها الطفل في الروضة بإشراف المربيات. ويتعلم الطفل تدريجيًا أن يستخدم الاستجابات الانفعالية اللفظية بدلا من الاستجابات الانفعالية الجسمية.

وبشكل عام تتميز انفعالات الطفل بأنها شديدة ومبالغ فيها ومتنوعة، إذ ينتقل الطفل بسرعة من البكاء إلى الضحك، ومن الانشراح إلى الانقباض .... إلخ.

وتزداد مخاوف الطفل في هذه المرحلة وتتركز حول الخوف من الحيوانات والظلام والأشباح والموت. على أن من أهم مخاوف هذه المرحلة هو الخوف من الانفصال عن الوالدين.

وتظهر نوبات الغضب والعناد والعدوان وخاصة عند حرمان الطفل من إشباع حاجاته. وفي مواقف الإحباط والصراع والعقاب.

وتتأجج مشاعر الغيرة من الإخوة في المنزل، ومن الرفاق في الروضة. ولذلك يجب توزيع الحب والرعاية والعطف بين جميع الأطفال حتى لا تتولد الغيرة بينهم وتأخذ شكل عدوان أو نكوص.



كلما كان الطفل سليماً كان أكثر نشاطاً

رابعًا: الخصائص الاجتماعية

يزداد اهتمام طفل الروضة بأترابه، ويزداد اهتمامه

الطفل الوحيد هو أكثر حاجة من الآخرين إلى التخالط الاجتماعي، والولد المدلل يصادف مقاومات رفاقه ومعاكساتهم لمتطلباته فيصبح تصرفه أقل تعديًا، وأقل حبًا للذات

باللعب معهم، وهذا التفاعل مع الرفاق يجعله أكثر وعيًا باختلافه عنهم، إذ يرى أطفالاً آخرين أكبر أو أصغر منه، أقوى أو أضعف منه، وتزداد معلوماته عن الأطفال المحيطين به فيعرف أن بعضهم أسمر اللون والآخر أبيض، ثم يكتشف بالتدريج أن لكل منهم أسرة تختلف عن أسرته، وأن بعضهم له إخوة وبعضهم الآخر وحيد ...... إلخ وكلما ازداد التفاعل الاجتماعي بين الطفل وأترابه ازدادت خبرته، وازدادت أسئلته، ويغدو بعض الأطفال في هذه السن أكثر شعبية، وأكثر حبًا للقيادة.

على أن من أهم مظاهر النمو الاجتماعي لدى طفل



يهيىء اللعب الفرصة المناسبة للطفل ليعرف الكثير عن رفاقه وعن بيئته

الروضة ازدياد وعيه بالبيئة الاجتماعية، ونمو الألفة لديه، وزيادة مشاركته الاجتماعية، واتساع دائرة علاقاته وتفاعله الاجتماعي مع جماعة الرفاق. كما أن بشائر الوعي والإدراك الاجتماعي تبدأ بالظهور عندما يبدأ الطفل بالتمسك ببعض القيم الأخلاقية، والمبادئ والمعايير الاجتماعية. وعندما يحرص على المكانة حيث يهتم دائمًا بجذب انتباه الراشدين. وخاصة المهمين بالنسبة إليه، كالأم والأب والمعلمة.

ويهيئ اللعب الفرصة المناسبة للطفل ليعرف الكثير عن رفاقه وعن بيئته. إذ يعد اللعب النشاط الأقوى في حياة طفل الروضة. إنه يتطور بتطور مراحل النمو، كما يتميز بأنه يمثل شكلاً من أشكال الانعكاس الفعال لحياة الناس المحيطين بالطفل، فالطفلة تتصرف كأمها، والطفل يتصرف كأبيه، ونجد هذا النوع من اللعب لدى أطفال الخامسة والسادسة على نحو أكثر تفصيلا وكلما كان الدور الذي يؤديه الطفل مهمًا كان ذلك أمتع بالنسبة إليه، فلعب دور الطبيب أفضل من لعب دور المريض، ولعب دور المعلمة أفضل من لعب دور الطالبة وهكذا. ويتوزع الأطفال هذه الأدوار فيما بينهم بحماسة، كما يراقبون سلوك الراشدين في أداء أدوارهم قبل أن يباشروا بتقليدهم، ثم يضيفون تخيلاتهم إلى الدور الذي يقومون بأدائه.

ويميل طفل الخامسة إلى اللعب التخيلي مع رفاق يتخيلهم، كما يميل إلى اللعب بالرمل والطين وتخريب ما بناه. وبشكل عام يمكن أن يساهم اللعب في إعداد الطفل للفعاليات الجديدة التي ستواجهه في المستقبل، مما يساعد على تكوين شخصية قادرة على التكيف مع البيئة الاجتماعية.

إن من أهم مسؤوليات الروضة في عملية التنشئة الاجتماعية تعليم الطفل التفاعل الاجتماعي مع رفاق السن، وتكوين الصداقات وفن الاتصال بالآخرين، وتكوين الضمير، وتعليم الطفل التمييز بين الصواب

والخطأ، والخير والشر، وتنمية اتجاهات سليمة نحو الجماعات والمؤسسات والمنظمات الاجتماعية، ومساعدته على ممارسة الاستقلال التدريجي، واكتساب اتجاه سليم نحو الذات والآخرين، وتعليمه كيف يستطيع تحقيق أهدافه بطريقة ملائمة تتفق مع المعايير الاجتماعية مع مراعاة كل ما من شأنه ضمان نمو الطفل نمواً نفسياً واجتماعياً سليماً.

وهناك نقطة مهمة يجب الانتباه إليها هي أن ما تلاحظه المربية من سلوك لا اجتماعي لدى بعض الأطفال في الروضة قد يكشف عن تأثير العادات والمعايير السائدة في الجماعة التي ينتمي إليها هؤلاء الأطفال. فالطفل الصغير لا يكون رجعياً أو تقدمياً، ولا يفضل عرقاً على عرق أو ديناً على دين، أو مذهباً على مذهب، وإنما تعبر المواقف التي يتخذها الطفل في مثل هذه الأمور عن الخبرة التي يكتسبها من الجماعات التي يعيش بينها، فتعصبات الأطفال إن وجدت فإنها تكون مأخوذة عن الأهل والبيئة الاجتماعية.

ولذلك يمكن القول: إنه مهما كان دور الروضة فعالاً في عملية التنشئة الاجتماعية والنمو الاجتماعي للطفل، فإن دور الأسرة يبقى أكثر فعالية وتأثيراً، وكل منهما يكمل الآخر، فالأسرة هي المدرسة الاجتماعية الأولى للطفل، وهي الحاضن الأول، وهي العامل الأساسي والمهم الذي يمارس تأثيره في النمو الاجتماعي للطفل وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه. فالطفل في أسرته يتلقى معلوماته الأولى عن الحياة وعن الآخرين، كما يتعلم الطرائق والوسائل الاجتماعية التي تفاعل بها معهم ويتعلم أشكال السلوك التي يحتاج إليها ليعيش في محيطه. وهي النموذج الأمثل للجماعة الأولية التي يتفاعل الطفل مع أعضائها ويتأثر بآرائهم ومواقفهم، وذلك لاعتماده عليهم فترة طويلة، ولحاجته إلى اعترافهم به وتقبلهم له، ورضاهم عنه. وقد وجدت الدراسات أن الطفل الذي يحظى بالحب والرعاية والقبول من قبل الأفراد المحيطين به في طفولته الأولى يشعر بقيمته الاجتماعية، ويحقق قدراً من التوافق الاجتماعي، والرضا الشخصي.

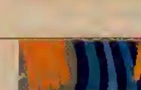
أما الطفل الذي يعيش في مؤسسات خاصة بسبب فقده الأسرة، ولا يتوافر له الحنان والعطف فإنه على الغالب يبقى قاصراً من حيث النمو الاجتماعي، ولو قدمت له جميع وسائل العناية الجسمية.

ومن المناسب القول: إن هناك الكثير من الأطفال الذين يعيشون داخل أسرهم، ولكنهم لا يتمتعون بنمو اجتماعي سليم، وذلك لطبيعة المعاملة القاسية والتسلطية التي تسود جو الأسرة. وبالمقابل هناك أطفال فقدوا كلا الوالدين أو أحدهما، ولكنهم يتمتعون بعلاقات حسنة، ونمو اجتماعي مناسب، واتجاهات إيجابية نحو الآخرين، وذلك لوجود أسرة بديلة مشبعة بالحب والقبول والثقة المتبادلة.

الخاتمة

يمكن القول: إن الروضة تسهم بدور كبير في مساعدة الطفل على التوافق الاجتماعي الناجح وتوفر له فرص الاتصال الأولى بجماعة الأقران، وتعمل على دفع عجلة التنشئة الاجتماعية للطفل، وتأكيد ذاته، والاعتماد على نفسه، وتلبية حب الاستطلاع والاتصال لديه، ومعرفة بيئه والحفاظ عليها، واكتشاف قدراته الذهنية وتنميتها وتوجيهها.

ولكن مهما كان دور الروضة فإنها لن تستطيع تحقيق أهدافها إلا بتوافر تلك العلاقات التي تقوم على أساس التعاون والتفاهم مع الأسرة. إذ يؤدي توطيد العلاقة بين أولياء أمور الأطفال والمربيات دوراً مهماً في عملية التكامل التربوي والتنشئة الاجتماعية.



رينوار: المحتفل بنضارة وجـ

«فتاة تمشط شعرها» مرسومة في عام ١٨٩٤م

...ــــوه الأطفال

فاضل كمال الدين
بابل - العراق

ولد بيير أوغست رينوار في "ليموج" فرنسا. في الخامس والعشرين من يناير/ شباط من عام ١٨٤١م. وكان والده يمتهن الخياطة. وانتقل مع عائلته إلى باريس عندما كان عمر الطفل أربع سنوات.

وكان والدا الطفل يهتمان بالأشياء الفنية وهو يتذكر بوضوح أنه قد ترعرع في جوّ كان يعزّز الأمل في أن يصبح الطفل فنانًا في مجال المناظر الطبيعية عندما كان يسير مع أُمه وسط الغابات في «لوفسيان» وأخذت موهبة أفراد العائلة تظهر فعلاً وبوضوح، فقد كان أخوه - مثلاً - نقّاشًا بارزًا، فوجد الوالدان فرصة لتدريب الطفل لدى أحد منتجي الخزف الصيني، وكان الرسم على الخزف الصيني، في ذلك الحين، يتم يدويًا. فكان الطفل بيير يرسم على القطع الخزفية أشكالاً نباتية وطاقات أزهار. وسرعان ما بدأ يحضر صفوفًا مسائية في فنّ الرسم، ويقوم بزيارات منتظمة لمتحف «اللوفر» حيث أُعجب أشدّ الإعجاب بمنحوتات القرن السادس عشر ورسوم «بوشيه».

تجمع وتفرق

وكان طموح رينوار هو الدخول إلى مصنع الخزف الصيني في «سافر» بصفة رسّام على الخزف، ولكنّه لم يفلح في ذلك. وبعد تشجيع من صديقه لابورت دخل ستوديو (معهد) «غلير». ولم يكن هناك في المعهد سوى القليل من التدريس المجاني والسائب، ولهذا السبب ذهب إلى صفوف مسائية تدرّس موضوعات الرسم والتشريح وتنظمها «مدرسة الفنون الجميلة». وكان رينوار محظوظًا لالتقائه في ستوديو «غلير» ثلاثة من زملائه الطلاب هم: مونيه، وبازل، وسيسلي. وكان مونيه قد أتى إلى باريس من «الهافر» وبتشجيع من بودان في حين أن سيسلي وبازل كانا من المعجبين بالفنانين كورو وكوربيه.

وهكذا فقد كان هؤلاء الثلاثة على اتصال بالحركة الواقعية. ولكن رينوار بقي محتفظًا بحماسته لأعمال الأساتذة الكبار القدماء. وهو الذي كان يغري مونيه المتردد بالتجول في أروقة متحف «اللوفر».

وعند إغلاق ستوديو «غلير» دخلت المجموعة في فترة الستينات من القرن التاسع عشر التي نقلتهم من الواقعية إلى المرحلة الأولى من الانطباعية. فأخذوا يرسمون مشاهد في الغابات وفي غابة «شيلي»، وهكذا التقى رينوار الطبيعة الريفية كموضوع الرسم أول مرة، وكان لا يزال يعمل بهدي من كورو وكوربيه، وعند التقاء أفراد جماعة الانطباعيين بعضهم ببعض، التقى رينوار الفنانين مانيه وبيسارو وسيزان وزولا، بالإضافة إلى أشخاص مثل دياز وكوربيه.

وبدأ رينوار يجتذب إليه شيئًا من الانتباه بما أبدع في تلك الفترة من صور لأشخاص، ومن دراسات في الأشكال. وهكذا كتب الناقد بورجر عن لوحته «ليز» قائلاً: «إن التأثير طبيعي جدًا وصادق جدًا بحيث إنّ المرء لا يكاد يصدق ما يرى». ثم أخذ اهتمام رينوار يتركز في رسم المشاهد الطبيعية، وفي الحالات السريعة الزوال



«حياة صامتة»، مرسومة في عام ١٩١٠م

للضوء والظلال المتراقصة على المياه المترقرقة، ويتركز في المتنزهين المنهمكين في أحاديث وهم تحت الأشجار.

وبرزت شخصية رينوار المستقلة والحقيقية عند انعقاد معرض الانطباعية الأول في عام ١٨٧٤م. وفي هذا الوقت حالفه الحظّ، فجذبَ اهتمام دوراند - ريول التاجر الذي كان يمجد الانطباعية عدة سنوات. والذي أدّى شراؤه لوحات رينوار إلى تمكينه من أخذ ستوديو في شارع «سانت جورج».

وتوقفت مغامرات رينوار التصويرية والعمولات الضئيلة التي كان يحصل عليها من رسمه الأشخاص عند اندلاع الحرب بين فرنسا وبروسيا، وهكذا تشتت شمل أولئك الانطباعيين الذين كانوا يلتقون بعضهم مع بعض في مقهى «غير بوا».

ففي حين أن مونيه وسارو ورسامين آخرين سافروا إلى لندن، وجد رينوار نفسه في فرقة الفرسان في بوردو والبرنيز. وبعد انتهاء الحرب استقر رينوار في باريس من جديد، وأخذ يفتش عن عمولات من رسمه صورًا لأشخاص، وأخذ يرسم مناظر طبيعية. كانت تسحره أيَّما سِحْر في المناطق الريفية.

وجَلَبَ معرضُ الانطباعيين المعقود في عام ١٨٧٤م، وكذلك المعرض الآخر المعقود في عام ١٨٧٦م للفنان رينوار السخرية نفسها التي جُوبِه بها الفنانون الآخرون الذين ساهموا في العرض، ثم حالفه الحظ عند التقائه بفكتور شوكيه الذي كان يقتني لوحات «ديلاكروا» الذي

أصبح الراعي الحقيقي للفنان رينوار، وكان شوكيه يُعطيه عمولات لكي يرسم صورًا شخصية له ولزوجته. وخلال السنين العشرين اللاحقة اشترى شوكيه عددًا من لوحات رينوار.

وبخلاف الأمر مع بيسارو ومونيه وسيسلي، بدأ رينوار يحقق شيئًا من النجاح، وفي عام ١٨٧٨م قبلت لوحاته في «الصالون» الرسمي.

وفي عام ١٨٧٩م سافر رينوار إلى الجزائر، وبقي فيها ستة أشهر. ورسم عددًا من اللوحات الفنية على القماش هناك. وفي عام ١٨٨١م سافر إلى إيطاليا، وزار روما وبعض المدن الأخرى، وأُعجِبَ بعدد من الفنانين فيها

«أمام البيانو» مرسومة في عام ١٨٩٢م



وبخاصة رافائيل الذي بقي رينوار مسحورًا أمام لوحاته الجدارية الجصّية التي كان يشك في قيمتها الفنية.

وبدأ رينوار يشعر بأن اهتمام المدرسة الانطباعية بالضوء قد أبعده عن الاهتمام بالشكل. ثم أخذ يهتم بما في المتاحف من آثار فنية وبالأستوديو العائد له، وأخذ يشعر بحاجته إلى تغيير أسلوبه. وهكذا فعند حلول عام ١٨٨٥م نجدُه يرسم وفق «الطريقة الحادة» كما تُسمى وهي تتصف بتحديد واضح للخطوط، وبدرجة عالية من صقل التفاصيل الوصفية.

وعند حلول عام ١٩١٠م أصبح رينوار مقعدًا بسبب مرض التهاب المفاصل الذي بقي ملازمًا له خلال السنين العشرين الأخيرة من حياته، وصار لا يقوى على استعمال أصابعه. ولكنه كان يحمد الله على أنه لم يصب بالعمى، مثل ديغا المسكين.

وتوفي رينوار في عام ١٩١٩م، وبقي يرسم إلى آخر يوم في حياته تقريبًا (١).

فنُّهُ

فنّ رينوار هو فنّ إنسان له علاقة طيبة مع الحياة، وإلهامُهُ ينبع من ابتهاجه الحسيّ بالعالم. ومن هذا الابتهاج أتى سيْل من الرسوم التي ليس لها نظير في روحها الغنائية، ولم يكن فنُّهُ مُثقلاً أبدًا بأفكار أو بصراع. وكما يفعل جميع الفنانين الصادقين قام رينوار بنقل كل ما كان قد رآه بصدق، ولكنه كان قد رأى الأشياء بعيني العاشق، وكل عنصر في فنِّه يؤكد رؤيته هذه.

كان رينوار إنسانًا لطيفًا ودودًا، وغير معقد وخاليًا من التوترات المزعجة. وليس مثل بعض عظماء الرسامين المعاصرين له الذين كانوا يتخذون من الرسم وسيلة للهروب من الألم النفسي من أمثال: فان كوخ، و ديغا، وتولوز ـ لوتريك (٢).

وكان يرسم بتلذُّذ عظيم بحيث كان ابتهاجه بمهنته



«جان وجنفيف كيليوت»، مرسومة في عام ١٨٩٥م.

وبموضوعاته يصل إلى نفوسنا على الفور. ويتحتم علينا القول: إنه لم يكن هناك فنان قد مارس الرسم بمثل تلك الحرية ومثل تلك التلقائية، وفي بداية الأمر، لقي رينوار تعنيفاً من جلير الأستاذ في مدرسة الفنون الجميلة الذي تلقى رينوار عنه التدريب الرسمي فقط في عام ١٨٦٢م وعام ١٨٦٣م إذ قال له أستاذه: «من المؤكد أنك تلعب عندما ترسم لتسلّي نفسك» فأجابه رينوار قائلاً: «هذا أمر أكيد. وإذا لم يكن الرسم يسليني فأرجو أن تعتقد أنني سوف لا أقوم به».

وربما لم تكن هناك وقاحة في جواب رينوار؛ لأنه كان

يعتقد أنَّ من الأمور الغريبة أن يمارس المرء الرسم لأي سبب آخر غير التسلية. وهو بعد أن صار شيخًا قال: «كنتُ أفرح، عمري كلّه، عندما كنت أضع الألوان على القماش».

ويختلف فنّ رينوار عن فنّ الانطباعيين الآخرين إذْ إنَّ ذلك الفنّ لم يكن مجرد انعكاس لجوانب مفرحة في الحياة، وإنما هو انتصار لنموذج من السعادة والجمال، هو نوع من التغلُّب على الأسى. ومن الأمور البارزة أنه لا توجد في ذلك الكيان الضخم من أعمال رينوار الفنية ـ الذي يقدره بعضهم بأنَّه يتألف من أربعة آلاف لوحة ـ أيُّ إشارة إلى أمزجة كئيبة أو متكدرة. وكان رينوار قد تعرض في السنوات الأولى إلى صعوبات ازدادت بسبب التهجمات السياسية عليه؛ لأنه ـ وبصفته من الانطباعيين ـ لم يكن ينصاع إلى المعايير التقليدية في الفن. وكانت هناك أيضًا في حياته فترة من الشك في النفس كثيرًا ما كانت مأساوية لفنان في العقد التاسع من العمر، وكانت هناك أيضًا أمراض متكررة ابتدأت من الحادية والأربعين من عمره بحيث إن السنوات الخمس عشرة الأخيرة من حياته كانت سنوات عذاب بسبب آلام المفاصل. وبقي في السنوات القليلة التي سبقت موته مقعدًا، بحيث إنه كان يجب أن يُحمل إذا لم يكن جالسًا على كرسي المقعدين، وكان يجب ربط فرشاته بيده المتصلبة، ومع ذلك لم يكن هناك أثر لمعاناته الشخصية يمكن ملاحظته في أيّ عمل من أعماله الفنية.

كان فنّ رينوار إيجابيًا دائمًا، وكان يركز ـ وبالفطرة ـ في الجوانب المفرحة في الأشياء المألوفة التي تحيط به مثل: الحياة في الشوارع، يوم جميل في الريف، طاقة من أزهار، كمية وافرة من فواكه، أُناس يلعبون أو يعزفون الموسيقى، مظاهر الشباب والصحة. وكان «رينوار» حسّاسًا لنضارة وجوه صغار الأطفال، وقام برسمهم بهيام وعدم تصديق وبالشكل الذي يراه آباؤهم عليه. وكانت لديه نزعة قوية إلى تسجيل تفاصيل الحياة في عصره. وتعدّ لوحاته وصفًا بارعًا للكيفية التي كان الناس يبدون عليها، وماذا كانوا يرتدون، وماذا كانوا يفعلون في لحظات فراغهم. وقد نظر أصحابُ الذوق المنمّق في أواخر القرن التاسع عشر نظرة إعجاب إلى رسومه.

وكلّ شيء يلمسُهُ رينوار يمنحه بهاءً وسحرًا، وليس هناك من فنان آخر غيره اكتشف في الحركات العادية للشكل البشري مثل تلك الملامح المفعمة بالحيوية والمرح ومثل تعابير الوجه الفاتنة تلك. وإذا كان رينوار ليس من أعمق الرسامين في رسم صور الأشخاص، غير أنه رسام لا يتفوق عليه أحد في رسم القوام البشري.

وبدأ رينوار يكسب نقودًا من الرسم عندما كان في الثالثة عشرة عند مجيء عائلته إلى باريس في «ليموج»

«جُولي مانيه مع قطتها»، مرسومة عام ١٨٨٧م



حيث وُلِدَ. وقد تلمذ في الرسم للخزف الصيني وقام، فيما بعد، بعمل زخارف جميلة على المراوح وستائر الشبابيك مستعيرًا الموضوعات والأفكار من الأساتذة الفرنسيين الكبار في القرن الثامن عشر وهم: واتو، وبوجيه، وفراكونار الذين بقي معجبًا بهم طوال حياته، وممّا لا شكّ فيه أن خبرته الأولى هذه قد رسَّخت قدرته الزخرفية التي بقيت موجودة دائمًا في أعماله الفنية، وبالإضافة إلى ذلك التوهُّج اللمّاع في ألوانه التي تجتذبنا وكأنها موسيقى لونية، وسرعان ما وجد أن الانطباعية تقيّده جدًا، وهكذا تبيّن أعمالُه اللاحقة كيف أنه قد تجاوز الانطباعية وهو لم يتوقف أبدًا عن دراسة الفن العظيم في الزمن الماضي الذي كان رينوار أكثر ارتباطًا به من أي فنان آخر من جيله، وعندما سُئل أين يمكن للمرء أن يتعلم الرسم، أجاب «في المتاحف!!». وكانت أعماله الأخيرة. وهنا نحن نذكر أعمال النحت الجميلة التي أبدعها. منسجمة مع روح الرسم في القرن العشرين إذْ إنَّ غنائيته أخذت تزداد اتساعًا وقوة وإبداعًا وجرأة، وأصبح يقترب من فنّ التلوين «التجريدي» وذلك: بمقدار ما كان إخلاصه للأشياء التي كان يحبّها يسمح بذلك.

وتنبع عظمة رينوار أيضًا من ألوانه ذات البريق والأصالة اللذين لا نظير لهما واللذين يميزان الأشكال بانتقال دقيق وبارع من درجة لونية إلى درجة لونية أخرى. وهذا الحبّ للأصباغ كمادة سحرية. ورسوم رينوار ذات التبسيط العجيب، وخاصةً في أعماله الأكثر نضجًا. تحلّ محلَّ الرسوم الخشنة والجافة والمتصلبة. وهناك أيضًا موهبته في التأليف الزخرفي. ويفوق هذا كلَّه الحبُّ العظيم الذي كان يضمُرُه للناس وللعالم، وكانت نتيجة ذلك فنًّا احتفاليًا ومبهجًا، ومن أبدع الفنون التي ظهرت إلى الوجود.

يقول جي. تي. مولر وفرانك ألغر في كتابهما «مئة عام من الرسم الحديث»: إنه ربما يُوصف مونيه وبيسارو وسيسلي بأنهم رسّامو المشاهد الطبيعية غير أنَّ أوغست رينوار نذَرَ نفسه وبصورة رئيسة، إنْ لم يكن كليًّا، لرسم صور الأشخاص. وهو الآخر قد اتخذ من الضوء له مذهبًا واستغله في كل صورة من صُوره، لكنَّه وبدلاً من محاولته الإمساك به قبل أنْ ينسلَّ سريعًا فيتغير مشهدُ السماء والماء والحشائش والأشجار، فإنَّه قد وجد متعة في اقتناصه وهو يداعب وجه أحد الأشخاص.

وفي هذه الناحية كان وضعُه يُشابه وضع مانيه الذي يماثله أيضًا في تعلقه بالضوء، وهو مثل مانيه أيضًا من حيث إعجابه بالفنانين تسيانو وفيلاسكيد. وديلاكروا وأبدى أيضًا إعجابًا موازيًا لذلك بالفنانين روبنز وبوشير. إذ إن الإثارة الحسيّة التي وجدها في أعمالهم الفنية كانت غزيرة لديه مع أنها في طبيعتها لم تماثل بالضرورة ما كان هو يملك من حسٍّ[٢].

ونحن لا نعثر في فنّ رينوار على أثر للعذاب أو القلق الذهني أو تعقيدات نفسية. وفي الصور التي رسمها لأشخاص لا نجدُهُ إلا أمام وجوه متألقة ومستبشرة، وتعبِّر عن شعورها بلذَّة العيش في العراء وفي غمرة الضوء الناعم. ونساء رينوار شابّات نضرات في معظم الأحيان. شيء من الفردوس يبقى مكتنفًا امرأة رينوار عندما تضع عليها ثياب شابة باريسية أو حين ترقص تحت أشجار «طاحونة غاليت» أو حين تصغي إلى الموسيقى أو عندما تضع القبعة على رأسها لدى الخياط. وهذه المرأة وبأوضاعها المختلفة تنتمي تمامًا إلى الفترة التي رسمت فيها. وكل مَنْ يريد التعرف إلى المجتمع الباريسي في ظل حكم نابليون الثالث أو في أثناء السنوات الأولى للجمهورية الثالثة، أو إذا هو أراد معرفة ماذا كان الناس يرتدون، وكيف كانوا يمتعون أنفسهم، فعليه اللجوء إلى رسوم رينوار بقدر ما هو يستطيع اللجوء إلى مانيه.

وعند اقتراب عام ١٨٨٣م، وعلى الرغم من أنَّ رينوار كان قد رسم عددًا من الأعمال التي عدّوها من روائع



«مشهد طبيعي في الربيع»، مرسومة عام ١٨٧٧م، هي مثال بارز على الأسلوب الانطباعي

الانطباعية، أخذ يشعر بأنه قد وصل إلى طريق مسدود. وفي أثناء رحلة قام بها إلى إيطاليا، وأُعجب خلالها بالفنان رافائيل وجداريات بوجي الجصيّة، بدأ يعتقد مثلما قال «لم أكن أعرف كيف أُخطّط أو أرسم». وبعدها قرر أن يركز في التخطيط كثيراً، ثم قام بالتركيز فيه فعلاً عدة سنوات، فصارت رسومه قاسية، وأصبحت ألوانُه حادَّة، وضوؤُه جامداً، وتكويناته صارمة أكثر افتعالاً. ومع ذلك خرجَ، فيما بعد، من أزمته ناضجاً متجدداً فأزال القسوة من تخطيطاته، ومنحَ الأشكال ثباتًا وتماسكًا جديدَين. ولم يعد ضوؤُه جامداً. ويعكس



«المظلات»، مرسومة عام ١٨٨٤م، هي لوحة مشهورة



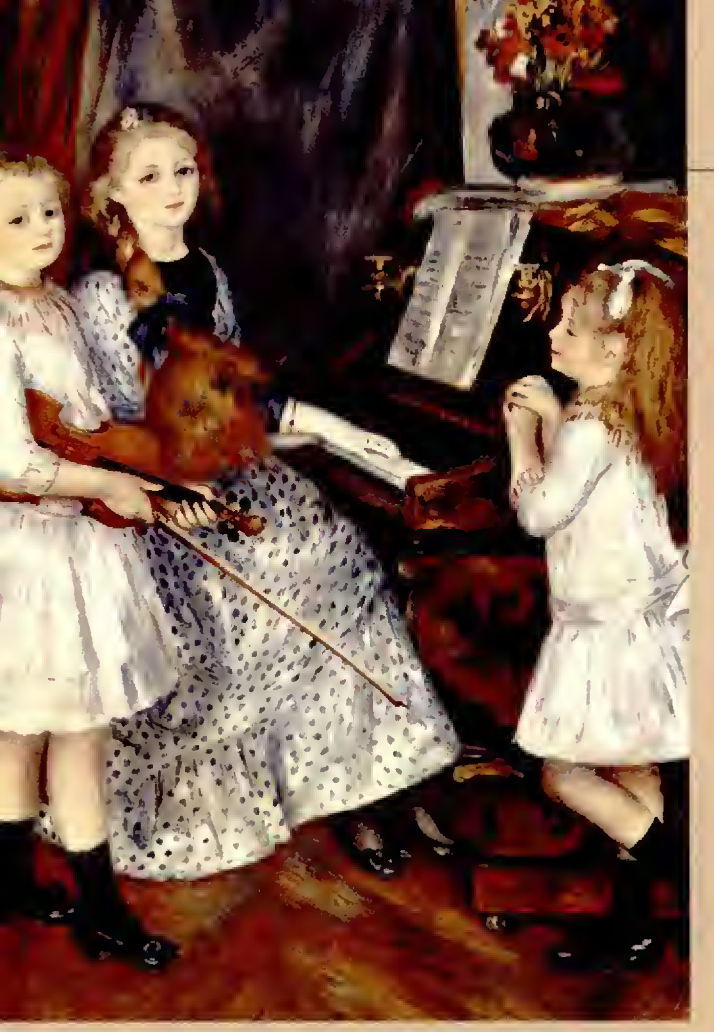
قوارب شراعية في أرجنتون، في عام ١٨٧٢/١٨٧٤

تصويرُ رينوار أجساد النساء عشقه للحياة بعطائها وبدائيتها ونشوتها وتمجيده لتلك الحياة (٤).

شاعرية باريس

يقول جان ليمارين في كتابه المعنون «الانطباعية»: إنه بخلاف رسوم كوربيه ورسّامي «الباربيزون» الذين بقي استلهامهم ريفيًا ورعويًا، نَبَعَ السحر الفريد للانطباعية من شخصيتها المزدوجة التي نصفها ريفي ونصفها الآخر حضريّ. وإنَّ «موضة» الرسم في الهواء الطلق كان قد تزعمها رجال أقاموا فترة طويلة في المدن ونشطت في وقتٍ حلّ فيه عصر جديد من المواصلات السريعة التي سهلت الانتقال السريع من مكان إلى آخر فاختلط الانطباعيون بالجماعات التي كانت تقضي عطلاتها خارج باريس، وعلى شواطئ البحر أو في المناطق المترامية غرب باريس. وكان من أوّل ما رسَمَ الانطباعيون فُسحات الصيف ونزهات أيام الأحد في الأرياف المفتوحة التي ينطلق فيها الشبان والشابات بثيابهنّ الملونة مرحًا واستبشارًا. وما إن انقضى عام ١٨٨١م حتى تفرق شمل جماعة الانطباعيين مبتعدين عن باريس في محاولة للعثور على عناصر جديدة وفريدة في الطبيعة.

وخلال السبعينيات من القرن التاسع عشر، في أثناء فترة «أرجنتوي»، لم يغادر رينوار قطّ باريس التي كان



«بنات كاؤول ـ مَنْدِه» مرسومة في عام ١٨٨٨م

مانيه، وبيسارو، وسيبسلي، وسيزان يترددون عليها إذ إنّ باريس لم تكن لهم جميعًا مجرد نقطة التقاء بين الحين والحين (في مقهى أثينا الجديدة) أو مجرد مكان يعرضون فيه أعمالهم الفنية معًا بل إنّ باريس كانت بحدّ ذاتها مثارًا لاهتمامهم.

وكتب بيير فرانكاستيل قائلاً: «الانطباعية وُلِدت في باريس ولنْ تُفهم إنْ هي عُزِلَتْ عن هضبة مونمارتر وشوارع المدينة الكبرى». وقد سبق أنْ ألمحنا إلى هذه العلاقة الوثيقة، وإلى شجر المدينة الكبيرى وإيحاءاتها كمشهد رائع بحدّ ذاتها، وكحافز مثير لتصوير الحياة الحديثة كما هي في الواقع.

ومثلما نحن نرجع إلى الفنان واتو سعيًا وراء صورة باريس القرن الثامن عشر، نحن نرجع إلى لوحات مانيه وديغا ورينوار ومونيه لنكتشف من جديد أجواء باريس والشاعرية التي كانت عليها في أواخر القرن التاسع عشر. ويعود الفضل إلى هؤلاء الفنانين في أنّ هذه الحقبة جلبت لنا بصدقها الحياة على هيئة فنّ رشيق ومملوء بمسرّات الحياة الريفية ومباهجها.

وفي عام ١٨٧٣م رسم مونيه لوحته «شارع كابوسين» في ذروة موسم الكرنفال، وفي عام ١٨٧٦م رسم «حدائق التويلري» وباريس كلّها تتوهج وسط شمس الغروب الذهبية، وفي عام ١٨٧٧م صوّر مجموعة القاطرات في محطة سانت ـ لازار، وفي عام ١٨٧٨م رسَم «طريق سانت ديني» و«طريق مونتور غوي» وقد صُفّت على جانبيه الأعلام والرايات.

غَمَر سحرُ باريس أيضًا أعمال رينوار الفنية ورَسَم صور ذلك السحر كلّها بتفاؤل وحرارة وأمانة. وفي معرض مجموعة الانطباعيين في عام ١٨٧٤م عَرضَ لوحته المعنونة «الباريسية» التي هي رائعة بما فيه الكفاية. وكذلك لوحته الشهيرة «مقصورة في المسرح»، غير أن مقدرته الطبيعية وقوته الفنية لم تكتملا تمامًا إلا بعد عام ١٨٧٥م. فبعدَ أن استوعب الأسلوب الانطباعي صار باستطاعته أن يعالج الأشكال بالحرية نفسها التي يعالج بها المنظر الطبيعي. وبالقدرة نفسها وبضربات فرشاته البارعة استطاع أن يسجل كلَّ ظلّ وكلَّ انعطافة ضوء في صوره في ما وراء الأبواب وفي خارجها. فالمشاهد الخارجية لأرصفة باريس وشوارعها، وشمس أيار التي تكسو أعالي أشجار الكستناء، والمظلات الواقية في انهمار المطر تتعاقب مع صور الأشخاص ومشاهد الحياة اليومية التي تغمرها روح القرن الثامن عشر لتعود بها إلى الحياة في زيّ عصري. ولوحات «رينوار» تعكس شذرات واقعية من حياة باريس في القرن التاسع عشر.

عاش رينوار في «مونمارتر» عندما كانت لا تزال

قرية وضاحية من ضواحي باريس. وتمثّل لوحته «طاحونة غاليت» أنشودة فنية تتجاوز الزمن وهي ممتلئة بالضوء والمرح، بلْ هي تمثل أكثر من ذلك أيضًا؛ لأنها كما كتب جورج ريفيير عندما شاهدها «صفحة من التاريخ. ووثيقة عن الحياة الباريسية، وهي صادقة في كلّ جوانبها. وإلى حين مجيء رينوار لم يكن يخطر على بال أحد أنْ يسجِّل أحداث الحياة اليومية في لوحة كبيرة، وبهذا المقياس الواسع. وإن جرأته ستنال النجاح الذي يستحقه. ولا يسعنا إلا أنْ نلفت الانتباه من الآن إلى التأثير الذي ستتركه هذه اللوحة مستقبلاً. إنها فعلاً صورة تأريخية».

لم يُثبت رينوار أنه أحسن مصوِّر لمظاهر عصره وعاداته، وأرّق شاعر بمباهج الحياة فحسب، وإنما هو كذلك في عالم تصوير الأشخاص. حيث الابتكارات الناجحة النادرة الحدوث ـ قد سَنَّ نمطًا جديدًا للجمال الأنثوي الناضر الطلق والريّان كالفاكهة اليانعة. وكانت هذه بدعة مربكة في بداية الأمر، ولكنْ سرعان ما اكتشف الناس وبمرور الوقت أنَّ هناك فعلاً بين الناس نساءً يشبهن نساء رينوار. وكان سيزان على حق حين أعلن دون أن يداخله حسد «أن رينوار قد رسم امرأة باريس» ووقع بروست، هو الآخر تحت سحره، فكتب عن «نساء يخطرن في الشارع ويختلفن عن نساء الماضي؛ لأنهن نساء رينوار. وقد كنّا إلى وقت قريب في غفلة عن رؤية النساء الحقيقيات».

التزم رينوار، في أثناء «الفترة الفظّة» في أوائل ثمانينيات القرن التاسع عشر. الاعتماد على الخطوط في معالجته القوام البشري والتكوينات الشخوصية، واستمر في الوقت نفسه برسم المشاهد الطبيعية بالطريقة الانطباعية، وببراعة تقنية عالية وحسٍّ غنائي رقيق. وفي عام ١٨٩٠م أقام عرضًا أخيرًا في «الصالون» الرسمي وقد اكتمل أسلوبه منذ ذلك الحين نضجًا، وفي وحدة حققها عند ذاك بين رسمه الشخوص والمنظر الطبيعي، وبين الأشكال والألوان والأحجام والأضواء، وهي وحدة تجسَّدَت كلها في الشكل الأنثوي المتصف بالفخامة والعنفوان.

وحين أحسَّ رينوار بأُلفة متزايدة من وجوده في جنوب فرنسا، استقر نهائيًا في «الريفييرا» في عام ١٩٠٠م. وهذه الفترة الأخيرة من حياته تشكِّل جزءًا متصلاً من روائع أنتجها في فترة نضجه. وبما أنَّ اللون الأحمر هو شعلة الحياة، فهو يسود أعماله الفنية بعمق وثراء لا حدّ لهما، وبتنويع في التظليلات لا نهاية له (٥).

كتَبَ فنسنت فان كوخ إلى أخيه ثيو يقول: «كثيرًا جدًا ما أُفكر بفنّ رينوار وبخطوطه النقية النظيفة. هو مصوِّر دقيق للأشياء وللناس في هذا الجوّ النظيف» (٦).

المراجع

١- كولن هيز. كتاب «رينوار»، دار «هملن» للنشر، لندن، عام ١٩٨٤م. ص: ٦، ٧، ٨، ٩، ١٢.
٢- المصدر نفسه، ص: ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٣٠).
٣- جي، تي، مولر/ فرانك آلغر، كتاب «مئة عام من الرسم الحديث»، دار المأمون للترجمة والنشر. بغداد، ترجمة فخري خليل، ومراجعة جبرا إبراهيم جبرا. عام ١٩٨٨م، ص ٣٢.
٤- المصدر نفسه، ص: ٣٣، ٣٤.
٥- جان ليماري، كتاب «الانطباعية»، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، عام ١٩٨٧م، ترجمة فخري خليل ومراجعة جبرا إبراهيم جبرا، ص: ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩.
٦- كولن هيز، كتاب «رينوار» مرجع سابق، ص٢٨.

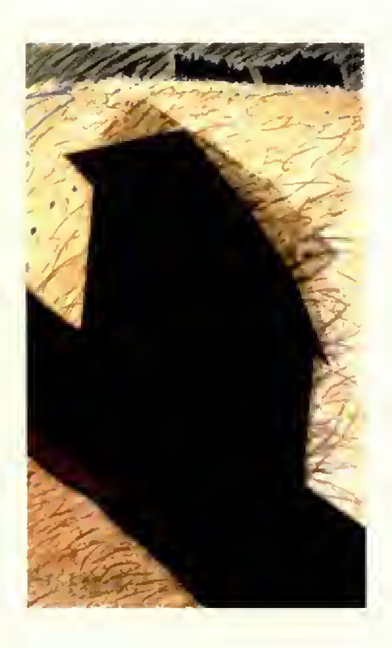




هو مفرد جمع

عزت الطيري
نجع حمادي ـ مصر

العشبُ سيّدُهُ
ووجهتهُ المياه
ويمامتان،
على طريق الريحِ
تقتفيانِ مَوْكبَهُ
وتبتكرانِ كوكبَهُ
وترتجزانِ أغنيةً
يردّدها سواه!!
هو في غمام يبتني بيتًا
يُسَيّجهُ.. بمرارِ حنظَلِهِ
ويُمعنُ.. في أساه!!
هو مُفردٌ جَمْعٌ،
تمامٌ ناقصٌ،
يمشي الهوينى
في دروب الدمعِ،
يُسرع في خطَاه!!
غرٌّ، يسيرُ بدونِهِ مَعَهُ
ويقفزُ فوق سورِ الليلِ
يطرقُ بابَ من يهوى
فيُرجعه الرتاجُ، الصَّهْدُ،
يصدمه صداه!!
فيفرُّ منه الصحوُ
يخلع ضِلَعَهُ،
متيمّما، بترابِ جَدْوَلِهِ
ويسرفُ في دماه!!
سَلِمَتْ يدا
هذا الفتى المتلافِ،
قايَضَ عمرَهُ
بورودِ خدِّ غزالةٍ،
سَلِمَتْ يداه!!



وجـــــدة

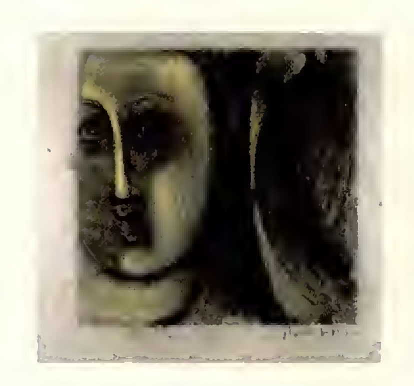
ميلود لقاح
وجدة ـ المغرب

علـى وَقْـعِ دَرْبَكَةِ «الـرايِ» أشـــعـلَنـي عـطْرُهـا
شـاردًا في سـمـاواته مـثـلَ سـرْبِ الحـمـامِ
وباغـتني قـسْطَلٌ من عـويلِ الكَمنجـاتِ
أرْغَـمني أن أشُـدَّ الرِّحـالَ وأنْ أخْـتلي
بعـصـافـيـرِ رَوحيَ أمنحُـهـا باقـةً منْ
سـلاميَ. قُلْتُ. أُحـدِّثُهـا عن جنونِ اللّيـالي
وأنْثُـرُ بعضَ الحـرائقِ ... بعضَ الكلامِ
وبعضَ اللآلي..
على وَقْعِ دَرْبَكَةِ «الرّاي» دثَّرَني وجْـهُـهَـا
كـيفَ يا أمَّ مَـرْيَمَ.. كـيف تَغـيَّرَ عـمـرُ الليـالي
وكـيفَ تغـيَّـرَ لونُ النهـارِ ولونُ الأغـاني
ولَوْني وحَالي!؟..
وكـيفَ تَسَلَّلَ جـيشُ الغـبـارِ فَـشَـرَّشَ حـوْلَ
الضُّلُوعِ وحَـوْلَ الوَتينِ وحـوْلَ الشَّـغـافِ
كطَبْعِ الدَّوالي..
علـى وقْـعِ دَرْبَكـةِ «الرّاي» مـالَ النّخـيـلُ
على الطُّرُقَـاتِ ومَـالَ القَـرَنْفُلُ.. مَـالَ اليـمَـامُ
ومـالَتْ جُـمُـوعُ صَـبَـايَا كَـمَـا الخـيْـزُرانْ.

شَـهْـقَـةُ «الزَّهْـوَانيـةِ»* الآن عندي أبْهَى
من الكونِ والكائنات.
شـهـقـةُ «الزَّهْوَانيَـةِ» الآنَ فَـاتِحَـةُ التّـيـهِ
عنْدي ومبتدأُ الأغنيات.
شـهـقَـةُ «الزَّهْوَانيَـةِ» الآن تعْـزِفُني نَغَـمًـا
شَـارِدًا ومَـواويـلَ منْ غُـصَّـةٍ وحَنينْ
تَفْـضَحُ القَلْبَ عـيناي والكَلِمـاتْ.
صـعْـبـةٌ في أوانِ الهُـيَـامِ، وفي لحظاتِ الجنونْ
لَيْسَ للقلب أن يرْتَقي غـيـرَ داليـةِ الصَّمْتِ
أوْ حَبَقِ الكَلِمَاتْ.

* وجدة: مدينة تقع شمال شرق المغرب تتفرد بطابعها الغنائي المتميّز المسمّى فنّ «الرّاي».

* الزّهوانية: مطربة جزائرية.





عادة حب النظام

فاضل إسكندر

ترجمة: مرتضى سيد عمروف

الرياض ــ السعودية

... سكنت في نيويورك عند أصدقائي، وجاء إليهم المنشق الروسي المشهور، الذي قام باحتجاجات حول مخالفة السلطات لقوانينها الذاتية عدة مرات.

سجنوه، ولكنه استمر في حماية حقوق المحبوسين في السجن أيضًا، حيث تحدث انتهاكات لحقوقهم، ولهذا السبب ضربه الحراس ووضعوه في زنزانة منفردًا عدة مرات، وأخيرًا طردوه من البلاد...

دخل الشقة ومعه كلب، وهو متوسط القامة، وفرح جدًا، وقوي، ويتكلم الإنجليزية بطلاقة.

في وقت ما عندما كان محبوسًا في إحدى محافظات روسيا تمكن من الاتصال عبر الهاتف بأصدقائه في موسكو، وقد اندهشوا من ذلك، وفكّروا أنه هرب من السجن، وأنه باتصاله يكشف مكان تواجده، ولكنه اتصل من السجن، أما كيف تمكن من ذلك فهو أمر غير مفهوم، وهذا كان في ظروف روسيا خياليًا على الإطلاق، ومن الممكن، حسب رأيي، خرج المحقق أثناء الاستجواب من مكتبه، واستفاد هو من الهاتف، لا أعرف، ولم يشرح كيف وصل إلى الهاتف، ولكنه أخبر أنه كان من الضروري معرفة الشفرة الخاصة وتزوير صوت مدير السجن، وبسببه طردوا بعض الموظفين من العمل، أما هذا الشخص فأرسلوه إلى أحد معتقلات سيبيريا ذات الظروف القاسية...

وسألته:

- لماذا معك كلب؟

- الكلب في نيويورك صديق وفي، - يقول فرحًا - قبل وقت قريب مررت بشارع ضيق، ورأيت زنجيًا يجلس على ظهر الكرسي الذي يقع أمام الحديقة، ويشرب بيرة من علبة، وأكمل شرب البيرة، ورمى علبتها على الرصيف مباشرةً مع أن سلة المهملات كانت بجانبه.

وقلت له:

- ارفع العلبة وارمها في سلة المهملات!

أما الزنجي فنظر إليّ حانقًا ولم يردّ شيئًا، كرّرت عدة مرات، ولكنه ظل ينظر إليّ حانقًا.

- يا «جيم»، خذه - صرخت ووجهت إليه الكلب، وقفز الكلب عليه، ولكنه انقلب بمهارة غير عادية، ووقع على عشب كثيف وراء الحاجز في الساحة، ويحاول الكلب ولا يعرف كيف يأخذ الزنجي. (ولم يشرح لماذا لم يقفز الكلب وراء الزنجي، وربما علّم كلبه أنه لا يمكن القفز فوق الحاجز).

في البداية ارتبك الكلب، ثم ركض أمام الحاجز، ووجد مخرجًا إلى الساحة، وجرى يهجم على الزنجي، وقبل أن يصل الكلب إليه، قعد الزنجي على ظهر الكرسي من جديد، وخرج الكلب من الساحة

وجرى حتى وصل إليه، أما الزنجي فانقلب مرة أخرى وسقط على عشب الساحة، وركض الكلب إلى المدخل من جديد، والزنجي يجلس على الكرسي، وهكذا عدة مرات.

ـ ماذا تفعل؟ ـ صاحت امرأة أمريكية كانت قريبًا، ـ إنك تأمر الكلب ليعض الزنجي، سأتصل بالشرطة!

وأشرت إلى العلبة وشرحت لها الأمر، ولكنها كانت غاضبة، وتصيح:

ـ إنها فوضى! سأتصل الآن بالشرطة!

ـ سأسأل الآن «جيم» ما رأيه في هذا.

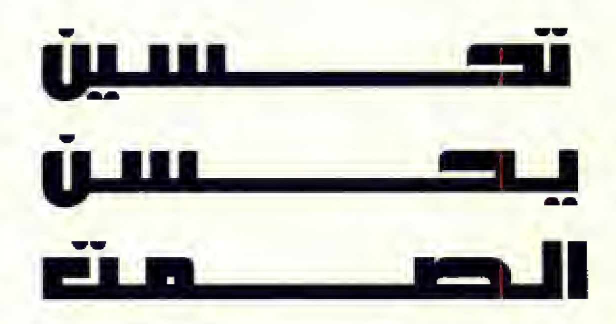
ونظرت إلى جيم، ونظر «جيم» إلى المرأة بانتباه، وخافت المرأة ومشت في طريقها. وحاول الكلب أن يهجم على الزنجي، وفي هذه المرة لم يركض الكلب في الساحة، خرج الزنجي إلى الشارع ورفع العلبة ورماها في سلة المهملات، وجلس على مسند الكرسي بحزن. وكأن الحزن في عيونه من ألف سنة.

وربطت الحبل على رقبة الكلب. ومشيت في طريقي.

وفي اليوم التالي كنت أمرّ بنفس الشارع ورأيت عدة زنوج واقفين وراء الباب الزجاجي في المقهى، والزنجي الذي أعرفه بينهم، وهو يشير إليّ ويقول شيئًا ما لأصدقائه السكرانين مثله، ولكنهم لم يجرؤوا على أن يفتحوا باب المقهى حتى مررت بجانبهم مع الكلب، ولو كنت وحدي لصارت مشاجرة دون شك. ولربما ضربني أحدهم بالسكين، ولكنهم لم يجرؤوا.

... وأخذت أفكّر... إذا كان حب النظام عادة لدى الإنسان، فإنه سيجد ما يشغله في أي مكان من العالم، أليس المعتقل في سيبيريا هو الذي علّمه أن يأخذ كلبًا يرافقه؟!..





تحسين يحسن الصمت

حسب الله يحيى

بغداد ـ العراق

لم يفكر أحد بسؤاله عن مهنته وأناقته، وأسلوب حياته.. لكن كل من عرفه، تعلق به، وصار وجهًا مألوفًا بين الناس.

كان نظيفًا، يعتني بمظهره، يحلق لحيته كل صباح.. يتناول فطوره على مهل وينصرف إلى عمله اليومي.. ليعود إلى بيته في الظهيرة.. يغتسل وينام ثم يتجه إلى المذياع طوال المساء وجزءًا من الليل حتى يأخذه النوم العميق. كانت هذه حياته التقليدية التي لم يكشف سرها أحد.. ذلك أنها لم تكن حياة قائمة على أسرار أصلاً.

وتعرّف العاملون في السوق الشعبي عليه، على أنه تحسين مؤجر صحيفة «عالم الرياضة» التي تصدر صباح كل يوم.

كانت مهمة عمله تقتضي ما يأتي:

شراء جريدة «عالم الرياضة» من مكتبة «الطالب» الكائنة في الشارع العام وبعد أن يتأمل عنوانها بعض الوقت، ويعرف كم صورة يحتوي العدد.. يتوجه بعدئذ إلى السوق، ويقدم العدد أولاً إلى بائع الأقمشة، فهو أول من يفتح أبواب دكان الركن.. الذي لا يلجأ إليه الزبائن قبل العاشرة صباحًا، ثم يتوجه بعدئذ إلى دكان الصائغ الذي يفتح باب دكانه في العاشرة، ولا يقصده أحد قبل منتصف النهار.. ويأتي بعد ذلك بائع المواد الكهربائية، ثم بائع الزجاجيات.. وكلاهما قليل الزبائن، وقد لا يقصد أحدهما زبون طوال النهار.

تحسين يتمكن بصبره ومتابعته وحرصه وابتسامته وصمته على ضمان أربعة من زبائنه، قبل أن تبدأ الحركة والنشاط والزحمة وضجة الباعة في السوق. كان الواحد منهم يقرأ كل سطر وكل حرف.. حتى الإعلانات.. كانت هي صفة القارئ الأول، الذي لا يجد ما يشغل به نفسه سوى جريدته الأثيرة التي يحملها إليه تحسين بشكل منتظم.. وبينما كان القارئ الثاني يتوقف عند عدد من التقارير الرياضية؛ كان القارئ الثالث لا يعنيه من الجريدة سوى صورها.. ولم تكن تلك الصور تخرج عن مألوف صور كل يوم والمتعلقة باللاعبين وأحيانًا باللاعبات.. ويتميز القارئ الرابع بالبحث عن إعلانات لا يعرف أحد شيئًا عن أمرها.. إلى أن باح ذات يوم لجاره.. لا يوجد هناك إعلان عن أحد يريد تأسيس أو تجديد أو إصلاح التيار الكهربائي في بيته أو مكتبه.. وكأن الجميع وجدوا في الأسلاك الأزلية.. أو أنهم لا يستخدمون الكهرباء أصلاً، وإنما يعتمدون الشموع للإضاءة!

تحسين.. تعلم جيدًا كم من الوقت تستغرقه كل قراءة.. لذلك كان يجيء لأخذ الجريدة من قارئها الأول في الوقت المحدد، لينقلها إلى القراء الآخرين تباعًا.. وفق وقت وجدول محدودين وحسابات دقيقة.

وفي أوقات الفراغ بين قراءة وأخرى.. كان مكان تحسين في المقهى معلومًا، يعرفه صاحب المقهى، كما يعرفه الزبائن.. فيحترمون المكان وصاحبه.. ويكرمون صمته وتأمله وابتسامته بقدح من الشاي أو الحامض حسب طلبه..

ولم يكن تحسين لا مباليًا أو منتفعًا من هذا الكرم الذي يقابل به، بل كان يعدّه دينًا في عنقه، لا يرضى إلا

الإيفاء به.. وكان هذا أحد أسباب احترامه ومحبته.. وإن مازجه الصمت مقابل حديث طويل قد يبدأ به أحد زبائن المقهى.. إلا أن مثل هذا الزبون لا يكرر الجلوس إليه ثانية.. ذلك أنه يتبين بالتجربة أن رفيق جلسته عازف عن الكلام إلا فيما ندر.

لم يكن تحسين معتدًا بنفسه، ولم يلزم أحدًا بقراءة جريدته، لكن البعض من أصحاب المحلات كانوا يطلبون قراءة الجريدة عند الضجر وغياب الزبائن.. وكان تحسين يعدّ هذه القراءات ربحًا مضافًا.. إلا أنه كان يرفض أن يؤجر جريدته لثلاثة وضعهم في القائمة السوداء: من كان يلوث الجريدة أو يدعكها، ومن يعطيه أجرًا بطريقة غير محترمة.. وإذلاله مثل متسول، ومن يطالعها سريعًا ويرمي بها دون أن يعلم أين وضعها ويسهو عنها وعنه.

من هنا وضع تحسين طقسًا خاصًا بعمله.. احترم بموجبه نفسه والتزامه، مثلما احترم فيه كل من كان يتعامل معهم.. حتى أصبحوا جزءًا من طقسه اليومي، مثلما أصبح هو كذلك ملمحًا أساسيًا من حياتهم اليومية التي يتفاءلون بها، وكأن الرزق الحلال كان مرهونًا بافتتاح وجه تحسين كل صباح.

ولم يسأل أحد.. إن كان تحسين يقرأ جريدته أو يعرف ما ورد فيها من أخبار رياضية، حتى صاحب مكتبة «الطالب» لم يفكر بتوجيه مثل هذا السؤال إليه.. ذلك أن تحسين كان يقتني منه الجريدة صباحًا، ثم يبيعها له بنصف الثمن الذي اشتراه. دام هذا الاتفاق غير المعلن بين تحسين وصاحب المكتبة من جهة، وتحسين وزبائنه من جهة أخرى.. زمنًا لم يحسب حساباته أي من الأطراف.. لكنه تحول مع مرور الوقت إلى تقليد يحترمه الجميع، ويسعد به الكل.

لكن تحسين غاب عن عمله ذات صباح، وافتقده صاحب مكتبة «الطالب» مثلما سأل عنه: البزاز والصائغ والكهربائي والزجاجي، وصاحب المقهى. وافتقد السوق الشعبي وجود تحسين وهو يحمل جريدة «عالم الرياضة» متنقلاً من دكان إلى آخر وهو بكامل هندامه وابتسامته وصمته الغريب الذي تعامل الجميع معه باحترام ومودة.

وعلل البعض سبب هذا الغياب بمرض مفاجئ ألم بتحسين.. فقد قال الصائغ: إنه كانت تنتابه نوبة سعال حاد، وقال البزاز إن وجهه كان شاحبًا، وأشار الزجاجي إلى أن تحسين كان يمشي ببطء، وكأنه يشكو من ألم في قدمه.

أما صاحب المقهى فقد أكد للجميع أن تحسين كان مرتاحًا على غير عادته، حتى إنه قد أطلق بضع كلمات، وإن ابتسامته اتسعت وتحولت إلى ضحكة.. وظلت الأسئلة حائرة على الوجوه.. واتسعت وأخذت مداها من الحيرة عندما تكرر غياب تحسين في الأيام التالية.. حتى أحس بعض من زبائنه، أن الرزق ثقيل ولا يعلن عن مفاتيحه إلاّ بعسر.. ويعزى السبب إلى فقدان البشارة التي كان يفتحها وجود تحسين كل صباح.

من هنا راحت الأسئلة، تضيف أسئلة جديدة، وتبحث عن كائن أحس الكل أن غيابه قد ترك أثرًا في السوق.. وأن هذا الأثر بات واضحًا ودالاً على عسر..بينما كان وجود تحسين يحمل اليسر.

و.. جاء النبأ قاسيًا، مرًا وحزينًا، انقبضت له النفوس، وتألمت له القلوب.. كان الخبر الذي لم تنقله جريدة «عالم الرياضة» ولا سواها من الصحف التي لم يعرفها أحد لا قبل تحسين ولا بعده.. مفاده، أن تحسين قد دهمته سيارة مسرعة وقد ذكر السائق في إفادته أنه قد استخدم المنبه مرارًا، واعتقد أن ضحيته سيبتعد عن الشارع.. وأنه لم يكن بمقدوره السيطرة على السيارة.. وأنه عندما تم فحص الضحية وجدوها تفتقد السمع!.

فوجئ الجميع بالنبأ.. فقد كان تحسين يتعامل معهم ويخاطبهم كما لو كان سويًا يسمع كل شيء.. وتبينوا في تلك اللحظة أن تحسين كان دائم النظر إلى شفاههم.. ومن خلالها كان يفهم ويجيب ويحيا بينهم بألفة وإصغاء مكتوم ولهفة إلى حديث لا يسمعه وليس بوسعه الحديث عنه إلا في القليل النادر.

الجرجار.. ليس زيا نوبيا

لقد سعدت بالاطلاع على الاستطلاع الذي أعدّه الأستاذ حسين حسن حسين عن متحف النوبة في أسوان الذي نشر في العدد (٣٢٩)، ثم زادت سعادتي بتعقيب الأستاذ عبدالرحمن عوض في العدد (٣٣١)، ومصدر سعادتي أن تهتم المجلة بإلقاء الضوء على حضارة كان لها ولا يزال وجودها القوي في التراث الإنساني.

وموضوع تعقيبي عن الزي النسائي المسمى الجرجار، إذ أبدأ بالإشارة إلى أن ظهور المجتمعات العشائرية وابتداع الدولة أديا إلى وضع القوانين لحماية حق الإنسان في الحياة، وفي ظل صراع الإنسان لتطويع قوى الطبيعة لمصلحته برزت المكتشفات التاريخية مثل ترويض النار وامتهان الزراعة وتأليف الحيوان...إلخ، وتلونت حياة الإنسان بالعادات والتقاليد والمعتقدات المكتسبة التي أخذت تتمايز باختلاف البيئات وتباينات المناخ، والمتأمل لمكونات الزي وأشكاله في أي بقعة في هذا العالم العريض، يجدها متوائمة مع بيئاتها، ومتأثرة بعوامل البرودة والحرارة ، والجزع والأمن، والقيم المبنية على (عادات وتقاليد ومعتقدات) والحالة الاقتصادية للشعوب.

الأزياء السودانية الحالية تشكلت من كم تراكمي من الثقافات التي وضعت بصماتها في أشكالها وألوانها، وليس دقيقاً وصف الجلباب وغطاء الرأس (العمامة) بأنه زي سوداني أصيل. فالجلباب زي نجده في أنحاء كثيرة من العالم، كما نجد أغطية الرأس بأشكال وألوان كثيرة، فيصعب التفريق بين العمامة السودانية والعمامة التي يستعملها أهل أفغانستان، أو التفريق بين الجلباب السوداني والسعودي والتونسي أو الجزائري.

ويصف بعضنا (الجرجار) بأنه زي نوبي. وهذا يجافي الحقيقة، إذ إن (الجرجار) زي عربي أصيل حتى الآن في الريف السعودي وبوادي الشام وريف مصر . وقد انتشر في أقصى شمال السودان (منطقة وادي حلفا والنوبة المصرية تحديداً)، ويرجِّح الباحثون أنه زي عربي أخذ مساحة من الانتشار في هذه المنطقة بعد ظهور مملكة الكنز الإسلامية بنواحي أسوان وعاصمتها (المحدثة)، وقد ازدهرت الطرق الصوفية بمنطقة حلفا وشمالها، وساعدت بدورها على انتشار الجرجار كضرب من الحجاب الإسلامي.

إنّ واقع الحال يسند زعمنا بأن الزي النوبي القديم لم يكن يختلف كثيراً عن الزي الفرعوني المعروف، وذلك لتشابه المناخ والثقافة والبيئة، وهذا ينسحب على أزياء سكان العمق الإفريقي بجهاتها الشرقية والغربية والجنوبية، فالمدقق يلحظ مدى التشابه إلى حد التطابق بين أزياء النوبيين وأزياء سكان موريتانيا في الشمال الإفريقي وعند دول القرن الإفريقي (الصومال- إريتريا- إثيوبيا)، وعند سكان أواسط السودان حيث سادت الممالك النوبية المسيحية. ولمّا كان (الجرجار) بأنواعه يتكون من ثلاث قطع أو أكثر ويتميز باللون الأسود الكالح، فإن أهم أسباب انقراضه في المنطقة النوبية، أنه لم يكن يتناسب مع الأجواء الحارة التي تتسم بها، إضافة إلى أنه لم يكن يتناسب مع المرأة النوبية الكادحة في حقول الزراعة التي توازي مساهمتها في صنع الحياة دور الرجل إن لم تتجاوزه. نقول بهذا، مع علمنا أن تاريخ



الأزياء في السودان عريق ومتشابك إلى حد التعقيد، وينهض في مجمله ملوناً بشكيمة الثقافات الإفريقية والمؤثرات الخارجية وكل ما أفرزتها تلك التلاقحات الإثنية والثقافية والتاريخية، غير أن دافعنا إلى ذكر ما سبق هو تقصّي الدقة في التعبير عن أجناس التراث السوداني وعدم الخلط بين ما هو مكتسب وما هو أصيل، وخلاصة ما يمكن قوله حول (الجرجار) أنه موضة أخذت مساحة من الانتشار في مرحلة تاريخية معينة، ثم انقرضت لعوامل مرتبطة بالبيئة والعادات والتقاليد. فالزي الإسلامي أخذ مساحة من الانتشار في مراحل تاريخية، مثل قيام دولة المهدية، ومملكة الفونج الإسلامية، وسلطة الإنقاذ الحالية، نقول بهذا: إن للبيئة القول الفصل في استمرارية الموضة كقيمة ثقافية قصيرة المدى، وإن ارتبطت بالمعتقدات، وهي قيم ثقافية طويلة المدى.

لا أفهم المغزى التاريخي أو الدلالة التي يرمي إليها النوبيون وهم يضعون في صالات المعارض التراثية نماذج من السواقي والمشلعيب وأبراش الخوص وسعف النخل..إلخ. فإذا صحّ حدسي، ووضعت بعض التسويغات لوجود نماذج من الكتابة النوبية أو كتب تتناول التاريخ النوبي، أو شيء من المعثورات التي تؤكد سبق النوبيين فيها، فإن أي تسويغات أخرى تصبح قاصرة في الدفاع عن سواق وأبراش ومراكب لا تمثل أي سبق نوبي لتجعلها مسوّغات للعرض بتلك الصورة المتكررة، كما يقفز إلى ذهني خواء الفكرة التي تجعل النوبيين يعتقدون أن الجرجار هو زيّهم التاريخي الوحيد، (على الرغم من انقراضه)، دون توخي الدقة في دراسة الأزياء الحالية التي تتطابق مع أزيائهم عبر آلاف السنين.

نقطة أخرى يدور حولها جدل كبير، وهي أن بعضهم يحلو له ربط آلة الطنبور بالحضارة النوبية، وهذا رأي أحترمه ولا أؤيده على الإطلاق، ذلك لأن آلة الطنبور من (الآلات الوترية) التي تعدّ من أحدث عائلات الآلات الموسيقية بعد الطبول وآلات النفخ..إلخ، وقد أكدت هذه الآلة وجوداً عند كثير من الأمم بمسميات مختلفة، فهناك القيثارة الإغريقية التي يرجح أن تكون المرجعية لمسمّى (كيسر) عند النوبيين، يقول الباحث المصري فتحي الصنفاوي أنها ترجع إلى (الكنارة المصرية) بينما ترجّح الباحثة العراقية حُسن قاسم أنها مأخوذة من الكنارة العراقية نسبة إلى الملك البابلي (كناروم).

أما عن تاريخ الآلة في السودان، فقد يكلفنا تمحّيص كيفية انتشارها ومصدرها الكثير، وهنا يمكن إدراك مدى خطورة عدم تدوين تاريخنا الثقافي، وهرولة مؤرخينا إلى تسجيل سير الحكام وحياتهم . ويبقى أن نؤكد أن آلة الطنبور آلة بسيطة التكوين ويمكن توارد الخاطرة في صنعها في أكثر من مكان. ومن المهم البحث عن الآلية التي نشرت هذه الآلة في كل أنحاء السودان، وفي دول الجوار المتاخمة، علّنا نصل إلى معادلات غائبة تحت غبار الصراع الثقافي السياسي الذي أفرز هذا الواقع الذي نعيشه.

مكي علي إدريس
باحث نوبي
الرياض . السعودية



الترجمة والتواصل: إشكالية الاصطلاح ودور المترجم

محمد حيان الحافظ
الرياض ـ السعودية



الترجمة والتواصل
محمد الديداوي
الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي

تقوم الترجمة في جوهرها على ركنين أساسيين هما الفهم في اللغة المترجم منها، والإفهام في اللغة المترجم إليها. ويجب أن يكون النص المترجم مستقل الذات، وأن يكون في مقدور المترجم أن يجيب عن الأسئلة الآتية: ماذا قيل في اللغة المترجم منها ؟ وكيف يقال في اللغة المترجم إليها ؟. لذا، يفترض فيه أن يلم بالمعنى إلمامًا كاملاً، وربما يكون ذلك بوسائل خارجة عن النص، وأن يحسن السبك والحبك في النص الذي يخرج به إلى القارئ، وإلا بطلت الترجمة، وانتفى القصد منها. ومسألة التواصل مسألة شخصية واجتماعية وحضارية وإنسانية، وبما أنها كذلك تتخذ من الزمان بعداً لها تتحقق من خلاله، ويتخذ الزمان فيها صورة تاريخية لهذا التحقق، فالمترجم قارئ لمس في نفسه القدرة على نقل ما تواصل معه إلى الآخرين، بلغة أخرى، لكن تواصل المترجم مع ما قرأه، يفترض تقدير تواصل شعبه أو أمته مع ما تواصل معه، لكي يحفزه على ترجمته لهم، فمن دون ذلك، يكون عملاً لا جدوى منه.

والكتاب - كما يشير المؤلف في عنوان فرعي - هو دراسات تحليلية عملية لإشكالية الإصلاح، ودور المترجم، وهو يرى أن دراسات الترجمة قطعت في العصر الحاضر أشواطًا مرموقة منذ السبعينيات لتحدد معالمها، وإبراز مشكلاتها ورسم قواعدها، وتفهم عملياتها، فشكلت بذلك هيكل ما يسمى بعلم الترجمة، الذي يعدّ من العلوم غير الدقيقة، وقد خطت تلك الدراسات خطوات عملاقة، لكنها بقدر ما هي تتقدم تعود إلى الوراء؛ لأن الأسئلة الأزلية ما زالت مطروحة. إلى أي حد تكون للمترجم حرية التصرف؟ وما معايير النوعية؟ وكيف يمكن الحكم على الترجمة والمراجعة؟، علما أن الحدود قد تلاشت وأصبح الاستهداف والغرض هما المعيارين الرئيسين للأمانة في الترجمة، والخيانة إنما هي خيانة الهدف، وإن كان هذا لا ينطبق على جميع الحالات .

التنازع بين المعنى والمبنى

وقسم المؤلف كتابه ثلاثة أقسام رئيسة هي مقومات الترجمة، ومعاييرها، وتطبيقاتها.

وحدّد المؤلف الغرض من هذا البحث الذي هو دراسة لمكونات الترجمة في منظومة الأمم المتحدة، بعيداً عن التنظير المجرد غير العملي، وتبيان أهمية المصطلح الذي يعدّ بحق عصب النص. واستخلاص النوع المثالي من الترجمة. كما أنه يرمي إلى تشريح عملية المراجعة، لأنها أداة لا غنى عنها لضبط النوعية .

فلا يجوز النقل في منظومة الأمم المتحدة، أبداً؛ ذلك أن الوثائق تكون إما ذات طابع حساس بسبب ما قد يترتب عليها من عواقب سياسية أو دبلوماسية أو قانونية، وإما أنها تستخدم كأساس للمناقشات العلمية والمتخصصة في اللغات الست الرسمية. وفي الغالب الأعم، تكون اللغة المترجم منها هي الإنجليزية، وتستند اللغات الأخرى إليها متطابقة معها وفيما بينها؛ ذلك أن من المفروض أن يكون البلاغ واحداً في اللغات المترجم إليها لكي تكون أرضية النقاش واحدة بين مستعملي تلك اللغات، وتكون التوصيات والنتائج التي يخلصون إليها، ويتفقون عليها موحدة .

إن الترجمة في الأمم المتحدة تبليغية بطابعها؛ لأن المضمون هو الأهم، وما اللغة سوى وعاء يحتويه ويغلفه.

دراسات الترجمة قطعت في العصر الحاضر أشواطًا بعيدة منذ السبعينيات لتحدد معالمها، وإبراز مشكلاتها ورسم قواعدها، وتفهم عملياتها، فشكلت بذلك هيكل ما يسمى بعلم الترجمة

وهي على عكس الترجمة الأدبية التي تكمن فيها جمالية النص بالدرجة الأولى في ما تثيره من صور وتشابيه، وما تمتع به المترجم له أو المنقول له من تراكيب وتعابير وألفاظ. وإن الترجمة في المنظومة تتجاذبها الحرفية والتصرف؛ لأن المترجم كثيراً ما يضيق به الوقت، فلا يراجع النص الذي أنتجه مراجعة ترتفع به إلى درجات الأصالة العليا .

والترجمة إذن هي تبليغ المعنى استناداً إلى نص أصلي يكون محوره المعنى، ويحافظ المترجم على عناصره، ويكيفه مع مقتضيات اللغة المترجم إليها .

إلا أن المترجم يتنازعه المعنى والمبنى. فحينما يسعى إلى مضاهاة النص الأصلي في خصائصه الأسلوبية، يكون عرضة للتضحية بكثير من المعنى، وغالبًا ما يكون في الالتصاق الشديد الحرفي بالمحتوى ضياع كبير للسمة الأسلوبية .

وقد جرى التمييز بين الترجمة الدلالية، التي تركز في المحتوى الدلالي للنص، والترجمة التبليغية، التي تتركز في مدى تبليغ الفحوى، وفهم المترجم لهم وتجاوبهم .

ولوصول المترجم إلى غايته، يحلل المعلومات اللغوية والخارجة عن اللغة، على أساس أن عملية الترجمة تماثل عملية التكلم، والغرض منها في المقام الأول هو تبليغ المقصود.

أنواع النصوص

وللنصوص أنواع؛ وذلك تبعًا لوظائف اللغة. وإذا كانت وظائف اللغة تتنقل بين التعبيرية، مثل الآداب والبيانات، والإخبارية، مثل الصحافة، والندائية، مثل الإشهار والدعاية، فإن أنواع النصوص متعددة، منها: نوع تفسيري يمكن أن يكون وصفيًا، أو سرديًا، أو جدليًا، أو أمريًا. إلا أن نيرا . . حدد للغة الوظائف الآتية: التعبيرية، والإخبارية، والانفعالية. والمؤلف يميل أكثر إلى الوظائف التي حددها ديوجراند: لأن المعايير التي تتحكم في النص تكون: الشكل، الأسلوب، الموضوع، الجوانب السائدة، المتخاطبون، الخطة أو الهدف، المقام، الإخبار الذي يفيد المتخاطبين، العرف الذي يقنن



المترجم يتنازعه المعنى والمبنى

ويحدد المتخاطبين، وسيلة العرض .

والنص بوصفه بنية معقدة ومتعددة الأبعاد، فلا بد أن يكون ممتزجًا، ويجمع بين شتى الخواص، لذا فإن التقسيم الذي اقترحه ديوجراند أقرب إلى الواقع: لأن اللغة وهي تتجسد في الواقع الملموس لا يمكن أن تحصر في فئات متحجرة ومحددة المعالم .

وقد أفرد المؤلف للجملة قسمًا خاصًا في الفصل الأول من كتابه، وتوقف عند أنواع الجملة حسب مركباتها ومحاورها، هي:

- الجملة البسيطة: مكونة من مركب إسنادي واحد، ويؤدي فكرة مستقلة .
- الجملة المميزة: مكونة من مركب إسنادي واحد، وما يتعلق بعنصريه، ويكون الامتداد والتطويل متعلقين بالفعل.


الترجمة الأدبية تكمن فيها جمالية النص بالدرجة الأولى

- الجملة المزدوجة أو المتعددة: تتكون من مركبين إسناديين أو أكثر، كل مركب مستقل بنفسه .
- الجملة المركبة: تتكون من مركبين إسناديين رئيسين، أحدهما مرتبط بالآخر ومتوقف عليه: الأول هو محور الفكرة الرئيسة، أما الثاني فغير مكتمل إلا بالأول، وغير مستقل عنه
- الجملة المتداخلة: مكونة من مركبين إسناديين، بينهما تداخل تركيبي .
- الجملة المتشابكة: تتكون من مركبات إسنادية أو مركبات مشتملة على إسناد، وقد تجتمع فيها خصائص الجمل المذكورة سابقًا، وتتشابك فيما بينها، ونسميها الجملة الكبرى .

وقد ذكر المؤلف في حديثه عن الأسلوب ما لخصه ديوجراند، فيما يتعلق بالاتجاهات التقليدية في تحديد الأسلوب وذلك كما يأتي :

- لكل كاتب أو متكلم أسلوبه المميز .

- كل لغة لها في مجموعها أسلوب يميزها.
- الأسلوب تزيين أو تجويد للبلاغ أو المحتوى. أما المشكلة المطروحة في الترجمة فهي مدى جودة استعمال القوالب، وتعليقها بعضها ببعض، كما يقول الجرجاني، وليس الأسلوب أي الطريقة لرص القوالب وتصفيفها في النص المترجم عنه، وتبعًا لصعوبة الترجمة، فعلى المترجم أن يتصرف ويجيد تركيب القوالب، تحكمه في ذلك حدود لا يتعداها في الانحراف عن القواعد والأصول في الإبداع

وأما المصطلح ودوره في الترجمة، فقد ذكر المؤلف أن المصطلح بمعناه العام يشمل الألفاظ التقنية والعلمية، وأصبح اليوم أساس كل تكوين، إذ لا تخصص في العلوم والتقنيات من دون مصطلحات مضبوطة ثابتة. ويهدف المصطلح إلى ما يأتي:

- تنظيم المعرفة في شكل تصنيف المفاهيم.
- نقل المعارف والمهارات والتقنيات.
- صياغة المعلومات العلمية والتقنية وإشاعتها.
- تناقل اللغات للمعلومات العلمية والتقنية.
- تخزين المعلومات العلمية والتقنية واستخراجها.

أما بالنسبة إلى مهام المترجم في الأمم المتحدة فتنحصر في:

- الاهتداء إلى المصطلحات وتوحيدها وتدوينها ونشرها.
- إسداء المشورة المصطلحة لموظفي الأمم المتحدة الذين يحررون الوثائق.
- الرد على الأجوبة والتحريات المصطلحة، الواردة من داخل المنظمة.
- إرشاد المترجمين والمتخصصين في مجال استعمال المصطلحات وبحوثها، وعلى المترجم أن يهتدي دومًا إلى المصطلح وأن يتصيده، وأن يقيده فيستبين مفهومه في اللغة المترجم منها، ويجد له مقابلاً.

ويرى المؤلف أن القدماء صادفوا دومًا مشكلة تتعلق باستحداث المصطلحات وتوحيدها سواء عند نقل المعارف إلى العربية أو بعد أن تراكمت المعرفة وتشتت مصطلحاتها بين طيات المؤلفات.

نظرية الجاحظ

وفي الفصل الثاني، وحول معايير الترجمة، تحدث المؤلف عن الآراء التي تضاربت حول الترجمة منذ قديم الزمن، وبذلت المحاولات لتقنينها، ورسم حدودها.

ويعود عهد الترجمة عند الغرب إلى أيام الإمبراطورية الرومانية الإغريقية، حين اهتم المترجمون، بنقل التوراة والإنجيل، ثم تتابعت المدارس عبر العصور، وقامت الترجمات الأولى إلى اللغة العربية على أكتاف المترجمين السريان، أما الجاحظ فهو أول من وضع النظريات العربية في تعلم الترجمة من خلال نقاط منها:

- يجب أن يكون للمترجم بيانه، أي الاهتمام بالموضوع.
- يجب أن يكون المترجم أعلم الناس باللغة المنقولة، والمنقول إليها، حتى يكون فيها سواء وغاية.
- على المترجم أن يعرف أبنية الكلام وعادات القوم وأساليب تفاهمهم.. يجب أن يحس المترجم النص.
- التنبيه على أخطاء الترجمة، خاصوصًا ما يتعلق منها بالعقائد.
- أهمية المراجعة والتدقيق في النسخ.

الترجمة الآلية الصرف، هي ترجمة من لغة طبيعية إلى لغة طبيعية أخرى، يقوم بها الحاسب الآلي آليًا، أي: دون تدخل الإنسان، بعد تغذيته بالمعجمات والبرامج التي تضم قواعد تحلل النص الأصلي في اللغة المصدر

وقد تجسدت نظريات الجاحظ في طريقة ابن إسحاق الذي توافرت له الدراية العلمية والمهارات اللغوية، فاتبع أعسر طريقة؛ إذ استطاع أن يوفق بين دقة الحرفية، وروعة التعبير. وسلك في ترجمته اتجاهين في منتهى الإنصاف، فأعطى للمؤلف حقه، وأعطى للقارئ حقه، فهذه هي الترجمة المثلى وإليها يجب السعي، وإنها الترجمة البيانية .

ولا شك أن هذه العملية تستدعي كثيرًا من التركيز والانتباه للغوص في المعنى وكثيراً من المهارة لتأديته في قالب لغوي ملائم للغة المترجم إليها، مع تتبع النص الأصلي بجمله وفقراته وتقسيماته .

وفيما يخص الترجمة المؤسساتية، أي في منظمات الأمم المتحدة التي تستعين بجماعة من المترجمين كموظفين، فإن الوسائل التي تساعد على ضمان النوعية هي:

- التشديد في تعيين المترجمين بفرض أعلى مستويات الصرامة في نوعية المواد المقدمة للترجمة، خصوصاً من حيث الوضوح .
- حسن التخطيط والتوزيع، وذلك بإسناد العمل إلى المترجمين حسب تخصصاتهم وميولهم، وهذا من أهم الوسائل الوقائية .
- إعادة قراءة النص المترجم وموازنته بالنص الأصلي لتحري مدى الدقة والأمانة .
- تهيئة أسباب الراحة في العمل، بتخفيف الضغط قدر الإمكان عن المترجم، لتفادي إرهاق المترجمين .
- يجري التقويم لرؤساء أقسام دوائر الترجمة، داخليًا في الغالب، وليس على أساس ردود الفعل الخارجية .
- تعطى الأولوية في المراقبة الوقائية للوثائق ذات الأهمية المرجعية، مثل القرارات والتقارير الرئيسة والصكوك الدولية
- يعتمد أيضًا على آراء المراجعين لتقويم عمل المترجمين .

وبصفة عامة، فإن ضبط النوعية في الأمم المتحدة يجب أن يعدّ مهمة جماعية، لكل مترجم أو مراجع .

الترجمة الآلية

وفي الفصل الثاني أيضًا تحدث المؤلف عن الأنواع الجديدة من الترجمة، فظهرت الترجمة عن بعد، والترجمة المنزلية، والترجمة التعاقدية، وأيضا الترجمة على أجهزة الحاسبات الآلية، فعندما يستعين المترجم الإنسان بالآلة لتسهيل عمله أو تسريعه تحصل لدينا الترجمة البشرية بمساعدة الآلة، وعندما يقوم المترجم الإنسان بمراجعة النص الذي تترجمه الآلة وتصحيحه، تحصل لدينا الترجمة الآلية بمساعدة البشر .

إن الترجمة الآلية الصرف، هي ترجمة من لغة طبيعية إلى لغة طبيعية أخرى، يقوم بها الحاسب الآلي آليًا، أي: دون تدخل الإنسان، بعد تغذيته بالمعجمات والبرامج التي تضم قواعد تحلل النص الأصلي في اللغة المصدر صرفيًا ونحويًا ودلاليًا، وتضم قواعد أخرى تعيد تركيبه نصًا جديداً في اللغة الهدف .

ويبدو أن المعجمات الإلكترونية، ثنائية اللغة، هي التي أوحت بالترجمة الآلية بحسب طريقة يوحنا بن البطريق الحرفية، أي ترجمة مفردة دون اهتمام بالتراكيب النحوية والنسب الإسنادية. ثم توسعت هذه المعجمات لتضم فضلاً عن المفردات، تعابير اصطلاحية عامة أو جملاً كاملة، أو ضاقت لتتخصص بمصطلحات حقل أو مجال أو فرع من فروع المعرفة والأنشطة الإنسانية في العلوم والتقنية ومجالات الحياة كافة .

القدماء صادفوا دومًا مشكلة تتعلق باستحداث المصطلحات وتوحيدها سواء عند نقل المعارف الى العربية أو بعد أن تراكمت المعرفة وتشتت مصطلحاتها بين طيات المؤلفات

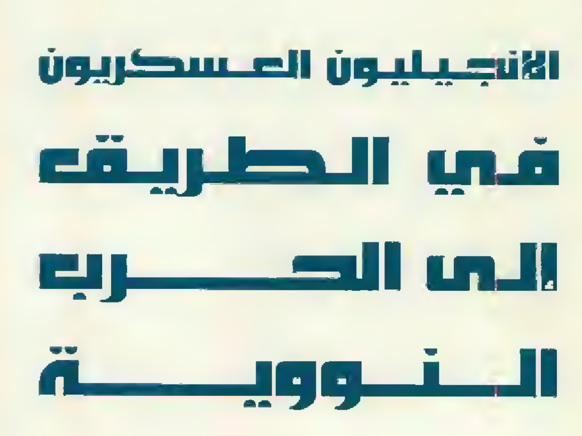


الترجمة في الأمم المتحدة تلبفية

وهكذا تم خلال الستينيات من القرن العشرين وما تلاها من سنين، حتى الآن، إنتاج برامج وأنظمة للترجمة الآلية، كان بعضها تجاريًا بحتًا تغذى به حواسيب الجيب الصغيرة لتترجم، كتابيًا وحتى صوتيًا، جملاً ومصطلحات كاملة في مجالات محددة أهمها ما يخدم الناس في مختلف اتجاهاتهم وتخصصاتهم .

وفي الفصل الأخير توقف المؤلف عند التطبيقات الخاصة بترجمة وثائق الأمم المتحدة، وعند المصطلحات المتخصصة المستجدة في هذا المضمار: لأن الاصطلاح هو عماد النص، فذكر عدداً من المصطلحات الحديثة، وقام بترجمة كثير من الوثائق المهمة .

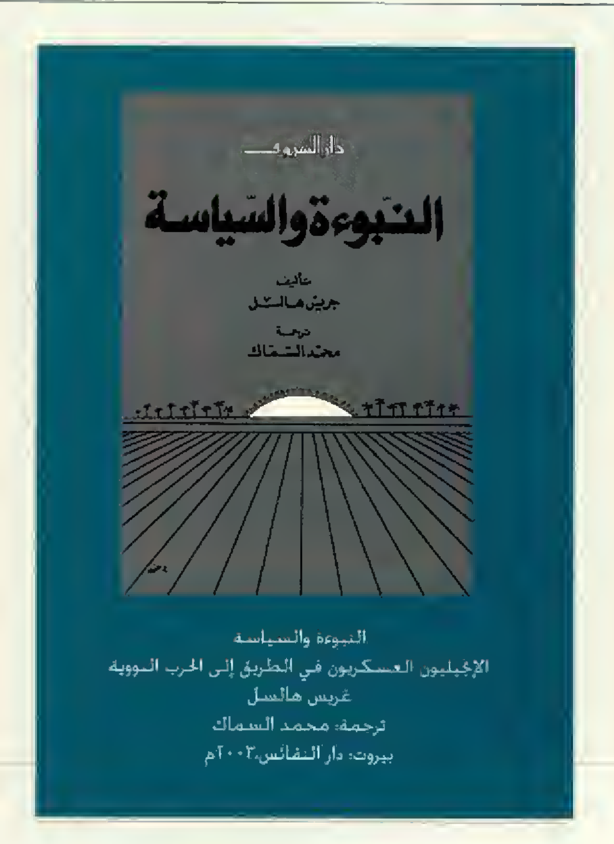
إن الاطلاع على المعارف يكون عن طريق الرجوع إلى اللغة أو اللغات الأصلية أو بواسطة النقل والترجمة، ولربما بالنقل أكثر، وفي هذه الحالة تكون اللغة المترجم إليها أو المنقول إليها مصبًا للعلوم والمعلومات. وهنا يأتي دور المترجم، إذ يجب أن يكون معاصرًا لعصره ثقافيًا وسياسيًا وإنسانيًا، فمن دون ذلك، لا يكون في الموقع الذي يمكنه من أن يقنع إقناعًا واعيًا بما يصلح للترجمة وما لا يصلح. وهنا لا بد للهوى والنظرة الجزئية من أن يتلاشيا، وتتلاشى بتلاشيهما أسباب الفرقة والتعصب، وتحل محلها أسباب المحبة والتسامح، وتلكم هي الغاية المنشودة من الترجمة والتواصل .



الإنجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية

نايف الضيط

الرياض ـ السعودية



النبوءة والسياسة
الإنجيليون العسكريون في الطريق إلى الحرب النووية
غريس هالسل
ترجمة: محمد السماك
بيروت: دار النفائس، ٢٠٠٢م

ترجم هذا الكتاب المفكر اللبناني محمد السماك، وقد ترجم من قبل للمؤلفة غريس هالسل كتاب «يد الله»، وقد صدر هذا الكتاب في أواخر الثمانينيات، وأثار ضجة عند صدوره في الولايات المتحدة، إذ تعرضت المؤلفة لضغوط صهيونية على أثر تأليفها هذا الكتاب.

وغريس هالسل صحفية وكاتبة أمريكية، تنتمي إلى إحدى عائلات تكساس العريقة، غطت حرب فيتنام، وعاشت سنوات في أوربا، وكوريا، واليابان، وأمريكا الجنوبية، وفي أعقاب تغطيتها الصحفية المميزة للحملة الانتخابية للرئيس الأمريكي «جونسون»، اختارها كاتبة لخطاباته.

النظرة المسيحية اللاهوتية

وتأتي أهمية هذا الكتاب من كون مؤلفته كانت من أعضاء هذه الحركة الصهيونية المسيحية، ثم انبرت لكشف الدور الذي تؤديه هذه الحركة في مناصرة إسرائيل. وأفكارها، ومبادئها، وخلفياتها التاريخية، ويتضمن الكتاب معلومات مذهلة عن دور هذه الحركة في وجود الكيان الصهيوني واحتلال فلسطين.

ولفهم هذه الحركة لابد من معرفة النظرة المسيحية اللاهوتية إلى موضوع اليهود، التي تقوم على ثلاثة مبادئ رئيسة تتمثل في:

- أن الأمة اليهودية انتهت بمجيء المسيح.
- وأن الله طرد اليهود من فلسطين عقاباً لهم على صلب المسيح.
- أن النبوءة التي تتحدث عن عودة اليهود قد تحققت بعودتهم من بابل على يد الإمبراطور الفارسي قورش، هذه هي النظرة العامة للكنيسة، ولكن في عام ١٩٠٧م، نشر لاهوتي مسيحي بريطاني يدعى توماس برايتمان كتاباً بعنوان: «أبوكالبسيس» يقول فيه: «إن الله يريد عودة اليهود إلى فلسطين لعبادته من هناك». ووجدت هذه النظرية

اهتمامًا من بعض المهتمين بالقضايا اللاهوتية السياسية، وكان اليهود في ذلك الوقت يتعرضون للاضطهاد في روسيا، وأوربا الشرقية، ومن أجل التخلص من أعباء هذا الاضطهاد، رأوا أن تستخدم هذه النبوءات الدينية أساسًا لتخليص اليهود من الاضطهاد، وتيسير سبل هجرتهم إلى فلسطين، وقد قامت مدرسة دينية لاهوتية على أساس هذه النظرية ومتابعة لتسهيل هجرة اليهود، وفي عام ١٦٤٩م وجه لاهوتيان بريطانيان يعيشان في هولندا رسالة إلى الحكومة البريطانية طلبا منها أن يكون لبريطانيا شرف نقل اليهود على متن البواخر البريطانية إلى فلسطين. وتقول هذه النظرية: «إن للمسيح عودة ثانية، وإن لهذه العودة شروطًا لا بد من توافرها هي: أن المسيح لن يظهر ثانية إلا وسط مجتمع يهودي، وأنه لن يعود إلا في صهيون، ومن أجل تسهيل العودة الثانية للمسيح وتسريعها تحقيقًا للإرادة الإلهية - حسب رأيهم -، لا بد من تجميع اليهود، ولابد من إقامة مجتمع صهيون حتى يظهر بينهم. وقد فصل هذه النظرية التوراتية في ما يعرف بأنجيل «سكوفيلد» الذي وضعه القس سايروس سكوفيلد في عام ١٩٠٣م، وهو كتاب يؤول ما ورد في التوراة من نبوءات.

مؤشرات

وترى هذه الحركة أن قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م كان المؤشر الأول إلى تحقيق الإرادة الإلهية بالعودة الثانية للمسيح، وكان المؤشر الثاني احتلال القدس عام ١٩٦٧م، أما المؤشر الثالث المنتظر فهو تدمير المسجد الأقصى وبناء الهيكل في مكانه، وهم الذين أضرموا النار في المسجد الأقصى في عام ١٩٦٩م، فهم يؤمنون بوجوب التعجيل في تحقيق الإرادة الإلهية. كما يؤمن أتباع هذه الحركة بحتمية وقوع معركة «هرمجيدون»، وهرمجيدون نسبة إلى سهل مجيدو (الذي يقع بين عسقلان على المتوسط والقدس)، وتقول هذه النظرية الفنائية: إن أعداء الله أي المسلمين والعرب، والمؤمنين والعلمانيين سيقومون بهجوم على إسرائيل. وستقع معركة نووية مدمرة يقتل فيها الملايين، وقبل أن تضع الحرب أوزارها، سوف يقتل معظم اليهود ولا يبقى منهم سوى ١١٤ ألف ينجون بسبب تحولهم إلى المسيحية، بعد ذلك يظهر المسيح بالجسد فوق أرض المعركة، ويصعد إليه المؤمنون، ثم ينزل هو والمؤمنون إلى الأرض، ويحكمها ألف عام، وهو ما يسمونه بالألفية، حتى تتحقق العدالة المطلقة. هذا هو تصورهم عن نهاية الكون والزمن، وهو مدبر ومرسوم، وما عليهم سوى العمل على تطبيقه؛ لذا فإنهم يطلقون على أنفسهم «الحركة التدبيرية» بمعنى أنهم يعتقدون ويؤمنون بأن كل شيء مدبر بما في ذلك المعركة التدميرية للإنسانية، وأن هذه المعركة تجسد إرادة إلهية لابد من وقوعها حتى يأتي المسيح.

أمريكا والحركة التدبيرية

وتضم هذه الحركة نحو ٤٠ مليون أمريكي، منهم شخصيات مهمة في الإدارات الإمريكية المتعاقبة، أولهم روزفلت الذي يقول عنه جون غولد شتاين (عضو مجلس القضاء) في إدارته: إن لليهود ثلاثة عوالم، عالم الدنيا، وعالم الآخرة، وعالم روزفلت، لالتزامه بالقضية اليهودية، ومن قبله الرئيس هاريسون إذ مارس ضغطاً على روسيا القيصرية، من أجل منع تهجير اليهود، ومن بعده ريغان الذي قال: «إنني أتمنى أن يكرمني الله بأن أضغط على الزر النووي حتى تقع معركة هرمجيدون، وأعجل بذلك بالعودة الثانية للمسيح»، وآخرهم الابن جورج بوش، إذ يعد أقرب المقربين إليه هو القس جيري فولويل، الذي تطاول على الرسول ﷺ، وجون أشكرفت وزير العدل الحالي، وكاتب خطابات الرئيس بوش القس مايكل جارسيون وهو من أتباع الحركة التدبيرية، لذا تظهر على خطابات بوش عبارات دينية مثل «محور الشر» التي تعني أن كل من هم ضد إسرائيل هو في محور الشر، وعبارة «الحروب

أسقط اللوبي الإسرائيلي فندلي بسبب انتقادته لإسرائيل إذ قدمت ٣١ لجنة سياسية يهودية لخصم فندلي السياسي ١٠٤.٣٢٥ دولارًا

الصليبية» و«العدالة المطلقة» التي أعطيت في الأساس للحملة على أفغانستان، وتعني هذه العبارة أن العدالة المطلقة لا تتحقق إلا بالعودة الثانية للمسيح.

ولهذه الحركة تأثير واسع النطاق إذ تتمتع هذه الحركة بنفوذ إعلامي كبير وخاصة في ميدان التلفاز والإذاعة، كما تدير سلسلة من المستشفيات والجامعات، وأهم أعمالها التبشير التلفازي، ولذلك يسمونها «بالكنيسة الإلكترونية» لاعتمادها على الإعلام التلفازي والإنترنت.

ومن أكثر المبشرين بنظرية هرمجيدون:

- بات روبرتسون الذي يستضيف برنامجًا لمدة تسعين دقيقة يوميًا ويدعى نادي السبعمئة (نسبة إلى سبعمئة مساهم معه)، ويصل هذا البرنامج إلى أكثر من ١٦ مليون عائلة، ويوظف نحو ١٣٠٠ شخص لإدارة شبكته التلفازية المسيحية (س. بي. إن) إذ لها وجود في أكثر من ٦٠ دولة، وتضم ثلاث محطات تلفازية، وجامعة، ومجموعة ضغط (لوبي).
- جيمي سواغارت: الذي يدير ثاني أكبر محطة تلفازية إنجيلية إذ تصل إلى ٤,٥ ملايين منزل يوميًا.
- جيم بيكر: الذي يملك ثالث أشهر محطة تلفازية تبشيرية إذ تصل إلى نحو ٦ ملايين منزل.
- أورال روبرتس: يصل برنامجه إلى ٥,٧٧ ملايين منزل.
- جيري فولويل: تصل دروسه التبشيرية إلى ٥.٦ ملايين منزل، ويعد أبرز أعضاء هذه الحركة، لقربه من صناع القرار في البيت الأبيض.
- كينين كوبلاند: يصل برنامجه إلى ٤,٩ ملايين منزل.
- ريتشارد دي هان: يصل برنامجه إلى٤.٧٥ ملايين منزل.
- ريكس همبرد: يصل إلى ٣.٧ ملايين منزل.

وتقول المؤلفة: إنها اشتركت في رحلة إلى الأرض المقدسة، نظمها فولويل عام ١٩٨٣م، وكانت من بين ٦٣٠ مسيحيًا سافروا من نيويورك إلى تل أبيب، وقد قامت برحلة إلى مجيدو، هي وشخص يدعى «كلايد» وهو رجل أعمال متقاعد في الستينيات من عمره، خريج جامعة، وقد سبق له أن خدم في الجيش برتبة كابتن، ويستفيض كلايد في وصف معركة «هر مجيدون»، ويقول: إن هذه المعركة قد وردت في إصحاح يوشع، وفي سفر الرؤية في الفصل ١٦ المقطع ١٦، ويصف كتاب سفر الرؤية هذه المعركة: «إن ٢٠٠ مليون رجل من جيش الشرق سوف يتقدمون نحو الغرب لمدة عام، إن هذا الجيش سوف يمر بهرمجيدون، وسوف يدمر المناطق الآهلة من العالم قبل أن يصل إلى نهر الفرات»، ويصف سفر حزقيال بأنها حرب نووية قائلاً: «إنه ستنهمر الأمطار وتذوب الصخور، وتتساقط النيران، وتهتز الأرض، وتتساقط الجبال، وتنهار الصخور، وتتساقط الجدران على الأرض، في وجه كل أنواع الإرهاب» وقد أجرت المؤلفة تحقيقًا حول ما يقوله الإنجيليون الأصوليون حول موضوع هرمجيدون فمثلاً: س. س. كريب الرئيس السابق للقساوسة الإنجيليين كتب عام ١٩٧٧م يقول: «في هذه المعركة النهائية فإن المسيح الملك سوف يسحق كليًا العسكريين المتألقين، الذين يقودهم الدكتاتور المعادي للمسيح»، أما هال ليندسي مؤلف كتاب «آخر أعظم كرة أرضية» فيقول: «إن دولة إسرائيل هي الخط التاريخي لمعظم أحداث الحاضر والمستقبل» ويضيف: «إن الأمر يبدو وكأنه لا يصدق، إن العقل البشري لا يستطيع أن يستوعب مثل هذه اللا إنسانية من الإنسان إلى الإنسان، مع ذلك فإن الله يمكن الإنسان من تحقيق ذاته في ذلك اليوم». وعن هذه المعركة يقول القس جيري فولويل في تصريح صحفي عام ١٩٨١م: «إننا نعتقد أن روسيا، وبسبب حاجتها إلى النفط، وبسبب نفاد احتياطها منه، سوف تتحرك نحو الشرق الأوسط، وخاصة نحو إسرائيل بسبب كراهيتها لليهود، وفي هذا الوقت ستنفتح أبواب جهنم»، وفي هذا الوقت أعتقد أنه ستكون هناك

إن دافع الضرائب الأمريكي أرسل في عام ١٩٨٥م إلى إسرائيل خمسة مليارات دولار، فهذا يعني أن الأمريكيين يرسلون ما يعادل ١٧٠٠ دولار لكل رجل وامرأة وطفل في إسرائيل



جورج بوش الابن

مأساة نووية على هذه الأرض، لأنه يقال: إن الدم سوف يسيل في الشوارع حتى يصل إلى ألجمة الخيل في وادي أسوريلون، ولمسافة ٢٠٠ ميل، وهي تحكي عن حوادث مرعبة يمكن نسبتها إلى بطرس الثالث، مثل ذوبان العناصر والحروب النووية.

وفي أحد الفصول خصصت المؤلفة فصلاً عن الرئيس الأسبق ريغان، وهو من أشد المنتمين إلى التدبيرية، وقد ناقش هذا الأمر مع عدد من الشخصيات في أثناء الاجتماعات، وقبل توليه الرئاسة وبعدها، وفي أكتوبر عام ١٩٨٣م، كشف ريغان أن هرمجيدون لا تزال تشغل باله، فقد اتصل هاتفيًا بتوم داين من لجنة العلاقات الأمريكية الإسرائيلية، وهي أكثر اللوبيات المؤيدة لإسرائيل قوة، واستنادًا إلى داين قال ريغان «كما تعرف فإنني أستند إلى أنبيائك القداس في العهد القديم وإلى المؤشرات التي تخبر مسبقًا بهرمجيدون، وإني أتساءل إذا كنا الجيل الذي سيشهد ذلك لا أعرف إذا كنت قد لاحظت أخيرًا أيامًا من هذه النبوءات، ولكن صدقني أنها تصف الوقت الذي نمر به».

وقد قال عنه جيمس ميلز في المقال الذي نشر في مجلة سان دييغو: «لقد كان ريغان على حق عندما اعتقد أن أمامه فرصة لينفق المليارات من الدولارات استعدادًا لحرب نووية مع يأجوج ومأجوج، لو كان معظم الشعب الذي أعاد انتخابه يؤمن، كما أخبرني هو، بما يؤمن به بالنسبة إلى هرمجيدون والعودة الثانية للمسيح».

أمريكا تحب اليهود

وقدمت المؤلفة في أحد فصول الكتاب تعريفاً بالقس فولويل الذي يعد أبرز منظري هذه الحركة، واستفادت من أستاذين جامعيين أجريا بحثًا عن حياة فولويل استغرق ١٥ سنة، وقد ذكر هذان الأستاذان أن الانتصار العسكري لإسرائيل عام ١٩٦٧م، قد أثر في توجه فولويل السياسي، وأصبح مناصرًا للدولة الصهيونية، ويرجع ذلك إلى أن الولايات المتحدة كانت منغمسة في حرب فيتنام، وكان شعور الهزيمة والعجز يخيم على الكثير من الأمريكيين بمن فيهم فولويل، وبعد الانتصار الإسرائيلي توجهوا بمشاعر من العبادة نحو إسرائيل، وقدموا موافقتهم الكاملة لسيطرة إسرائيل على الأراضي العربية، وأشاد فولويل بالجنرال موشي دايان، وعدّه معجزة هذا العصر وفي عام ١٩٧٨م سافر فولويل إلى إسرائيل على نفقتها، وقام بغرس الأشجار فيما يسمى الآن «غابة فولويل»، والتقطت له صور وهو يجثو على ركبتيه، وفي عام ١٩٧٩م، دعاه الإسرائيليون وألقى خطابًا قال فيه:« إن الله يحب أمريكا؛ لأن أمريكا تحب اليهود، وعلى المسيحيين أن يتدخلوا في السياسة بطريقة تضمن استمرار بقاء أمريكا صديقة لليهود»، وأضاف: «إنني أومن بأننا إذا تقاعسنا عن حماية إسرائيل فلن نبقى مهمين بالنسبة إلى الله».

وفي عام ١٩٨٠م، منحه الرئيس الإسرائيلي بيغن ميدالية تحمل اسم «فلاديمير زيف جابوتنسكي» الإيديولوجي الصهيوني اليميني «أستاذ بيغن، الذي دعا إلى عدم إخضاع اليهود في فلسطين للقوانين الوضعية، وقال: «إن كل من يؤمن بالعدالة هو غبي، يجب ألاّ يثق أحد بجاره، إنما عليه أن يتسلح حتى أسنانه وعلى اليهود ألاّ



بوش الأب وريغان

يساوموا الفلسطينيين العرب، وفي عام ١٩٢٣م، أنشأ منظمة للشبيبة المسلحة «بيتار»، وبنى ميلشيات «الهاغاناه» التي انبثق منها الجيش الإسرائيلي، وفي عام ١٩٢٥م أنشأ رسميًا الحركة التصحيحية داخل المنظمة الصهيونية العالمية، وطالب بمملكة إسرائيل على جانبي نهر الأردن، وحثّ المنظمات الصهيونية على العمل عسكريًا ضد العرب من دون أي مساومة.

وقد أشاد فولويل بقصف المفاعل النووي العراقي قرب بغداد، وفي عام ١٩٨٥م توجه فولويل مع الناطق باسم «الأكثرية المعنوية» كال توماس لمقابلة الرائد اللبناني سعد حداد الموالي لإسرائيل، ومن أجل تجنيد الدعم الوطني للغزو الإسرائيلي دعا فولويل إلى لقاء حضره قادة اليمين الجديد: ريتشارد فيغوري، وبول وايرخ، وهوارد فيليبس وهم مؤسسو منظمة «الأكثرية المعنوية» وحضره كذلك أعضاء إدارة ريغان، والرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون، ووزير الداخلية جايمس وات، ومستشار الأمن القومي رتيشارد آلن. ومدير مكتب المعلومات الأمريكي فرانك شكسبير، والزعيم اليهودي البارز يهودا هامن. وبعد الاجتماع قال فولويل: إن الجميع متفقون تمامًا على دعم الغزو الإسرائيلي للبنان.

الحرية المقدسة

وفي فصل بعنوان: «التحريض على الحرب المقدسة»

تقول المؤلفة: إنها تحدثت في واشنطن إلى «ريزنهوفر» الذي يترأس منظمة تدعى «مؤسسة معبد القدس» التي أنشأها مع عدد من الأمريكيين لمساعدة الإرهابيين اليهود على تدمير الأماكن الإسلامية المقدسة، وقد أنشأ ريزنهوفر شركة للتنقيب عن النفط تعمل في الجزء المحتل من فلسطين الذي يدعى الضفة الغربية، ويعتقد ريزنهوفر أنه مدعو إلى بناء الهيكل، وقد ساعد على تنظيم مؤسسة التعاون اليهودي المسيحي في أمريكا التي تزعمها ويعاونه في ذلك دوغلاس كريفر. والحاخام الأمريكي دافيد بن آمي، وهو مقرب من شارون، وقد اختار ريزنهوفر سكرتيراً دولياً له هو غولد فوت، وهو عضو في عصابة شترن، وهو الذي وضع القنبلة التي دمرت جناحاً في فندق الملك داود في القدس عام ١٩٤٦م، وكانت تقيم فيه السكرتيرة العامة لهيئة الانتداب البريطاني، وعدد من الضباط، وأسفرت العملية عن مقتل نحو ١٠٠ بريطاني، ويعمل غولد فوت على إعادة بناء الهيكل، وقد قام بزيارة إلى أمريكا. وتحدث عبر أجهزة الإذاعة والتلفزة الدينية، وفي الكنائس داعياً المسيحيين لتقديم العطاءات والتبرعات لبناء الهيكل، ويعترف غولد فوت أنه حصل على أموال من السفارة المسيحية الدولية في القدس، وقد قام ريزنهوفر بجمع أموال كثيرة للمحامين الذين رافعوا عن ٢٩ مسلحاً إسرائيلياً قصفوا المسجد الأقصى عام ١٩٨٤م، وتؤكد المؤلفة أن معظم التبرعات في الولايات المتحدة حصدتها منظمة «غوش إيمونيم» وهي تتجاوز آلافاً من الدولارات، فالخزينة الأمريكية هي المصدر الأكبر لتمويل غوش إيمونيم، ولتمويل مستوطناتها غير الشرعية في الضفة الغربية.

زواج المصالح

ومن المكاسب التي حققتها إسرائيل في زواج المصالح الذي عقدته مع اليمين المسيحي الجديد:

المال: وقد ذكر إسرائيل شاحاك رئيس المنظمة الصهيونية للحقوق المدنية والإنسانية لمؤلفة الكتاب قائلاً: «إن دافع الضرائب الأمريكي أرسل في عام ١٩٨٥م إلى إسرائيل خمسة مليارات دولار، فهذا يعني أن الأمريكيين يرسلون ما يعادل ١٧٠٠ دولار لكل رجل وامرأة وطفل في إسرائيل، وبكلام آخر يرسلون نحو ٨٠٠٠ دولار سنوياً لكل عائلة من خمسة أشخاص، إنكم تقدمون لنا نحو ١٤ مليون دولار يومياً على مدى ٣٦٥ يوماً في السنة من دون أي قيود»، ويضيف «حتى إذا أدرك قليل من الإسرائيليين والأمريكيين أن التدفق غير المحدود لبلايين الدولارات الأمريكية يعطل ويؤذي إسرائيل، فإن تآلف اليمين الإسرائيلي مع اليمين المسيحي سوف يصر على أنه عليكم أنتم الأمريكيين أن تواصلوا إرسال المزيد من المساعدات».

أما بول فندلي العضو الجمهوري السابق فيقول: «لا توجد فرصة أمام الشعب الأمريكي نفسه ليصوت على موضوع إرسال ملايين الدولارات كمساعدات خارجية».

الفلسطينيون يدفعون الثمن

وقال: إن التصويت يقوم به مجلسا الشيوخ والنواب، وفيما يتعلق بصفقات المساعدة لإسرائيل، فإن الكونغرس يصوت دون استثناء وبأكثرية ساحقة على إرسال الكميات من الأموال التي تحتاج إليها إسرائيل»، وقد أسقط اللوبي الإسرائيلي فندلي بسبب انتقاداته لإسرائيل إذ قدمت ٣١ لجنة سياسية يهودية لخصم فندلي السياسي ١٠٤،٣٢٥ دولارًا، كذلك مع تشارلز بيرسي الرئيس السابق للجنة العلاقات الخارجية الذي صوت بنعم على صفقة طائرات الإنذار المبكر (اواكس) للسعودية، وقد أدى هذا التصويت إلى إسقاطه، فقد أقرت لجان العمل اليهودية (باك) ١،٢٨ مليون دولار لمرشحي مجلس الشيوخ لعام ١٩٨٤م، وأنفق ٤٤ في المئة من هذا المبلغ على خصوم بيرسي، فقدمت باك ٣٢٩،٨٢٥ دولارًا لهزيمة بيرسي، وأنفق مستثمر عقارات نحو ١.١ مليون دولار على برامج التلفاز لتوجيه الرسائل البريدية وحملات اللوحات الإعلانية ضد السناتور بيرسي.

أما المكسب الثاني من التحالف فهو المزيد من الأراضي: فقد علمت المؤلفة أن مسيحيين في أماكن قيادية في أمريكا يصلّون على مدار الساعة حتى يتحقق اليوم الذي لا يبقى فيه الفلسطينيون على أرضهم، وحتى تصبح الأرض ملكًا لليهود، وعلمت أن هؤلاء المسيحيين يتوجهون إلى منزل ثمنه نصف مليون دولار، وهو ملك سيدة مسيحية هي «بوبي هروماس» زوجة أحد كبار المسؤولين في مؤسسة دفاعية على الساحل الغربي، والهدف من شراء هذا المنزل هو إيجاد مكان للمسيحيين للصلاة من أجل فداء الأرض، وتملك هروماس منظمة تدعى الاتحاد الأمريكي المسيحي وهي مظلة لتغطية الحركات المسيحية الإنجيلية الرئيسة، وأنها تعمل مباشرة لنقل الأموال إلى إسرائيل. ويتمتع الاتحاد بالإعفاء القانوني من الضرائب، وتتلقى التمويل من أشخاص، ومؤسسات، ومنظمات إنجيلية أصولية كبيرة، ومن بعض مشاهير هوليود وأغنياء تكساس، ويقدم هذا الاتحاد الأموال إلى إسرائيل وخاصة للمستوطنات اليهودية في الضفة الغربية، وترسل الأموال مباشرة إلى السفارة الإسرائيلية في واشنطن، وقد أخبرت «هروماس» المؤلفة أن الاتحاد خطط لجمع مئة مليون دولار لشراء أراض للمستوطنات اليهودية في الضفة الغربية، والهدف الحالي



روزفلت

هو منطقة في مدينة نابلس الفلسطينية، وقد أطلعت «هروماس» المؤلفة على الكنيسة التي يصلّون فيها لمصادرة مزيد من الأراضي. وهي تقع في تقاطع الشارع ٣٩ مع طريق رينو في مواجهة مباشرة مع السفارة الإسرائيلية، وقد دعت هروماس أعضاء في الكونغرس للاشتراك في جلسات من الصلوات ٢٤ ساعة في اليوم من أجل إسرائيل، وقد طلب جهاز المخابرات استعمال زجاج خاص على الشبابيك لحماية الزائرين داخل الكنيسة، وتقول المؤلفة: إنها اطلعت على سجل الزيارات في الكنيسة، الذي يتضمن لائحة بأسماء المسؤولين في الحكومة الأمريكية بدءًا بالرئيس ريغان، ولائحة بالمسؤولين في إسرائيل بما فيهم أسماء كل أعضاء البرلمان الإسرائيلي.

المكسب الثالث: تجذير الدعم المسيحي: وقد أعدّ أحدالقادة الإنجيليين الأصوليين كريكر ورقة لقادة اليهود الإسرائيليين والأمريكيين ذكر فيها أسماء ٢٥٠ منظمة إنجيلية موالية لإسرائيل، وقد أنشأ الصهيونيون العاملون بتحالف مع المحافظين الإنجيليين هذه المنظمات وهي:

❖ مؤتمر القيادة الوطنية المسيحية لإسرائيل، ويرأسه فرنكلين لتل، وهو مسيحي صهيوني أستاذ في جامعة تمبل، وترتبط هذه المنظمة بالسفارة المسيحية العالمية

مسيحيون في أماكن قيادية في أمريكا يصلّون على مدار الساعة حتى يتحقق اليوم الذي لا يبقى فيه الفلسطينيون على أرضهم. وحتى تصبح الأرض ملكًا لليهود

بالقدس. ومن بين أقوى مؤيديها القساوسة كريسويل، وجيم بيكر، وبات روبرتسون من جماعة التدبيرية.

❖ المؤتمر الوطني المسيحي: أنشئ قبل تصويت مجلس النواب الأمريكي على بيع طائرات الإنذار المبكر (أواكس) للسعودية.

❖ الاتحاد الأمريكي من أجل سلامة أمريكا. وقد أنشئت هذه المنظمة لإعداد الأسماء لرعاية إعلانات الصفحات الكاملة في الصحف ضد تزويد السعودية

حرب فيتنام وآثار ممتدة



بأسلحة دفاعية. وقد وقّع على الإعلان العشرات من الصهيونيين بمن فيهم جيري فولويل وراهبة كاثوليكيه ترأس كلية «مانهاتن فيل».

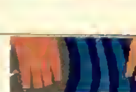
❖ تاف الكادرائيات الإنجيلية: (تاف هو الحرف الأخير من أحرف الأبجدية العبرية) وقد استعمل الإسرائيليون تاف في الغزو الإسرائيلي للبنان، لتنظيم عدة مؤتمرات على الساحل الغربي لقادة أصوليين إنجيليين ويهود، وقد رعت تاف «سبت التضامن» من التجمع العبراني بواشنطن برئاسة الحاخام جوشع هابرمان، ورئيس مجلس المنظمة الصهيونية في أمريكا، وممثل عن اللوبي الإسرائيلي ياك، وحشد من ١٥٠ أصوليًا وقياديًا يهوديًا إلى العاصمة من أجل أن يؤيدوا رسميًا وبتغطية من جريدة واشنطن بوست، غزو إسرائيل للبنان.

❖ الائتلاف الأمريكي من أجل القيم التقليدية: يتزعمه مبشر سان دييغو الكاتب الشهير تيم ليهاي، وهو مؤيد لإسرائيل، ومن جماعة التدبيرية، وتهدف هذه المنظمة إلى تجييش ٤٥ مليون أصولي من خلال تسجيل الناخبين والمساهمة في الحملات الانتخابية، كما تهدف إلى توصيل الأصوليين إلى مراكز القرار الحكومية، ومن قادة هذا التنظيم فولويل، وسواغارت، وجيم بيكر، وبات روبرتسون.

❖ الصوت المسيحي: مركزها كاليفورنيا مع مكتب ضغط في واشنطن ويبلغ عدد أعضائها نحو ١٩٠ ألف شخص، بمن فيهم ٣٧ قسيسًا، وتبلغ ميزانيتها نحو ١.٥ مليون دولار ونصف المليون.

ومن كبار مؤيدي إسرائيل من الإنجيليين:

- إد مال أتري من الطاولة الدينية المستديرة التي ترعى صلاة إفطار سنوية من أجل إسرائيل.
- بن أرمسترونغ المدير التنفيذي للاتحاد الوطني للمذيعين الدينيين.
- أديان روجرز راعي الكنيسة المعمدانية في «بل في» في «ممفيس».
- و. أ كريسويل، رئيس قساوسة الكنيسة المعمرانية الأولى في دالاس، وقد التزم كليًا بإسرائيل قوية، وأقام علاقات مع قادة الجناح اليميني في إسرائيل وخاصة مع الرئيس الإسرائيلي الأسبق مناحيم بيغن.



اللغوي يوسف الصيداوي صاح

...ـب «بيضة الديك»

مكي الحسني
دمشق ـ سورية

كنت في العقد الأخير من القرن العشرين وثيق الصلة بالأستاذ يوسف الصيداوي. وما كنت أعرفه قبل ذلك. رأيت صورته أول مرة على شاشة التلفاز وهو يقدّم من التلفزة السورية برنامجه "اللغة والناس". بدأ هذا البرنامج في ٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٨٢م، ودام أزْيَد من عشر سنوات، قدَّم خلالها قُرابة ٤٠٠ حلقة، ونشر منها عام ١٩٩٦م زُهاء ١٠٠ حلقة في كتاب جَعَل عنوانه "اللغة والناس" أيضًا، وهو كتابٌ جمٌّ الفوائد.

واتفق في أثناء ذلك أن ذكر لي اثنانِ من أصدقائي أنهما سيزوران الأستاذ الصيداوي في بيته (وهو غير بعيد من بيتي)، فأبديت رغبتي في مرافقتهما للتعرُّف إليه. وكان اللقاء الأول.

وجدته إنسانًا لطيفًا متواضعًا جدًا. واتفقنا على تبادل الاتصالات الهاتفية. وفي مرحلة لاحقة، استقر رأينا على أن نُمضي في الأمسيات ساعة، نمارس فيها رياضة المشي. وكان الأطباء قد نصحوه بذلك، إذ كان يُمضي نهاره ومساءَهُ في مكتبه يقرأ ويعمل. وهذا ما جعله يقول في صدر كتابه المذكور: الإهداء:

«إلى التي أراها تصبر على الصمت والوحدة، لتتيح لي أن أنقطع إلى الكتاب، فأستحي من الله!»

كنّا في أثناء المشي نتحدث في أمور شتى. ولم أسمع منه كثيرًا عن صباه وشبابه، ولم أسأله عنهما، فقد كان يكفيني ما كنا فيه... ثم حدث أن استمعت إليه يلقي مساء ٣٠ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٢م كلمةً في «المدرسة المُحْسِنية» في حي الأمين بدمشق، بمناسبة ذكرى مرور مئة عام على تأسيسها، وخمسين عامًا على رحيل مؤسسها الشيخ مُحسن الأمين.

وفيما يلي فقرة من هذه الكلمة تعرض لجانبٍ من أحوال طفولة يوسف الصيداوي، وتُعرِّف القارئ بأسلوبه الرفيع في الكتابة.

«كنت في الثانية عشرة من العمر. وكان المُحْسِن الأمين قد نَيَّف على الستين. ومَن كان في مثل سنّي لا يرقى إلى أن يعرفه أو يحدِّثه محسنُ الأمين، لكنّ الله شاء، فكان ذلك.

كان أحد أطفال الحي قد مُنح صوتًا، خرق جماله ما ألف الناس واعتادوا من الأصوات، حتى كان من السحر غيرَ بعيد. سمع صوته الشيخ رفيق السباعي، تلميذُ المحدِّث الأكبر الشيخ بدر الدين الحسني، فأمسك بيد الصبيّ، وطار به إلى القصر الجمهوري، فأُجلس قُبالة رئيس الجمهورية الشيخ تاج الدين الحسني، وقيل له: «اقرأ» فقرأ ما تيسّر من أواخر سورة لقمان. فأذهل صوتُه الرئيس. فأغدق عليه ما لم يكن هو ولا أهله يظنون أنه يكون.

ثم نظم الوزير، الأستاذ الدكتور منير العجلاني قصيدة في مدح الرئيس الشيخ تاج الدين مطلعُها:

يا رئيسًا ملءُ برديك سداد
جمَعَ الناسَ حواليك الودادُ
لم يزل رأيك فينا يستفادُ
فامضِ في المجد بعزم وثباتْ

ولحّنها شيخ الموسيقيين السوريين يوم ذاك فؤاد محفوظ. وتمضي أسابيعُ قليلة، فيزور دمشق الجنرال كاترو أيام الانتداب الفرنسي، فتقامُ حفلةٌ يُنصب مسرحها على سطح سينما الأهرام اليوم، ويوقف الصبيّ على المسرح، ومن ورائه الفرقة الموسيقية، وفيها جهابذة العازفين، منهم ملحّن القصيدة وعثمان قطرية، عازف القانون، ويجلس الرئيس والجنرال ووجوه القوم يستمعون.

ويمضي يومان أو ثلاثة، فيدعو المحسنُ الأمين والد الطفل إليه، فيُهرعُ ملبيًا، حتى إذا استقرّ به المجلس، قال له السيد: يا فلان، هما طريقان لابْنك، ليس لهما ثالث: مغنٍّ في مجالس اللهو والبطالة، أو قارئٌ لكتاب الله تعالى، وأمْر الصبي إليك، ولك الخيَرة فاختر.

وكأنما مسّ جسدَ الوالد تيارٌ كهربائي!! فأجاب من فوره، ولسانُه يسبق تفكيره، بل قارئٌ لكتاب الله.

وقرّرت هذه الكليمات مصير الصبي: عهد به المحسن الأمين إلى الشيخ علي الجمال، والشيخ محمد علي صندوق، وهما شيخان من طلاّبه، فعلّمه الأول شيئًا من قواعد اللغة وإحسان اللفظ، وعلمه الثاني التجويد حتى أتقنه، وبقيت مهمة ثالثة، بها يستكمل الصبيّ ما يُهيَّأ له. تلك هي قصيدةُ نَعْي الحسين ورثائِه. وقد تولى السيد الأمين نفسُه، أن يعلّمه كيف تُلقى».

زيادة الرصيد وصقل الموهبة

في هذه السن المبكرة بدأ اتصال يوسف الصيداوي باللغة العربية العالية: القرآن الكريم وقد حفظ منه الكثير، والقصائد المتينة المباني، ومنها كذلك حفظ الكثير. أما في شبابه فأقبل يلتهم كتب الأدب واللغة ودواوين الشعر العربي التهامًا. كلُّ هذا زاد رصيده اللغوي وصقل موهبته. ومع ذلك كان شديد التأني في الكتابة: يختار ألفاظه بعناية بالغة، لتكون عبارته في



غلاف «بيضة الديك»

منتهى الدقة، وفي غاية الفصاحة في آنٍ معًا. وكنت أقول له تعليقًا على ذلك: أنت تُذكرني بشعراء المعلّقات، الذين كانوا لا يألون جهدًا في تجويد قصائدهم قبل تعليقها على جدران الكعبة.

لم يكن الأستاذ شاعرًا، لكنه كان يحفظ الكثير من أجمل الشعر، ويتذوقه بعمق يجعل سامعَهُ يشاركه في التذوق

وفاء وعرفان

كان الأستاذ الصيداوي ألقى في ٦ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٨٤م كلمةً في الاحتفال الذي أقيم بمناسبة مرور سنة على وفاة أستاذه الشيخ محمد علي صندوق. وسأورد من كلمته فقرات تُبيّن شيئًا غير قليل عن أحوال طفولته وصباه وشبابه، وتُبرز شيمة الوفاء وعرفان الجميل في أخلاقه.

«أيها السادة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فإن من يقف الآن أمامكم، إنه هو صنع يدَيّ هذا الراحل الفقيد، كنت ضائعًا فأرشدني، وفقيرًا فأقرضني، وجاهلاً فعلّمني، كلما نفد صبري أجدُ لي صبرًا من حلمه. أو يئستُ، أنبط لي من الصخر الأصمُ أملاً. فإذا تمردت أو ثُرت، أغضى ينتظر أن ينحسر المدّ.

وأسأله يومًا لم تُفيض عليّ كلَّ هذا، وإنك لأعلم الناس بعجزي عن أن أردّ لك جانبًا من حقّك عليّ؟ ويجيبني وهو يهزّ رأسه، كأنه يناجي نفسه: إنما أفعل ما أفعل لله. قلت: إن قولك هذا ليشعرني أنني غير ذي وجودٍ عندك. وإني لا أطلب أن يكون فعلك لغير الله، ولكنني أطلب أن يكون لي وجودٌ في مسألة أنا محورها. قال وبسمة رضًا تملأ وجهه: يا بني اسمع!! إنني إنما أفعل ما أفعل لله، وأما وجودك فاطلبه عند غيري!!».

«أيها السادة: كنت ابن عشر سنين، يوم تلقيت على يديه الدروس في قراءة القرآن وأحكام علم التجويد.. وفتحت عينيّ، فإذا أنا ابنُ ثلاثين سنة يوم باعَدَ من صلتي به تقلُّبُ الأيام، فهذه نحو من عشرين سنة، مرّت كما تمر الأحلام. لم يكد يمرُّ يوم منها لا ألقاه فيه. فما أكثر الدروس خلال ذلك، وما أعظمها وما أعمقها.

فأذَنُوا لي في أن أضع أيديكم على جانبٍ من ذلك، لعلي أفِي بإعلانه بعضَ حقِّ هذا الرجل عليّ».

«أيها السادة: لقد ألجأني الفقر في حداثتي إلى أن أترك مقعد الدراسة، فأكسبَ رزقي من أعمال يدوية هي فوق ما يطيقُه جسد الغلام الحدث. وكانت آمالُ الحداثة - مع ذلك - تخامرني على فقري وقصوري، كما تخامر سواي على غناه وقدرته، فالإنسان هو الإنسان.

كنت يوم ذاك أحلمُ أن أكون هذا، وأن أغدو ذاك، وأن أصيرَ كذلك، ولكن قبضة الواقع المُحكمة كانت تَرُدُّني إلى حقيقة لحُمَتُها اليأسُ والقنوط. وما الذي يستطيعه غلامٌ لا حول له ولا طَوْل؟ فقير فقير؟ ضعيف ضعيف؟ منقطع منقطع؟

ولكنّ مساءً يمضي، ثم يكونُ من بعده صباحٌ ليس كالأصبحة، وإذا أنا جالسٌ بين يدي هذا الرجل الكريم، أتلقى مبادئ النحو واللغة والعروض. حتى إذا ثُقّفْتُ من ذلك أطرافًا أخذ بيدي إلى المدرسة المحسنية لأكون محاسبًا ماليًا فيها. ثم لأكون من بعد ذلك معلّمًا في المدرسة الهاشمية، ثم لأخطو في ظلال عطفه أوائل خُطُوات العلم والمعرفة. يُعْوِزُ الكتابُ فيشترى، ويُحتاج إلى الثوب فيُقتنى، ويَخلُو الوفاض فيكون الإقراض.

وتسير الحياة رويدًا، فمن الحداثة إلى الفتوة. ومن الفتوة إلى الشباب، ومن الشباب إلى الكهولة. وأنظر - وقد تغيَّرَت بِي الحال - فأرى وجودي كله في هذه المراحل كلها من صُنع يَدَيّ هذا الرجل الكريم، أو من أثر صُنْعه. حتى لأقول يومًا لولدي وقد شبّ ووعى: يا بني: إنما حياتُك وما أنت فيه، وحياةُ أبيكَ وما هو فيه، نفحةٌ من نفحات هذا الإنسان الكريم. فاستَبْقِ ذلك في ذهنك ولا تَنْسه. فإن نسيانه لؤمٌ وحِطّة، لا أحبهما لك ولا لنفسي».

«ولقد كان من فضله عليّ دون الآخرين، أن أخذ بيدي إلى معارج علم العربية، وكنتُ أجهل الفرقَ بين الفعل والفاعل والمفعول، والسماع والقياس، والجامد والمشتق، ولا أعلم من كلّ ذلك إلا مسميات ومصطلحات.

وعلّمني قراءة القرآن وتجويده، فأطال تعليمي، حتى جلست إلى شيخ قرّاء دمشق، الشيخ محمد الحلواني

(توفي رحمه الله سنة ١٩٤٤م). وكنت لا أزال صبيًا. فقرأت بين يديه ما تيسر من التنزيل العزيز، فأجازني وأذن لي في القراءة».

كتابه "الكَفاف"

ذكرتُ آنفًا أني كنت في الأمسيات أمشي مع الأستاذ الصيداوي للرياضة. وكنا نتحدث أحيانًا في شؤون لغتنا، وما آل إليه حالُها من تدني مستوى الكتابة فيها والكاتبين. وكنت أقول له إن السبب الرئيس في ذلك هو عدم وجود كتاب في قواعد اللغة، يعالج الموضوع الواحد في مكان واحد معالجةً تتصف بالشمول واليُسر. وأيضًا عدم وجود معجم جيد يسدّ حاجة أبناء هذا الزمان المحرومين نعمةَ السليقة اللغوية. ومن أجل هذا كنت أحُضُه على أن يضع كتابًا شاملاً في قواعد اللغة، خالصًا من الحشو الذي لا نفع فيه، ومُرتبًا ألفبائيًا ليَسْهل الرجوع إلى البحث المقصود، وذلك على غرار بعض المراجع الإنجليزية والفرنسية.

تلك كانت بداية نشوء الكتاب العظيم الذي سمّاه، تواضعًا منه «الكفاف» كتابٌ يعيد صَوْغ قواعد اللغة العربية، والذي صدر عن دار الفكر بدمشق عام ١٩٩٩م. لقد كان لصدوره صدًى واسعٌ وقوي، وحُقَّ له ذلك: فقد كتبتْ عنه الصحف السورية، بأقلام سورية وأردنية، وتحدثتْ إذاعة دمشق وإذاعة لندن. وعُقدت ندوةٌ في المركز الثقافي بالمزّة، دارت حول ميِّزاته ومميزاته.

أجل، إنه كتاب يعيد صوغ قواعد العربية. ولا يَظُنَّنَّ ظانٌ أن إعادة الصوغ هذه كانت أمرًا هينًا. فلقد عشت مراحل إعداد هذا الكتاب من البداية إلى النهاية، على امتداد سبع سنوات، أنفق الأستاذ الصيداوي خلالها خمسة وعشرين ألف ساعة عمل لإعداد «كتاب العمر» كما كان يسميه لي. وكثيرًا ما كان يقول: أخشى أن أموت قبل إنجاز هذا الكتاب. ولقد مَنَّ الله تعالى على أمة العرب بأن أوْصَلَ «الكفاف» إلى أيدي أبنائها.

أجل، ٢٥ ألف ساعة عمل أمضاها في إعداد الكفاف: إذ كان من عادته - قبل أن يكتب قواعد بحث مّا - أن يقرأ بعناية شديدة كل ما كُتب عنه تقريبًا، بدءًا بـ «كتاب» سيبويه وانتهاءً بكتاب النحو الوافي لعبّاس حسن. وكما يحدثني يوميًا تقريبًا، في أثناء المشي، عن الأشياء العجيبة التي صادفها في تلك المراجع. كان شديد الاحترام وعظيم التقدير للعلماء القدامى وجهودهم؛ ولكن هذا لم يمنعه من إعمال فكره وعقله فيما قالوه، ولم ينظر إلى كلامهم على أنه مقدّسٌ لا يرقى إليه نقد!

ليس «الكفاف» كتابًا في قواعد اللغة فحسب. ذلك أنه - فضلاً عن ذلك - كتابٌ في المنطق والبلاغة، وتفسير بعض الآيات القرآنية تفسيرًا لغويًا مدهشًا لم يسبقه إليه أحد. فمثلاً يطالع القارئ في الصفحة ١٠٣٤ رأيه في اللام التي جاء بها القرآن العظيم في معجزة بيان، فأسماها النحاة لامَ العاقبة! تلك هي اللام في الآية الثامنة من سورة القصص: ﴿فالتقطه آلُ فرعون ليكونَ لهم عدواً وحَزَنًا﴾. وإن من يقرأ مقدمة الكفاف التي تشغل نحواً من ستين صفحة، يجد كلامًا فيه من الفصاحة ومتانة العبارة ما تفتقر إليه كتابات كثير من أدباء هذا العصر، فضلاً عن نُحاته!

المنافح عن القرآن الكريم ولُغته الشريفة

ليس كتاب «اللغة والناس» وكتاب «الكفاف» هما

أعلَمَه أحد أصدقائه أن هناك من يزعم وجود لحن في القرآن الكريم فأنشأ مقالة بعنوان "فِرْيَةُ اللحن في القرآن" فنّد فيها تلك المزاعم

الأثرين الوحيدين اللذين تركهما المؤلف لنا. فقد أبقى لنا أيضًا كتاب «بيضة الديك» وكُتيبًا يمكن اعتداده ملحقًا به.

ولهذا الكتاب قصة تستحق أن تُروى. فقد كان الأستاذ الصيداوي شديد الحَمِية للإسلام والقرآن. وإذا سمع من يهاجم الإسلام أو القرآن انقض عليه كالنمر ليفتك به بالحجة الدامغة (كان يحب استعمال كلمة الفتك في مثل هذا المقام!).

وحين أساء أحدهم إلى القرآن فوضع كتابًا ضخمًا زعم فيه أنه يفسّر القرآن انطلاقًا من فهمٍ لغوي جديد!... وضع الأستاذ الصيداوي (في الرد على ١٠ صفحات فقط من ذلك المؤلف) كتابًا يقع في نحو ٢٥٠ صفحة سمّاه «بيضة الديك»؛ وعلل هذه التسمية بقوله في المقدمة بأنه لم يجد في ذلك المؤلف الضخم سوى كلمة واحدة صحيحة هي: «الكتابُ مِنْ كَتَبَ» ولأن هذه الكلمة الصحيحة فريدة، تذكر الفقيد قول الشاعر بشار ابن بُرد الذي خاطب مَن يهواها بقوله:

قد زُرتنا مرةً في الدهر واحدةً

ثَنّي، ولا تجعليها بيضة الديك

ذلك أنهم كانوا يزعمون أن الديك يبيض مرة واحدة في حياته!!

وبالحقّ، إن هذا الكتاب جمُّ الفائدة لما فيه من علمٍ لغوي وأدب ومنطق وفقه، وكل ذلك مصوغٌ بلغة فصيحة رائعة؛ وقد صدر عام ١٩٩٣م.

وبعد سنة من مرور صدور «بيضة الديك» هاجم أحدهم الأستاذ الصيداوي، بسبب الكتاب المذكور، على صفحات إحدى الصحف الأدبية هجومًا عجيبًا زاعمًا أن الأستاذ لا علاقة له بالعربية!! فردّ عليه الفقيد ردًا ساحقًا في الجريدة نفسها، ثم نُشر الرد في الكتيب الصغير الذي أشرت إليه.

كان الصيداوي شديد الحَمِية للإسلام والقرآن. وإذا سمع من يهاجم الإسلام أو القرآن انقض عليه كالنمر ليفتك به بالحجة الدامغة

ـ وأعلَمَه أحد أصدقائه أن هناك من يزعم وجود لحن في القرآن الكريم فأنشأ مقالة بعنوان «فِرْيَةُ اللحن في القرآن» فنّد فيها تلك المزاعم تفنيدًا علميًا مدهشًا، بأسلوب متميز في غاية الفصاحة كبقية مؤلفاته. وما أروع تحليله للآية العاشرة من سورة «المنافقون»، وهي: ﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخَّرتني إلى أجل قريب فأصَّدق وأكن من الصالحين﴾.

فقد أظهر النكتة البلاغية في اعتداد كلمة أكن المجزومة غير معطوفة على فعل (فأصَّدقَ) المنصوب، وأنها جواب لشرط مقدَّر.

وسوف تنشر هذه المقالة إن شاء الله مع مقالات أخرى للفقيد في كتاب اسمه «المُتدارك».

ـ انصرف الأستاذ بعد صدور الكفاف إلى إعداد كتاب عنوانه «على هامش اللغة في القرآن». وليس الغرض منه التفسير، فهناك عشرات التفاسير، وإنما الغرض هو الغوص على معاني اللفظة القرآنية، وعلى تطور هذه المعاني، وصولاً إلى المعنى المقصود في الآية.

ومع أن الأستاذ لم ينجز سوى دراسة سورة البقرة، يمكن القول: إنه قام بثلث العمل. ذلك أن الجذور اللغوية الموجودة في البقرة تساوي ثلث جذور القرآن كله. وسوف تنشر هذه الدراسة ـ بإذن الله ـ ليستفيد منها المسلمون وغيرهم. وعسى أن ينهض لغوي آخر لإكمال هذا العمل.

الأديب

ـ لقد كان للأستاذ قبل أن يغوص في كتب النحو على قواعد اللغة اهتمامات أدبية. وكان بالحقّ ذوّاقةً للشعر

والأدب. يتضح ذلك جليًا ـ على سبيل المثال ـ في محاضرة ألقاها في مدينة (الميادين) كما أظن عنوانها «أُمُّ ثواب». وهي تحليل أدبي رائع لأبيات ثلاثة قالتها الأعرابية العجوز أم ثواب في ابْنها الذي رَبَّتْهُ ليكون سندًا لها في شيخوختها، فإذا هو يُعنِّفها ويضربها إرضاءً لزوجته!

ثلاثة أبيات من الشعر يحلّلها الأستاذ في ١٢ صفحة كبيرة تحليلاً مدهشًا بلغة رائعة! وها هي ذي الأبيات:

ربّيتُه وهو مثل الفَرْخ أعظُمُهُ
أُمُّ الطعام، ترى في جِلْدِهِ زغبا
حتى إذا آض كالفُحّال شذَّبه
أبَّارُهُ، ونَفَى عن متنه الكَرَبا
أنشا يُمَزِّق أثوابي يُؤدِّبني
أبَعْدَ شيبي تبغي عندي الأدبا؟!

- وتتضح ذائقته الشعرية في مقالة نقدية عنوانها (نظرة في القصيدة الأولى) من ديوان النابغة الشيباني، نشرتها مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٩٤م (٥٤٣/٣/٦٩):
- وكان الأستاذ يدعى للمشاركة في مؤتمرات وندوات وثيقة الصلة باللغة العربية. ففي أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٩٩٧م أقيمت في مجمع اللغة العربية بدمشق ندوة عنوانها: «اللغة العربية، معالم الحاضر وآفاق المستقبل» شارك فيها ببحث عنوانه: إعادة صوغ قواعد العربية.
- وبتاريخ ٢٤ أبريل/ نيسان ٢٠٠٠م ألقى في مجمع اللغة العربية بدمشق محاضرة عنوانها (المنهج التأسيسي لتعليم اللغة العربية في المرحلة الابتدائية
- الحلقة الأولى). وهي دراسة عميقة تشغل ٣٧ صفحة، تجلّت فيها موهبته التعليمية، فقد مارس التعليم وكان معلمًا ناجحًا جدًا.
- وألقى بتاريخ ٧ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠٠م محاضرة في الجزائر بعنوان (اللغة العربية وتحديات العصر).
- وشارك في ٩ أبريل/ نيسان ٢٠٠٢م في «مؤتمر اللغة العربية أمام تحديات العولمة» الذي عُقد في بيروت.
- كان لديه أكثرُ من رَبِيْدة (أرشيف) يسجل فيها ما يقع



أحد مؤلفات الصيداوي

علل تسمية كتاب "بيضة الديك" أنه لم يجد في ذلك المؤلف الضخم الذي رد عليه سوى كلمة واحدة صحيحة هي: "الكتابُ مِنْ كَتَبَ"

له من روائع الشعر والشواهد اللغوية، أو ما يقف عليه من مسائل اللغة. وكان يعود إلى هذه السجلات بحكم ضرورة العمل. وفي المساء كان يتحفني ببعض تلك الروائع، فأسجّلها من فوري. من ذلك مثلاً ما قاله حسان بن ثابت مخاطبًا المرأة التي نقلت إليه خبرًا مهمًا: فقد ضمَّن قوله هجاءً لاذعًا لأحد كبار القوم وهو الحارث بن هشام الذي فرّ من المعركة يوم أُحُد.

قال حسان:

إن كنت كاذبةَ الذي حدَّثْتني
فنَجَوْتِ مَنْجى الحارثِ بن هشام
ترك الأحبّة لم يقاتل دونهم
ونجا برأس طِمِرَّة ولجامِ

ومن ذلك أيضًا قول ذاك الأعرابي:

لو كان لي صبرها أو عندها جَزَعي
لكنتُ أملك ما آتي وما أدَعُ
لا أحملُ اللومَ فيها والغرامَ بها
ما حَمَّل الله نفسًا فوق ما تَسَعُ!

ومن ذلك ما قاله الشاعر مخاطبًا محبوبته جُمانة:

ذهب الشبابُ فلا شبابَ جُمانا
وكأنَّ ما قد كان لم يكُ كانا
وطويتُ كفّي يا جُمان على العصا
وكفى، جمانُ، بِطيِّها حَدَثانا

- لم يكن الأستاذ شاعرًا، لكنه كان يحفظ الكثير من أجمل الشعر، ويتذوقه بعمقٍ يجعل سامعَهُ يشاركه في التذوق.. ولأنه يحب الفكاهة كان يداعبني أحيانًا فيرتجل كلامًا منظومًا، أحضرت له مرة كتابًا طلبه مني. فلما رآه قال من فوره:

يا أيها الرجل المشكور حضرتُهُ
فيما صنعت وما أبديت من همم
جزاك ربِّي عني خيرَ ما جُزِيتْ
أعمالُ مرتقِبٍ للّهِ معتصمِ!

الإنسان

- كانت له أُذُنٌ موسيقية مرهفة. وكان يقول: إن من أبرز نواحي الإعجاز في القرآن موسيقاه الداخلية: فكلماته كلها تفعيلات. وكان في نيته أن يصنف كتابًا في هذا الموضوع.

كان خبيرًا بالموسيقى والأنغام. وخبيرًا أيضًا بأحكام تجويد القرآن. وكان يحب الاستماع إلى المقرئ الشيخ مصطفى إسماعيل المتمكن من القراءات القرآنية ومن الأنغام الموسيقية. فنستمع إليه معًا حين نكون في السيارة. وكان يعلّق أحيانًا فيقول: لقد جار الشيخ قليلاً على الحكم التجويدي تحقيقًا لمتطلبات النغم، وهذا ما لا يفعله المقرئ الشيخ محمد رفعت.

- إن مؤلفات الأستاذ وبحوثه ومحاضراته تشير إلى حبّه الصارم للعربية، وغَيرته الكبرى على مستقبلها، وحماسته في الدفاع عنها والذَّوْد عن حياضها.

ولا شك أن لغة العرب فقدت برحيله في ١٨ أبريل/ نيسان ٢٠٠٢م أحد كبار المنافحين عنها.

جاء في الحديث الشريف (مختصر صحيح مسلم): إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو عِلْمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له.

ولا ريب أن كتاب «الكفاف» من أجلِّ الأعمال التي سوف ينتفع بها العرب والمسلمون وغيرهم.

لقد خسِرتُ برحيله صديقًا له سجايا طيبة كثيرة منها: الصدق والاستقامة، واللطف، والتواضع، وكرم النفس واليد، وشدة الحساسية، وصرامة المنطق، والوفاء.

رحم الله يوسف الصيداوي، وأجزل له الجزاء عما قدَّم لأمته.



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٣١) المحرم ١٤٢٥هـ/ مارس٢٠٠٤م.

الفائز الأول: عبدالقادر جنان ـ الدار البيضاء ـ المغرب.
الفائز الثاني: محمد علي النائب ـ صنعاء ـ اليمن.
الفائز الثالث: عبده مصطفى الدهشان ـ محافظة الغربية ـ مصر.
الفائز الرابع: سناء خالد سلامة ـ عمان ـ الأردن
الفائز الخامس: صالحة حسين العلي ـ حلب ـ سورية.
الفائز السادس: مهند محمد عبدالله داود ـ جدة ـ السعودية.
الفائز السابع: سناء ناصر سليمان ـ الجهراء ـ الكويت.
الفائز الثامن: رشيد الصكلبي ـ خنيس ـ تونس.

حل مسابقة العدد (٣٣١)

١ـ تعدو الذئاب على من لا كلاب له
وتتقي مربض المستثفر الحامي
قائل البيت هو: النابغة الذبياني.

٢ـ الشاهنامة: ملحمة فارسية كتبها الفردوسي عن تاريخ فارس.

٣ـ تاسيتوس: واحد من أعظم المؤرخين الرومان.

٤ـ توكونوما: كوة في البيت الياباني توضع فيها أزهار منسقة.

٥ـ وادي الملكات: جبانة تضم مقابر الملكات زوجات الفراعنة.

أسئلة مسابقة العدد (٣٣٤)

ضع علامة ☑ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت: إذا خفق البرق من حبهم   أرقت وبت حليف السهاد
- ☐ عنترة بن شداد
- ☐ جميل بثينة.

(٢) خواطر مصرحة:
- ☐ كتاب ألفه محمد حسن عواد
- ☐ ديوان شعر من تأليف طاهر زمخشري.

(٣) سيرجي رخمانينوف:
- ☐ روائي روسي بدأ حياته راهبًا، ثم انصرف إلى كتابة الرواية
- ☐ مؤلف موسيقي روسي اتسمت آثاره بطابع قومي رومانتيكي تغلب عليه الكآبة.

(٤) فيستا:
- ☐ ربة نار الموقد عند الرومان
- ☐ عشب عطري الجذور استخدم لمعالجة الأسنان في القرون الوسطى.

(٥) التيتانية:
- ☐ الروح المميزة للتيتان، وبخاصة الثورة على الأعراف الاجتماعية والفنية
- ☐ مقطوعة موسيقية مُعدَّة لإظهار العزف على البيانو أو الأرغن.

الاسم: ________ المدينة: ________ ص.ب: ________ هاتف: ________

العنوان: ________ الدولة: ________ الرمز البريدي: ________ ناسوخ: ________

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

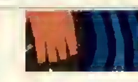
ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي



- نشاط ثقافي مكثف لمركز الملك فيصل
- العولمة وأولويات التربية في جامعة الملك سعود
- ترجمة غجرية لمعاني القرآن الكريم
- رحيل العريفي والآسفي ومحمود مرسي

●● خاتمة المطاف: المعرفة والإبداع بين القلم والحاسوب



مزاد عالمي في الرياض

رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض في ٣٠ من ربيع الأول ١٤٢٥هـ (الموافق ٩ مايو/أيار ٢٠٠٤م) افتتاح «مزاد الحضارة» الذي نظمته جمعية الأطفال المعاقين، وذلك في قاعة الأمير سلطان بن عبدالعزيز بفندق الفيصلية، بحضور صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبدالعزيز الأمين العام لهيئة السياحة رئيس مجلس إدارة جمعية الأطفال المعاقين ورئيس اللجنة المنظمة للمزاد، ويعد هذا أول مزاد من نوعه يقام بالعاصمة الرياض للتحف والمقتنيات التاريخية الإسلامية والأوربية. وحضر الاحتفال نخبة من المهتمين باقتناء التحف والأعمال الفنية والتراثية من المملكة ودول الخليج.

وقد ضم المعرض ١٧٦ قطعة فنية نادرة تم تقسيمها إلى ١١٠ مجموعات، منها مصاحف مخطوطة بعضها يعود إلى القرن الثامن الهجري، وهناك ٥٧ قطعة من المعادن الإسلامية قسمت إلى ٣٨ مجموعة أبرزها مبخرة من البرونز على هيئة أسد تعود إلى العصر السلجوقي، وتؤرخ للقرن السادس الهجري، أما المجموعة الخزفية فتعد من أبرز قطع المزاد، إذ إنها تتكون من ٢٤ قطعة منوعة.

كذلك احتوت مجموعات المزاد على عدد من الأواني الزجاجية وبعض القطع الخشبية، منها صندوق خشبي أندلسي تزينه الزخارف النباتية المفرغة، ويؤرخ للقرن الثامن الهجري، بالإضافة إلى قطعة من ستار الكعبة، وعدد من سجاد الصلاة التركي، ومجموعة من الفن الإسلامي، ويحتوي المزاد على (٨) قطع من الخزف الإسلامي الأوربي، و(٣٠) قطعة من الزجاج الإسلامي.

وقد تجاوزت قيمة مبيعات المزاد في أول أيامه مليونًا ونصف المليون ريال بواقع ١٣ قطعة أثرية، وكان الأمير سلمان قد تبرع بهديته المهداة له من قبل جمعية المعاقين إلى المزاد، وهي سيف تاريخي، وقام بشرائها بمبلغ مئتي ألف ريال.

وجاء مصباحان من الأوبالين الزهري طراز نابليون الثالث، يعودان إلى القرن التاسع عشر الميلادي، على رأس أغلى المبيعات، إذ بلغ سعرهما ٤٢ ألف ريال، واحتل إبريقان من الفخار بزخارف هندسية ونباتية بارزة تزين كامل بدني الإبريقين يعود مصدرهما إلى إيران في الفترة السلجوقية (القرن ٧ هـ/١١م)، قائمة أرخص القطع الأثرية التي بيعت في المزاد.



الأمير سلمان بن عبد العزيز

ويهدف هذا المعرض إلى تنمية موارد العمل الخيري في المملكة، إذ يعود جزء من ريعه إلى جمعية الأطفال المعاقين، بالإضافة إلى أنها فرصة لاقتناء قطع ومقتنيات فنية نادرة تجسد جوانب مشرقة من الحضارة الإسلامية بوجه خاص والموروث الفني والثقافي الإنساني بوجه عام.

الندوة الثانية لحقوق الملكية الفكرية

تحت رعاية معالي وزير الثقافة والإعلام الدكتور فؤاد بن عبدالسلام الفارسي تم في الثامن من ربيع الأول ١٤٢٥هـ (الموافق ٢٧ أبريل/نيسان ٢٠٠٤م) افتتاح حفل وفعاليات الندوة الثانية لحقوق الملكية الفكرية بعنوان «نظام حماية حقوق المؤلف الجديد وآثاره على التصنيع الثقافي» التي أقامتها وزارة الثقافة والإعلام بمركز الملك فهد الثقافي بمدينة الرياض.

وقدمت خلال الندوة عدد من المحاضرات منها: «تعريف بالتصنيع الثقافي» قدمها الدكتور عبدالكريم بن عبدالرحمن الزيد، و«تعريف بنظام حماية حقوق المؤلف الجديد وعلاقته بالتصنيع الثقافي» قدمها الأستاذ عبيدالله بن محمد العبيدالله، و«أثر النظام الجديد في صناعة النشر» للدكتور إبراهيم القعيد، و«أثر نظام حماية حقوق المؤلف الجديد على صناعة البرمجيات والنشر بواسطة شبكة المعلومات» للدكتور عبدالقادر بن عبداللطيف الفنتوخ، و«نظام حماية حقوق المؤلف الجديد وعلاقته بوسائل الإنتاج الفني»، للدكتور عبدالمحسن بن يوسف العصيمي، و«الفنون التشكيلية وعلاقتها بنظام حماية حقوق المؤلف» للدكتور محمد بن صالح الرصيِّص.

وقد أصدرت الندوة في ختام أعمالها عددًا من التوصيات.

رحيل محمود مرسي

توفي في القاهرة في الخامس والعشرين من أبريل/نيسان الماضي الفنان المصري محمود مرسي عن عمر يناهز ٨١ عامًا بعد صراع مع المرض استمر مدة عامين.

ولد مرسي في محافظة الإسكندرية في ٧ يونيو/حزيران عام ١٩٢٣م، وتخرج في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية، وبدأ مشواره الفني مبكرًا منذ أيام الدراسة، وسافر إلى باريس ودرس الإخراج السينمائي مدة عامين على حسابه بعد أن باع نصيبه في عمارة في الإسكندرية ورثها عن أمه، إلا أن الظروف التي تعرض لها هناك أجبرته على العمل مذيعًا في القسم العربي في الإذاعة الفرنسية حتى يستعين بما يتقاضاه منها على إكمال دراسته، ولكن الظروف السياسية تدخلت مرة أخرى، فبعد تأميم مصر لقناة السويس عام ١٩٥٦م قامت الإذاعة الفرنسية بفصله من العمل بل وترحيله عن البلاد، فذهب إلى لندن والتحق بالقسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي)، وعند وقوع العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م، تقدم مرسي باستقالته من الإذاعة البريطانية، ورجع إلى مصر، والتحق بالإذاعة المصرية، وصار مخرجًا للتمثيليات قبل أن تختطفه السينما ليصبح أحد نجومها خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي.

شارك الفنان الراحل في عدد كبير من الأفلام من أشهرها: «أنا الهارب»، و«السمان والخريف»، و«زوجتي والكلب»، و«شيء من الخوف»، و«أبناء الصمت»، و«حد السيف»، بالإضافة إلى عدد كبير أيضًا من المسلسلات التلفازية، حتى في أيامه الأخيرة كان يشارك في تصوير مسلسل جديد بعنوان «وهج الصيف» من تأليف أسامة أنور عكاشة الذي ارتبط معه الراحل بعدد كبير من الأعمال المميزة، وقد أنجز نحو ٥٠٪ من المسلسل.

نال مرسي عددًا من الجوائز التقديرية منها: جائزة أحسن ممثل عن دوره في فيلم «شيء من الخوف»، والجائزة الأولى عن دوره في فيلم «الليلة الأخيرة»، والجائزة التقديرية للفنون في عام ٢٠٠٠م.

وفاة الكاتب فهد العريفي

انتقل إلى رحمة الله في الحادي عشر من مايو/أيار ٢٠٠٤م في مدينة الرياض الشيخ فهد العلي العريفي عضو مجلس الإدارة والمدير العام السابق لمؤسسة اليمامة الصحفية والكاتب المعروف عن عمر يناهز ٧٥ عامًا بعد معاناة طويلة مع المرض.

ولد العريفي في مدينة حائل سنة ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م، ودرس المرحلتين الابتدائية والثانوية في حائل، ثم التحق بكلية الآداب بجامعة الملك سعود، ودرس حتى السنة الثالثة في قسم الجغرافيا، وترك الدراسة لظروف خاصة.

بدأ حياته تاجرًا صغيرًا لكنه ترك التجارة للعمل الوظيفي ملتحقًا بوزارة الزراعة، ثم بوزارة الداخلية متقلدًا فيها منصب مدير العلاقات العامة سنة ١٣٨٣هـ، وتولى في الوقت نفسه تحرير مجلة «حماة الأمن» التي تصدر عن وزارة الداخلية، ثم ترك الوظيفة واتجه صوب العمل الحر، وهو عضو مؤسس منذ سنة ١٤٠٤هـ في مؤسسة اليمامة الصحفية بالرياض، التي تصدر عنها صحف الرياض والرياض ديلي، ومجلة اليمامة حتى استقال سنة ١٤١٦هـ. وهو عضو كذلك في عدد كبير من الجمعيات الشركات، والمؤسسات، والأندية الأدبية والثقافية والرياضية.

وقد عمل الفقيد مراسلاً لصحيفة «المدينة»، ولصحف محلية مثل «حراء» بمكة المكرمة، كما مارس الكتابة الصحفية منذ سنة ١٣٧٠هـ، وكتب في عدد من المطبوعات منها: «مجلة اليمامة»، وصحيفتي «الجزيرة»، و«المدينة»، وكان يوقع مقالاته تحت اسم «فهد الحائلي»، ومن مؤلفاته: «من وراء الحدود»، و«في أدب الرحلات»، و«لمحات من منطقة حائل».





العولمة وأولويات التربية

نظمت كلية التربية بجامعة الملك سعود في الفترة من ١ إلى ٣ ربيع الأول ١٤٢٥هـ (الموافق من ٢٠ إلى ٢٢ أبريل/نيسان ٢٠٠٤م) ندوة بعنوان «العولمة وأولويات التربية»، برعاية معالي وزير التعليم العالي الدكتور خالد بن محمد العنقري، وحضور معالي الدكتور عبدالله بن محمد الفيصل مدير جامعة الملك سعود، وقد بلغت الأعمال المقدمة إلى الندوة أكثر من ثمانين بحثًا وورقة عمل، عرض منها أربعة وأربعون بحثًا وورقة عمل، بالإضافة إلى حلقة نقاش حول «الأولويات التربوية في عصر العولمة»، شارك فيها معالي الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ومعالي الدكتور حمود بن عبدالعزيز البدر الأمين العام لمجلس الشورى، ومعالي الشيخ الدكتور عبدالله بن صالح العبيد رئيس اللجنة الوطنية لحقوق الإنسان، وسعادة الدكتور صالح بن سليمان الوهيبي الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي، وأدار هذه الحلقة معالي الدكتور عبدالله بن محمد الفيصل مدير الجامعة. وقد جاءت الندوة متزامنة مع الاجتماع السادس لعمداء كليات التربية في العالم العربي، وحضرها عدد من العلماء والباحثين ورجال التربية العرب والأجانب.

ودارت بحوث وأوراق عمل الندوة تحت عدة محاور منها: «الهوية الإسلامية في ظل العولمة»، و«الثابت والمتغير في قضايا المناهج»، و«المدرسة وتوطين المعلوماتية في عصر العولمة»، و«أهداف التربية وفلسفتها في ظل العولمة»، و«العولمة وتغير أدوار المعلم والمتعلم»، و«العولمة والتنوع التربوي والثقافي»، و«أدوار المؤسسة التعليمية ومتغيراتها في ظل العولمة»، و«النظم التعليمية وتحديات العولمة». وفي ضوء ما تم عرضه من بحوث ودراسات وأوراق عمل، وبناء على ما تم من مناقشات في الندوة خرجت الندوة بعدد من التوصيات:

- توصيات تتعلق بالهوية الإسلامية في ظل العولمة:

ومن أهمها: التزام الإسلام إطارًا مرجعيًا لثقافة الأمة يحقق التحصين الكامل ويحول دون الاختراق، وعدم التفريط في خصوصيات أمتنا العربية والإسلامية المتمثلة في الدين، واللغة، والتاريخ، والعادات والتقاليد الإيجابية، ورفض الهيمنة الثقافية الأجنبية وتعزيز هوية الأمة، والسعي إلى إبراز عالمية الإسلام في أخلاقه وقيمه، والعمل على دفع الشبهات عنه.

- الثابت والمتغير في قضايا المناهج:

ومن أهمها: تطوير المناهج التعليمية لمساعدة الطلاب على

جائزة البابطين للإبداع الشعري

اعتمد مجلس أمناء مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين في اجتماعه السادس والعشرين برئاسة عبدالعزيز سعود البابطين نتائج التحكيم لفروع الجائزة الثلاثة وهي: الإبداع في مجال نقد الشعر، وأفضل ديوان، وأفضل قصيدة، وقرر منح جوائز الدورة التاسعة للمؤسسة (دورة ابن زيدون) على النحو الآتي:

ففي مجال نقد الشعر فاز الناقد الدكتور أحمد درويش (من مصر) من بين سبعة وعشرين ناقدًا تقدموا لنيل هذه الجائزة، عن مجموعة أعماله النقدية: أربعة كتب، ثلاثة كتب منها من تأليفه والرابع مترجم، والكتب هي: «متعة تذوق الشعر»، و«في النقد التحليلي للقصيدة المعاصرة»، و«في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني وعبدالقادر الجزائري»، و«النظرية الشعرية» مترجم. وتبلغ قيمة هذه الجائزة أربعين ألف دولار مع شهادة تقدير.

وكانت جائزة أفضل ديوان من نصيب الشاعر رابح

فهم أكبر للعولمة وكيفية التعامل معها، وتنمية التفكير الناقد من خلال المناهج الدراسية لتحقيق التفاعل الإيجابي مع ثقافات الآخرين قبولاً أو رفضًا، وتأكيد المناهج الدراسية على مفاهيم التعلم الذاتي ودعم إجراءاته من خلال التركيز في الطالب والاهتمام بدوره الفعّال ومشاركته المباشرة في التعليم، وإعطاء مساحة مناسبة من مناهجنا الدراسية، وفي مختلف التخصصات، لدراسة التاريخ والفكر الإنساني بصفة عامة والعربي الإسلامي بصفة خاصة، وذلك بممارسة أسلوب الحوار والعقلية الناقدة النافذة، وتطوير المناهج الدراسية بحيث تكون قادرة على مواجهة جميع أساليب التشويه المعرفي والتاريخي إزاء الحقوق المادية والمعنوية، والعمل على محو الأمية التكنولوجية لطلاب التعليم العالي.

- التربية وفلسفتها في ظل العولمة:

ومن أهمها: العمل على ترسيخ فكرة أن الإسلام نظام حياة شامل، واستيعاب التربية لمفاهيم العولمة واتجاهاتها الإيجابية، وتوظيف كل ذلك لبناء نظام تربوي متطور يمتلك مقومات المرونة والمنافسة على الساحة الدولية، والتحول من ثقافة الحتمية التكنولوجية إلى ثقافة الخيار التكنولوجي، وبما يضمن توظيف التكنولوجيا لمصلحة الإنسانية، وضرورة إعداد برنامج تعليمي متكامل من أجل إعداد المتعلم في التعليم العام لمواجهة مطالب الحياة في عصر العولمة.

- أدوار المعلم والمتعلم في عصر العولمة:

ومن أهمها: إعداد المعلمين وتدريبهم المستمر لمواجهة التحديات بمختلف أشكالها وغرس القيم العربية الإسلامية، وروح الشورى في نفوسهم ونفوس الطلاب وتجسيدها سلوكًا حقيقيًا في حياتهم اليومية تحقيقًا للأهداف السامية للتربية العربية الإسلامية، وإعادة النظر في المنظومة التربوية وبخاصة المعلم لزيادة وعيه الثقافي وإعادة إعداده ليتناسب مع متغيرات عصر العولمة، وإعادة النظر في الدور الحضاري للمعلم فقد بات ذلك من الواجبات الكبرى للقيادات التعليمية والتربوية والاجتماعية والسياسية بصورة عامة.

- أدوار المؤسسة التعليمية ومتغيراتها في ظل العولمة:

ومن أهمها: ضرورة توفير الخدمات التي تقدمها تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات بالفصول الدراسية مما يتطلب معه إعادة تنظيم قاعات الدراسة والمكتبات وتجهيزها بحيث تتيح الفرص أمام الطلاب للاستفادة من تلك الخدمات في دراستهم، وتبني إستراتيجية بعيدة المدى لتطوير المدرسة تنطلق من تحليلات دقيقة ومن فهم لمتطلبات مجتمع المعرفة والمعلومات يشارك في صياغتها مختلف أطراف العملية التربوية ومؤسسات المجتمع ذات العلاقة تعتمد على إعادة هيكلة البنية المعرفية للمدرسة ووسائل إيصالها، ويرتبط تطويرها باعتماد التقنيات والوسائط والبرمجيات الحاسوبية، وتطبيق إستراتيجية التعليم الشامل في المدارس كإستراتيجية تربوية في مواجهة تأثيرات العولمة في العصر الحديث، وضرورة توحيد المرجعية للمؤسسة التربوية والإعلامية بما يضمن عدم التناقض في الرسالة التي تقدمها المؤسستان، وتأكيد دور مؤسسات المجتمع المدني في تحصين الشباب ضد آثار العولمة، وضرورة الاستفادة من فرص العولمة علميًا وتقنيًا في تحسين أوضاعنا الدنيوية.

لطفي جمعة (من مصر) من بين مئة وثمانية وخمسين شاعرًا تقدموا لنيل هذه الجائزة التي تبلغ قيمتها عشرين ألف دولار مع شهادة تقديرية، عن ديوانه «لذكراك» الذي يعد الثالث في بابه الذي يخصصه صاحبه لرثاء زوجته، بعد ديواني عزيز أباظة «أنات حائرة» (١٨٩٨ - ١٩٧٣م)، وعبدالرحمن صدقي «من وحي المرأة» (١٨٩٦ - ١٩٧١م)، ويضم هذا الديوان إحدى وثلاثين قصيدة: في ما يقارب ألف بيت، جاءت كلها وفق النظام العمودي للشعر، وقد انتقل هذا الشاعر إلى رحاب الله بعد أن تقدم للجائزة بأسبوعين.

وتقاسم جائزة أفضل قصيدة الشاعران: عبدالرحمن بو علي (من المغرب) عن قصيدته «تحولات يوسف المغربي» وسيد يوسف أحمد (من مصر) فقد حاز أيضًا على جائزة أفضل قصيدة عن قصيدته «موشح رعي الجمال».

وقد بلغ عدد القصائد المشاركة في المنافسة لنيل هذه الجائزة، التي تبلغ قيمتها عشرة آلاف دولار مع شهادة تقدير وميدالية - مئتين وأربع قصائد.

المتحف العراقي تحت الجرد

صرح مدير المتاحف في العراق دوني جورج أن: «أحدث عملية جرد لمتحف بغداد أشارت إلى أن أكثر من ١٥ ألف قطعة أثرية من نحو ٦٠٠ ألف قطعة كانت موجودة فيه ما زالت مفقودة»، وقدر المدير أن هذا العدد مرشح للزيادة، لأن عمليات جرد محتويات مخازن المتحف ما زالت مستمرة.

وكشف المدير أن القطع الأساسية والكنوز كانت قد حفظت قبل سقوط بغداد في سراديب آمنة أسفل المتحف، وأكد أن كل القطع الأثرية التي سرقت أو التي أتلفت تعد خسارة لا يمكن تعويضها.

وأضاف دوني جورج: «أن المعلومات تؤكد أن أكثر من ألف قطعة ضبطت في الولايات المتحدة»، وأشار إلى أن الاتصالات تجرى حاليًا لاسترجاعها من هناك. وأكد: «لدينا معلومات تشير إلى أن نحو ٥٠٠ قطعة انتهى بها الأمر في فرنسا، و٢٥٠ في سويسرا، و١٠٠ في إيطاليا».

كذلك أعلن النحات العراقي محمد غني حكمت أن لجنة عراقية معنية بالآثار والتراث والفنون تجري اتصالات مع دوائر الآثار في عدد من الدول العربية وأثرياء عرب من أجل استعادة الآثار التي سرقت من العراق، وقال حكمت لصحيفة الشرق الأوسط: إن بعض رجال الأعمال والأثرياء في السعودية والإمارات العربية قد تجاوبوا مع اللجنة وأعادوا عددًا من اللوحات النادرة من دون مقابل عندما عرفوا أنها تعود إلى التراث والحضارة العراقيين، موضحًا أن اللجنة تقوم بشراء بعض اللوحات أو المقتنيات الأثرية المعروضة في الأسواق العربية، وأنها ستوسع نشاطها لتشمل الدول الأوربية والأمريكية وشرق آسيا.

من ناحية أخرى، قال مدير دائرة الآثار الأردنية فواز الخريشة إن الأجهزة الأردنية تحتفظ بأكثر من ٧٠٠ قطعة أثرية عراقية ضبطتها أجهزة الجمارك والأمن العام والمخابرات العامة والأمن العسكري. وأوضح أن هذه القطع الأثرية التي ضبطت في «قضايا مختلفة»، قد تضاف إليها القطع التي ستضبط لاحقًا، وأن هذه القطع «محفوظة حسب الطرق العلمية وموثقة توثيقًا علميًا وجاهزة للتسليم حين يطلبها الأشقاء العراقيون».

وأشار الخريشة إلى أن الدائرة «سلمت نسخة من شريط مدمج يحوي صورًا من هذه القطع إلى الجهات المختصة في العراق»، التي تعنى بعملية صيانة الآثار، موضحًا أن الأردن «سبق وأعاد ألف قطعة أثرية» ضبطت على أراضيه إلى العراق.



رحيل الشاعر محمد الآسفي

توفي في الرباط في الثامن من مايو/أيار الماضي الشاعر المغربي محمد الوديع الآسفي عن عمر يناهز ٨١ عامًا بعد صراع مرير مع المرض. وقد نعته الجهات المغربية الرسمية والشعبية كافة، وعلى رأسها العاهل المغربي الملك محمد السادس الذي أبرق إلى أسرة الشاعر الراحل معزيًا في فقدانه، كما نعاه حسن نجمي رئيس اتحاد كتاب المغرب الذي عدّ وفاته خسارة على الحركة الثقافية والأدبية في المغرب.

بدأ محمد الوديع دراساته الأولى في إطار التعليم الحر المرتبط بالحركة الوطنية على يد الشيخ محمد الكانوني بمدينة آسفي عاصمة إقليم عبدة الفلاحي، ثم تابع على يد محمد

مختار السوسي بمدينة مراكش، وحصل على الشهادة الثانوية عام ١٩٤٣م، والتحق بعدها بجامعة القرويين في فاس، ولكن قبض عليه إبان الأحداث التي صاحبت تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال، وحكم عليه بالسجن عامين. كما حرم من متابعة دراسته الجامعية، فالتحق بمدرسة النهضة الإسلامية بمدينة مكناس أستاذًا بها.

بدأ الشاعر الراحل النشر مبكرًا في مجلة «الثقافة المغربية» عام ١٩٤٢م، وتوالت إسهاماته في مجلة «الأديب» والصحف المغربية الأخرى: «العلم»، و«التحرير»، و«المحرر»، و«البلاغ»، و«المغرب»، و«الاتحاد الاشتراكي»، كما شغل منصب مدير صحيفة «فلسطين» خلال الفترة ما بين أكتوبر ١٩٦٨م و مايو ١٩٧١م.

وقد ترك الآسفي عددًا كبيرًا من الآثار الأدبية من أهمها: «الجرح العنيد» وهو ديوان شعر صدر عام ١٩٧٩م، و«من معالم الطريق .. عبدالعزيز الماسي» ١٩٨٢م، و«منطقة آيت عمران .. ملحمة البطولة» ١٩٨٢م، و«ديوان الأرض» وهو ديوان شعر صدر عام ١٩٨٣م، و«السلفي المناضل الشيخ محمد العربي العلوي» ١٩٨٦م، و«عمر بن جلون .. الإنسان المتفتح كما عرفته» ١٩٩٢م.

صورة جديدة للفرعون

اكتشفت بعثة أثرية إسبانية مؤخرًا في منطقة الأقصر في الجنوب المصري رسمًا يظهر أحد فراعنة مصر القديمة بوجهه الأمامي، وهو أمر لم يحدث من قبل في كل الاكتشافات التي تمت في حقل الحضارة الفرعونية، إذ لم ير من قبل وجه أمامي لأي فرعون مصري إلا في التماثيل.

ويعود هذا الرسم الذي يظهر الوجه الأمامي للفرعون مرسومًا بآلة حادة استخدم معها الرسام حبرًا أو مادة كالجص اللزج ملونة بالسواد على لوح من الخشب عرضه ٣١ بارتفاع ٥٠ سم، إلى أحد أهم فراعنة مصر تحتمس الثالث الذي أسس إمبراطورية ضخمة امتدت رقعتها من الفرات إلى النيل إبان القرن الخامس عشر قبل الميلاد.

وقد جاء إعلان هذا الاكتشاف على لسان خوسيه مانويل غالان، المشرف على البعثة الإسبانية للتنقيب عن الآثار هناك، الذي صرح بأنه عثر على لوحة خشبية رسمها فنان مصري قبل ٣٥ قرنًا لتحتمس الثالث، أو ربما يكون الرسم لوجه الملكة حتشبسوت.

إسرائيل و"كُتّاب الحدود"

تعرض فيلم «كُتّاب الحدود» في أول عرض له في باريس لهجوم شديد من قبل الأطراف المؤيدة لإسرائيل في فرنسا، وقد شهدت قاعة العرض نقاشًا شارك فيه، مع الجمهور، عدد من الباحثين والمؤرخين والفنانين والكُتّاب من مدارس فكرية مختلفة.

ويتتبع الفيلم على مدى ساعة ونصف الساعة خطا ثمانية من الكُتّاب الدوليين الذين زاروا الأراضي الفلسطينية، وتحديدًا رام الله في الضفة الغربية حيث كان الشاعر محمود درويش محاصرًا في مارس/ آذار عام ٢٠٠٢م، وانتهوا إلى المطالبة بقوة دولية لحماية الشعب الفلسطيني.

وينتمي جميع الكُتّاب الذين شاركوا في المسيرة إلى الاتحاد الدولي للكتاب الذي كان محمود درويش من أعضائه المؤسسين، وقد رافق وفد الكُتّاب الثمانية وهم: الفرنسي كريستيان سالمون، والأمريكي راسل باكز، والنيجيري حامل نوبل ويل سوينكا، والبرتغالي خوزيه ساراماغو، والصيني بي داو، والجنوب إفريقي بريتن برايتنباخ، والإسباني خوان غويتسيلو، والإيطالي فانسين كونسولو، في رحلتهم إلى الأراضي المقدسة كل من المؤرخ الفلسطيني إلياس صنبر، وممثلة السلطة الفلسطينية في باريس ليلى شهيد.

وقد سعى الكُتّاب من خلال هذا التحرك إلى إظهار تضامنهم مع درويش، وأيضًا مع الشعب الفلسطيني، من خلال الكلمة، ووجودهم مع هذا الشعب على أرضه والشهادة على واقعه. وعبر معارضتهم الصارخة لأعمال العنف التي كانوا شهودًا عليها في المدن والمخيمات.

وقد نشرت قصة هذا الفيلم في كتاب بعنوان «رحلة إلى فلسطين» صدر بالفرنسية ولغات أخرى.

الملتقى الدولي الرابع للأدب الإسلامي

نظم الملتقى الدولي الرابع للأدب الإسلامي بالتعاون بين رابطة الأدب الإسلامي العالمية، والمكتب الإقليمي في المغرب، وجامعة سيدي محمد بن عبدالله. كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز ـ فاس، دورة في «أدب الحركة الإصلاحية: مفاهيم وقضايا»، دورة علال الفاسي، وذلك أيام ٢٦ و٢٧ و٢٨ من المحرم ١٤٢٥هـ (الموافق ١٨ و١٩ و٢٠من مارس/آذار ٢٠٠٤م).

واشتملت الدورة على إحدى عشرة جلسة، شارك فيها أدباء وشعراء ونقاد وباحثون من مختلف الجامعات من المغرب والجزائر وليبيا ومصر والسودان وسورية والأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وفلسطين وقطر وباكستان وبنجلاديش وتركيا وماليزيا. وعالجت البحوث والعروض المقدمة خلال الملتقى موضوعات شائقة ومتنوعة ضمن ثمانية محاور هي: «تحديد المفاهيم»، و«أدب الإصلاح»، و«شعر الإصلاح»، و«من أعلام أدب الإصلاح»، و«من أعلام شعر الإصلاح»، و«الإصلاح والنقد»، و«علال الفاسي المصلح»، و«علال الفاسي الأديب».

وقد تخللت الجلسات قراءات شعرية متنوعة، وأعلن خلال الملتقى عن نتائج مسابقة الأدباء الشباب التي دأب على تنظيمها المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في المغرب.

وقد شهد الملتقى تفاعلاً إيجابيًا بين مختلف المشاركين، عرضًا وتحاورًا ونقاشًا، أتاح الفرصة لتبادل الرأي في مختلف القضايا المرتبطة براهن الأمة، وخاصة المتصلة منها بالأدب الإسلامي وقضاياه، وكانت القضية المركزية في هذا التفاعل هي أدب الحركة الإصلاحية من حيث المفاهيم والموضوعات والنماذج والشخصيات والمؤثرات، ومن أبرز الشخصيات التي تم تناولها بالدرس والتحليل شخصيات الشيخ الإمام محمد عبده، وبديع الزمان النورسي، ومحمد البشير الإبراهيمي، وأبي الحسن الندوي، ومحمد الغزالي، وعبدالله كنون؛ وخص المفكر المصلح الأديب الشاعر محمد علال الفاسي الذي اتخذ شعارًا لهذه الدورة بجلستين كاملتين اشتملتا على بحوث ومناقشات

برنامج حافل لمركز الملك فيصل

استضاف مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الفترة الماضية عددًا من المحاضرات العلمية والثقافية والتاريخية، ضمن أنشطته الثقافية لهذا الموسم، وكانت أولى هذه المحاضرات بعنوان «الدعوة الإسلامية في إفريقية»، في اليوم الأول من صفر ١٤٢٥هـ (الموافق ٢٢ مارس/آذار ٢٠٠٤م)، ألقاها المشير عبدالرحمن محمد حسن سوارالذهب رئيس جمهورية السودان الأسبق، رئيس مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية، الحائز على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام للعام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

وقدّم المحاضر وصفًا للمشهد العام لإفريقية بعد الاستقلال، وأوضاع المسلمين فيها، ودور مؤسسات الدعوة الإسلامية الحديثة في إفريقية، ودور منظمة الدعوة الإسلامية التي أنشئت في مطلع القرن الخامس عشر الهجري، وقدّم كشفًا بالبرامج التي قامت المنظمة بتنفيذها خلال ربع القرن الماضي في مجال التعليم والدعوة، والصحة والرعاية الاجتماعية، والإغاثة.

وتناول المحاضر في التوصيات أهم العوامل التي تشكل جدوى العمل الإسلامي في القارة الإفريقية، وختم بالحديث عن مستقبل الإسلام في إفريقية.

وكانت المحاضرة الثانية بتاريخ ٢ صفر ١٤٢٥هـ (الموافق ٢٤ مارس/آذار ٢٠٠٤م)، بعنوان «العربية والعلوم الحديثة»، ألقاها الدكتور حسين محمد نصار، الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للغة العربية والأدب للعام ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، وأدار الحوار فيها الدكتور محمد بن عبدالرحمن الهدلق.

بدأ المحاضر بالحديث عن المآزق المصيرية الثلاثة التي واجهتها اللغة العربية، فالأول وقع عندما أخرجها الإسلام من جاهلية غنية كل الغنى في الإبداع الأدبي، فقيرة كل الفقر ـ بل مملقة ـ في الإنتاج العلمي، غير ما حصلته من تجاربها الساذجة، ثم ألقى بها



الشيخ محمد الغزالي

حول شخصيته وأدبه ومعالم الإصلاح في كتاباته.

وأسفرت الجلسات واللقاءات والمشاورات التي تمت بين فعاليات هذا الملتقى عن عدد من التوصيات منها:

- بذل المزيد من الجهود لدعم الأدب الإسلامي طباعة ونشرًا وتوزيعًا وتعريفًا، عن طريق تنظيم الندوات والمعارض والإهداءات، ولفت أنظار الطلبة الباحثين إلى الأدب الإسلامي وقضاياه وهمومه وأعلامه، والإسهام والمساعدة في طبع إنتاجات الأدباء ونشرها وتوزيعها.

- العناية بأدب الاطفال نشرًا وتعريفًا، وتشجيع العاملين في مجاله، والمهتمين به.

- يذكر الملتقى بضرورة إقامة مكتبات للأدب الإسلامي في مختلف مكاتب الرابطة وفروعها لدعم جهود الباحثين في الأدب الإسلامي وتسهيل عملهم.

- تنظيم الملتقيات القادمة وفق منهج تقديم شخص واحد لورقة عمل في محور معين، ثم تدور المناقشات والتدخلات حول فحوى تلك الورقة.

- إيلاء أدب القرآن والحديث عناية معينة متميزة بتخصيص ندوات ودورات ومسابقات في الموضوع.

- تنظيم الملتقى الدولي الخامس في مدينة مراكش خلال ربيع سنة ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ويحدد موضوعه وشعاره فيما بعد بما يناسب المرحلة، وغير ذلك من التوصيات التي تصب في مصلحة الأدب الإسلامي وتخدم قضاياه.

في القرنين الثاني والثالث الهجريين - في بحر زاخر من الحضارات والعلوم والفلسفات والفنون وكل صنوف المعرفة.

وكان المأزق الثاني عندما أخذ العرب يفقدون حسهم بأنفسهم، ويستبد بالسلطة فيهم ذوو الأصول غير العربية إلى أن انفرد بها المماليك فالعثمانيون الذين أزاحوا العربية عن سدة الحكم وفرضوا التركية لغة رسمية على البلاد، ولكن العربية خرجت من هذا المأزق بتأمين العرب على أهمية اللغة العربية كأحد المقومات الأساسية لهم.

أما المأزق الثالث الحالي فهو إيمان أجيال عربية بأن من أسباب التأخر عجز اللغة العربية عن التعبير عن هذا التقدم.

وأكد المحاضر أنه لا توجد لغة تعجز عن التعبير، وإنما يوجد بشر يعجزون عن التعبير.

وكانت المحاضرة الثالثة بعنوان «العولمة: شراكة أم استعمار جديد؟»، ألقاها الدكتور إحسان علي بوحليقة عضو مجلس الشورى، بتاريخ ٨ صفر ١٤٢٥هـ (الموافق ٢٩ مارس/آذار ٢٠٠٤م).

بدأ المحاضر بالقول: إن العولمة تعني في الأساس الانفتاح على الآخر انفتاحًا شفافًا. وعند تطبيق هذا الفهم نجد أن اعتبار العولمة عميلاً للرأسمالية الأمريكية هي تهمة في غير محلها لأنها نكصت عن العولمة إلى صيغة تقليدية للاحتلال بقوة السلاح. ومؤخرًا برزت أصوات في الكونجرس الأمريكي تنادي بالتوقف عن «تصدير الوظائف» وهم يقترحون قانونًا لحماية الوظائف الأمريكية للتعامل مع ذلك.

وتناول المحاضر بعد ذلك «العولمة .. اصطلاحًا»، و«بداية العولمة»، و«العولمة والعرب»، و«استثمار العولمة»، و«بين الدوحة وكانكون»، و«مصالح المملكة»، وختم بالحديث عن «مستقبلنا مع العولمة».

وجاءت المحاضرة الرابعة بعنوان «الصينيون والحضارة الإسلامية»، بتاريخ ١٥صفر١٤٢٥هـ (الموافق ٥ أبريل/نيسان٢٠٠٤م)، قدمها الدكتور حمود بن محمد النجيدي، وأدار الحوار الدكتور صالح الصقري.

تحدث المحاضر في «التمهيد» عن أثر التجارة كأهم وسيلة من وسائل نقل المؤثرات الحضارية وتبادلها بين الشعوب. وتناول الجهد الذي بذله

ترجمة غجرية لمعاني القرآن الكريم

فرغ الكاتب الغجري المسلم مجرم سربوزفسكي من وضع أول ترجمة غجرية لمعاني القرآن الكريم، وقد وقع سربوزفسكي مؤخرًا اتفاقًا مع دار القلم للنشر في سراييفو لطباعة الترجمة، وقال لصحيفة الشرق الأوسط: «بقيت سبع سنوات ونصف السنة أعد الترجمة، وسنتين ونصف السنة في انتظار طباعتها حتى يسر الله ذلك الآن»، وأضاف: «بعد بضعة أيام سيكون بمقدور أكثر من ١٠٠ مليون غجري حول العالم قراءة القرآن الكريم بلغتهم الأم».

من ناحية أخرى، صرح رئيس العلماء في البوسنة الدكتور مصطفى تسيريتش للصحيفة نفسها بقوله: «لقد ترجمت معاني القرآن الكريم إلى لغات كثيرة، وكل شخص يتطلع إلى القرآن يشعر بجمال معانيه وسمو بلاغته، لكن الترجمة مهما كانت قوتها لا تكون بديلاً عن النص القرآني باللغة العربية التي نزل بها، إلا أن القرآن الكريم يثري تلك اللغة بمعانٍ روحانية جديدة ويبعث فيها الحياة، كما تفعل الشمس عندما تبزغ على الأرض كل يوم»، وأضاف أن: «القرآن الكريم يضيف إلى اللغات التي يترجم إليها معاني ومصطلحات جديدة تدخلها أول مرة، أي أن اللغة التي يترجم إليها القرآن تولد من جديد»، وتابع: «ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الغجرية تدخل هذه اللغة إلى الروحانية القرآنية العالمية، وبالتالي فالغجرية أصبحت لغة روحانية بهذه الترجمة».

جوائز باشراحيل

أعلن عبدالله باشراحيل الأمين العام لمؤسسة «جائزة الشيخ محمد باشراحيل للإبداع الثقافية» أسماء الفائزين بالجائزة لهذا العام، وجاء في كلمته: «في هذه الدورة، وتحقيقًا للهدف الذي يسعى إليه أعضاء مجلس أمناء الجائزة أضيفت ثلاث جوائز استثنائية إلى هذه الدورة؛ إذ كان سابقًا بحسب الإعلان في الصحافة عن جائزة تقديرية واحدة تمنح شخصيًا في أحد المجالات الإنسانية، ونظرًا لهذه التظاهرة الفكرية والثقافية وتشجيعًا لهذه الدورة فقد وافق مجلس أمناء الجائزة

التجار المسلمون في توثيق العلاقات مع الصين وإسهامهم في نشر الإسلام على الرغم مما عرف به الصينيون من توجس وعدم اندفاع لكل ما هو أجنبي بشرًا كان أم فكرًا.

ثم بدأ المحاضر بـ «نبذة عن أوضاع الصين السياسية والحضارية»، ثم تناول «الصلات بين المسلمين والصينيين»، وقدّم «موجزًا عن انتشار الإسلام في الصين»، و«المؤثرات الحضارية المتبادلة» كالتجارة، موضحًا كيف «استفاد المسلمون من صلاتهم مع الصينيين»، والتي تمثلت في تطور الخبرات الملاحية، والمعرفة الجغرافية، ونقل التراث العلمي، ونقل الخبرات الاقتصادية، وأهم عناصرها هو الصناعة، وأهم أثر نقله الصينيون في هذا المجال هو صناعة الورق، والفخار «البورسلين»، والخزفيات، وغيرها. وقد حدثت أهم فترات التأثير الصيني في هذا المجال في الفترة المغولية من تاريخ الصين.

ووصف المحاضر في الخاتمة الحضارتين الإسلامية والصينية بأنهما حضارتا حوار وحكمة، وتعايش وتبادل، لا حضارتا تصادم وصراع وتطاحن، وقد جمع بينهما رؤى طموحة، وقيم مشتركة، ورصيد ضخم من العطاء للبشرية.

وكانت المحاضرة الخامسة بعنوان «البعد الدولي في المنظومة الإسلامية: بحث في الإسلام والعلاقات الدولية»، بتاريخ ٢٢صفر ١٤٢٥هـ (الموافق ١٢أبريل/نيسان ٢٠٠٤م)، ألقاها الدكتور نزار بن عبيد مدني مساعد وزير الخارجية السعودي، وأدار الحوار الدكتور عبدالعزيز بن إبراهيم الفائز.

أوضح المحاضر أن النقطة التي تنطلق منها هذه الدراسة هي النقطة الخاصة بالجانب الشمولي في الإسلام، إذ إن مصدر القوة في الإسلام لا يقتصر على كونه مجرد دين فحسب، فهو منظومة متكاملة تتضمن فيما تتضمنه تنظيمًا دوليًا حضاريًا قادرًا على وضع أسس وقواعد لتنظيم المجتمع الدولي.

وصبّ المحاضر اهتمامه على البعد الخاص بتنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الدول والمجتمعات والأمم، وترتكز على التعامل

على ترشيح أربع شخصيات عالمية أو قومية تمنح لها الجائزة نفسها ومقدارها ثلاثون ألف دولار، وتقرر أن تكون أربع جوائز تقديرية وأربع جوائز تخضع للتحكيم».

عمرو موسى



وقد فاز الأمين العام لجامعة الدول العربية عمرو موسى بجائزة «الشخصية السياسية»، والشاعر أدونيس بجائزة «الشخصية الثقافية»، والشاعر الفلسطيني هارون هاشم رشيد بجائزة «الشخصية الفلسطينية».

وفي مجال الجوائز المحكّمة فاز الشاعر اللبناني شوقي بزيع بجائزة (الشعر) «لما يتجلى في إبداعه من تنوع عميق في التجارب وإمكانيات غنية في التعبير وقدرة على ابتكار الإيقاعات الشعرية المتناغمة»، وفاز الروائي السوري نبيل سليمان بجائزة (الرواية) «لما له من إنتاج إبداعي وفكري خصب تبرز فيه حركة الحياة ونبض التاريخ»، وفازت الباحثة المصرية يمنى طريف الخولي بجائزة (الدراسات الإنسانية والمستقبلية) «لما أنتجت من بحوث علمية معمقة في فلسفة اللوم وتأويل كشوفات العلم المتلاحقة واستثمارها على صعيد الوعي العربي لتوليد أنماط من التفكير والمواقف تقترب من حقيقة المستقبل، وتقوى على تشكيل رؤية تبادلية مفتوحة» ، كما فاز الناقد التونسي محمد لطفي اليوسفي بجائزة (النقد الأدبي).

مع الإسلام كنظام دولي، وعدّد العوامل التي تتوقف عليها إمكانية إعادة الحيوية والفعالية إلى هذا البعد في المنظومة بمعنى قيام الإسلام بدور مؤثر وفعّال كقوة دولية، وربط تحقيق ذلك ببناء فكر سياسي إسلامي يعمل على التوصل إلى موقف موحد.

وكانت المحاضرة السادسة بعنوان «التيارات الفكرية في العالم العربي»، قدمها الدكتور محمد الرجراجي بريش بتاريخ ٢٩ صفر ١٤٢٥هـ (الموافق ١٩ أبريل/نيسان) ، وأدار الحوار الدكتور عبدالرحمن الزنيدي.

وجاءت المحاضرة في أربعة فصول أولها «تحديد المفاهيم»، وكان الفصل الثاني بعنوان «في أصول تعدد التيارات الفكرية»، وجاء الفصل الثالث عن «واقع العالم العربي الراهن» الذي جاء كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم في عدد من الأحاديث الشريفة.

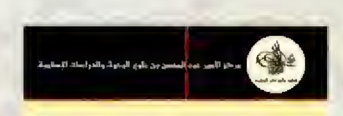
وتحدث المحاضر أيضًا عن «تزايد الضغط الخارجي»، وقال إن النظام الدولي الحالي الضاغط على عالمنا العربي والمكره له على التغيير له عدة خواص، منها: الصياغة المخابراتية لمضمونه، والاختلال في مقاييس ومعايير الشرعة والمنهاج، واعتماد أمكر الأساليب للتفقير، والإسراع في التطور والتغيير.

وجاء آخر فصول المحاضرة عن «أهم التيارات الفكرية السائدة»، وهي أشد تنوعًا، وأكثر عددًا إذا ووزنت بما كان سائدًا قبل قرن من الزمان.

وجاءت المحاضرة السابعة بعنوان «اللغة العربية وتحديات العصر» قدمها الدكتور أحمد بن محمد الضبيب بتاريخ ١٤ ربيع الأول ١٤٢٥هـ (الموافق ٣ مايو/أيار ٢٠٠٤م)، وأدار الحوار الدكتور محمد بن حسن الزير.

بدأ المحاضر بالحديث عن التحديات التي تواجه اللغة العربية، وأجملها في صنفين: تحديات عامة، وتحديات خاصة، وقال إن أهم التحديات العامة التي تواجه اللغة العربية هذه الأيام هي مزاحمة اللغات الأجنبية لها، وما تبع ذلك من قيام واقع لغوي مشوه وضار بالنسبة إلى اللغة العربية.

وقال المحاضر إن التحدي الكبير الذي تواجهه اللغة العربية في هذا العصر هو هذه الهزيمة النفسية التي تتلبس العربي المعاصر فتجعله يشعر بالعجز التام أمام مشكلاته السياسية والاقتصادية.



نحو فقه سديد لواقع أمتنا المعاصر: بحوث ومناقشات الندوة الدولية الافتتاحية ـ الشارقة: مركز الأمير عبدالمحسن بن جلوي للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م، ٢مج، ٨٥٤ص.

هذا الكتاب في الأساس ندوة عقدت في الفترة من ٢٠. ٢١ شعبان ١٤٢٣هـ/ ٢٦. ٧ أكتوبر ٢٠٠٢م، في مدينة الشارقة، شارك فيها نخبة من الأساتذة الأكاديميين والباحثين، وتهدف الندوة إلى رسم معالم الطريق نحو البدء بعملية التغيير الحقيقي والعملي لواقع هذه الأمة، والعمل على انتشالها مما هي فيه. والأخذ بيدها لاستعادة عافيتها؛ وذلك عن طريق فقه الواقع الذي هو السبيل الصحيح إلى التعامل مع هذا الواقع، وتنزيل أحكام الله عليه لتقويمه إنقاذًا للأمة، وصناعة للمستقبل، بتهيئة الناس، وتوجيه اهتماماتهم، وتحديد أهدافهم.

يضم الكتاب بحوثًا علمية، ودراسات جادة مخلصة، تسعى جاهدة إلى إعادة صياغة الواقع وفق أسس شرعية واضحة، وقواعد عقدية سليمة، وفهم صحيح لمعطيات العصر ومتطلباته بعيدًا عن الغلو والتطرف، أو الاستسلام والانهزامية، أو ردود الفعل غير المدروسة.

وجاءت الأوراق المقدمة على النحو الآتي: الجزء الأول ويضم ثلاثة محاور: الأول: الواقع المعاصر بين التشخيص والتحليل، وشارك فيه الدكتور نصر محمد عارف ببحث بعنوان «المحددات العامة للواقع الإسلامي المعاصر»، والدكتور عثمان بن صالح العامر ببحث بعنوان «الحوار بين الذات والآخر: قراءة في واقع العلاقة بين الشرق والغرب»، والمحور الثاني: واقع الأمة الراهن ومتطلبات الفقه فيه، ويضم بحثًا للدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي بعنوان «التجديد في الدين: معالمه وضوابطه»، وبحثًا بعنوان «واقع الأمة السياسي وحاجتها إلى فقه سياسي متجدد»، للدكتور خالد الفهداوي. أما المحور الثالث: حقيقة فقه الواقع وإشكالياته، فقد شارك فيه الدكتور عبدالرحمن بن زيد الزنيدي بورقة بعنوان: «حقيقة فقه الواقع وبعض إشكالياته»، والدكتور الشاهد البو شيخي بورقة بعنوان «فقه واقع الأمة: دراسة في المفهوم والشروط والعوائق».

وكتب الدكتور سيف الدين عبدالفتاح إسماعيل بحثًا بعنوان: «المدخل المقاصدي وفقه الواقع»، والدكتور سامي الصلاحات بحثًا بعنوان: «فقه الواقع من منظور القطع والظن». أما المحور الرابع: مسالك تطبيقية ونموذجية لفقه الواقع، فقد قدم فيه الدكتور أحمد جاب الله بحثًا بعنوان: «مسالك تطبيقية ونموذجية لفقه الواقع (نموذج الوجود الإسلامي في أوربا)» .

وجاء المحور الخامس: عن «مستقبلات واقع الأمة بين الاستجابة لمتطلبات فقهه والنقص في مسالك النهوض به» وشارك فيه الدكتور عزالدين البوشيخي بورقة بعنوان «الواقع والمستقبل: من المفرد إلى الجمع: مساهمة في دراسة واقعنا ومستقبلاته الممكنة».



ابن خالد، محمد بن سعود/ الإنترنت في المملكة العربية السعودية: الانتشار والاستخدامات ـ الرياض: المؤلف ١٤٢٤هـ، ١٥٩ص.

يقول المؤلف: «إن الفجوة العلمية والتكنولوجية بين دول العالم النامية والدول المتقدمة

لا يمكن وصفها إلا بأنها «مفزعة»، وما ذلك إلا بسبب التفاوت الكبير في المستويات التقنية خصوصًا في المجالات الإلكترونية، كما أن الصراع الدولي الراهن يتجه إلى التبلور في أنماط حضارية متقدمة تتفوق فيها الإبداعات العلمية والابتكارات التكنولوجية، ومن هنا كان التحذير الذي تطلقه مراكز الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بضرورة اهتمام القيادات السياسية، والحكومية، العربية والإسلامية بقضية التخلف التكنولوجي، وتدني الإبداعات العلمية فيها، والتي تبرز ضرورة مساهمة العرب والمسلمين في تطوير الحضارة الحديثة التي تعدّ فيها تقنية المعلومات أساسًا للاقتصاديات الحديثة، وتحقيقًا لرفاهية الشعوب».

يسعى هذا الكتاب إلى تقديم بعض المعلومات الأساسية عن نشأة وتطور مجالات استخدام الإنترنت، ويتضمن معلومات عن واقع الإنترنت في العالم العربي، وخصص الجزء الأخير للمملكة العربية السعودية، إذ قدم معلومات أساسية عن تطور استخدام الإنترنت في المملكة العربية السعودية، وقدم عرضًا لنتائج دراسة ميدانية عن انتشار استخدام الإنترنت في المملكة العربية السعودية، وقد ألحق المؤلف عددًا من التشريعات والتنظيمات السياسية المتعلقة بموضوع الكتاب، ويشار إلى أن المؤلف هو صاحب السمو الأمير محمد بن سعود بن خالد السفير في وزارة الخارجية، والمشرف على حركة المعلومات والدراسات في وزارة الخارجية.



صابان، سهيل/ مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز (مكة المكرمة ـ المدينة المنورة) ـ الرياض: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: فرع مؤسسة مكة المكرمة والمدينة المنورة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ٤١١ص.

يقول المؤلف: «إن البحث في وثائق الأرشيف العثماني متعب وشائق في الوقت ذاته، إنه متعب بسبب التعامل مع لغة شبه منقرضة، وعبارات صعبة وتراكيب معقدة، ولكنه شائق بقدر ذلك؛ لأن الباحث يجد ثمرة جهده ودأبه في الحصول على معلومات نادرة وأخبار غائبة عن البال والمخيلة، ويجد عمله القبول لدى أهل التاريخ والمعرفة، ممن يود الحصول على تلك المعلومات القيمة، لكن مشاق السفر وعدم الإلمام بتلك اللغة يقفان حجر عثرة تحول بينه وبين ما يريد تحقيقه من فائدة، وبخاصة إذا كان عدد المتخصصين في وثائق هذا الأرشيف قليلاً بل نادرًا في العالم العربي، الذي كان الأجدر بأهل الاختصاص فيه العكوف على مقتنياته من الوثائق والدفاتر والخرائط، وكل ما يمت إليها بصلة في تاريخه الحافل بالأخبار والنوادر».

وقد قام الباحث بنشر أحد دفاتر العينيات (وهذه الدفاتر تعنى بما كان يكتب من الباب العالي إلى أمراء المناطق الإدارية وقضاتها من مختلف مناطق الدولة العثمانية)، وهو خاص بمراسلات الباب العالي إلى ولايات الحجاز في الفترة من سنة ١٢٨٣هـ/١٨٧٤م.

وقد اختاره المؤلف لكونه يتضمن معلومات مهمة عن أقدس بقاع الأرض وأشرفها مكة المكرمة والمدينة المنورة، واختار هذه الحقبة لكونها قد شهدت عددًا من حركات المقاومة للحكم العثماني في الجزيرة العربية.



سيدو، أمين سليمان/ شيخ الكتبة: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري: حياته آثاره، وما كتب عنه ـ الرياض: نادي الرياض الأدبي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ٢٣٧ص.

يتمحور هذا الكتاب حول الشيخ أبي عبدالرحمن ونتاجه الفكري المنشور، وما كتب عنه وعن نتاجه من بحوث ودراسات في خمسة محاور رئيسة: فالمبحث الأول تناول ترجمة حياته بدءًا من مولده وتعليمه، مرورًا بشيوخه، وسيرته العلمية.

أما المبحث الثاني: آثار أبي عبدالرحمن، فهو حصر بيبلوجرافي لنتاجه من بحوث ودراسات، ومقالات، وحوارات صحفية، سواء نشر هذا المنتج في كتب مستقلة، أو في مجلات دورية، أو في صحف يومية.

والمبحث الثالث: أبو عبدالرحمن في آثار الدارسين، وهو يوثق ما كتب عنه وعن آثاره من دراسات خاصة أو عامة.

والمبحث الرابع: أبو عبدالرحمن في مرآة المثقفين، يختزل آراء بعض المثقفين وانطباعاتهم الفكرية عنه وعن مؤلفاته.

والمبحث الخامس: أبو عبدالرحمن في عيون الشعراء وفيه بعض القصائد الشعرية من الشعر الفصيح، والشعر النبطي في مدح أبي عبدالرحمن وقد بلغ مجموع عناوين المواد التي تم حصرها نحو (١٦٣٣) مادة، و(٩٥) مادة للكتب المؤلفة والمحققة والدواوين الشعرية، منها (٦٥) كتابًا أدبيًا، وتاريخيًا، ودينيًا، وثقافيًا، و(١٩) كتابًا محققًا، و(٥) كتب شارك في تأليفها، ومجموعتان قصصيتان، وثلاثة دواوين شعرية، وكتاب واحد راجعه وعلق عليه، و٤١٧ مادة للبحوث والدراسات المنشورة في الدوريات.

أما مقالاته المنشورة في الصحف اليومية فقد بلغ مجموعها (٨٧٢) مادة، وبلغ عدد الحوارات الصحفية التي أجريت معه نحو ٣١ حوارًا، أما الدراسات المستقلة التي تناولها أبو عبدالرحمن ومؤلفاته فقد بلغت نحو (٢١٨) مادة.

وهناك مواد كثيرة لم تشملها هذه البيبليوجرافيا، مثل المقابلات الأدبية والثقافية العامة التي نشرت في وسائل الإعلام المحلية والعربية من إذاعة وتلفاز وتقديمه لكتب كثيرة، وغير ذلك من المواد.



أبو حجر، آمنة/ موسوعة المدن والقرى الفلسطينية ـ عمان: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م ،٢مج، ١٠٢٣ص.

تقول المؤلفة عن هدف تأليفها هذه الموسوعة: هو بدافع شخصي وطني حتمه عليّ طردي من وطني. وأصبحت مشردة في أصقاع الأرض وفيافيها. وبدافع شعبي متمثلاً في طرد أبناء شعبي من بلادهم، وهم الآن مشردون بلا هوية في بلاد العالم، أما هدفي الأهم فهو مخاطبة الجيل القادم، وهو جيل الأبناء، لأذكرهم بأرضهم ووطنهم الأم، وأهمس في آذانهم بأن أرضكم بكرومها وجوزها ولوزها وبياراتها، وبساتينها تنتظركم، وتتمنى عودتكم، وتناديكم وتقول لكم: لا تنسوا هذه الأرض التي توارثها الأبناء عن الأجداد، وهي شاهد مفلق» .



تتكون هذه الموسوعة من جزأين أساسيين؛ الأول يتناول جغرافية فلسطين من خلال موقعها الجغرافي والحضاري والتاريخي متحدثًا عن تضاريسها الطبيعية المتمثلة في سهولها وأوديتها وجبالها وأنهارها وبحارها.

أما الجزء الثاني فقد جاء لأقسام أقضية فلسطين وما تفرعت عنه هذه الأقضية من مدن وبلدات وقرى وخرب، وهذه الأقضية: قضاء أريحا، وقضاء بيت لحم، وقضاء بئر السبع، وقضاء بيسان، وقضاء جنين، وقضاء حيفا، وقضاء الخليل، وقضاء رام الله، وقضاء الرملة، وقضاء صفد، وقضاء طبرية، وقضاء طولكرم، وقضاء عكا، وقضاء القدس، وقضاء نابلس، وقضاء يافا.

العلي، دردة أحمد / هجرة العقول العربية ـ بيروت: المنارة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م، ٣٢٠ص.

يتناول هذا الكتاب قضية هجرة الأدمغة العربية، التي تعد من أبرز المشكلات التي تواجهها قضية التنمية في الدول العربية، فقد استأثرت ظاهرة هجرة العقول والكفاءات العالية في غضون النصف الثاني من القرن العشرين، باهتمام البلدان المصدرة والبلدان المستوردة، أي الدول النامية والدولة التكنولوجية المتفوقة على حد سواء إزاء ما ينجم عن هذه الظاهرة من خسارة للثروة البشرية العالمية المستوى واللازمة لتحقيق النمو الاقتصادي. ودفع عجلة التعليم وتوفيره للأجيال الصاعدة.

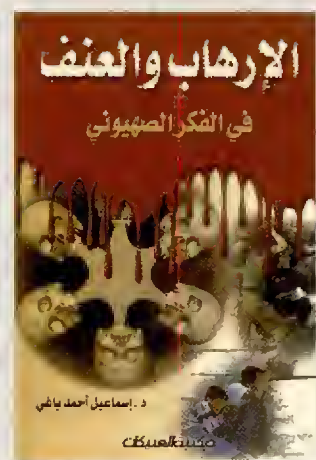
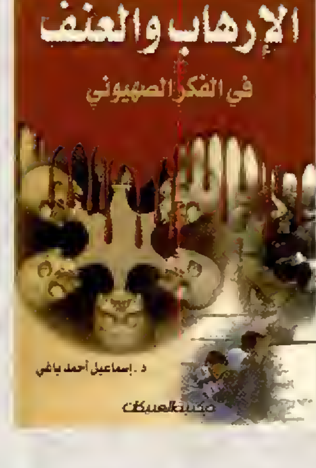
تتناول المؤلفة هذه الموضوعات في خمسة فصول رئيسة: الأول يورد أرقامًا وإحصائيات عن هجرة الأدمغة وأسبابها، ويبين الفصل الثاني دور النظام التعليمي في الوطن العربي في هجرة الكفاءات العربية، أما الفصل الثالث فيؤرخ للاغتراب؛ وفي الفصل الرابع: تبين المؤلفة مدى اهتمامات اليونسكو بهجرة العقول؛ ومشكلات التنمية، والبحث العلمي في الوطن العربي؛ ويناقش الفصل الخامس علاقة المجتمع الدولي العلمي وهجرة الكفاءات.



الظاهري، خالد بن صالح بن ناهض/ دور التربية الإسلامية في مواجهة الإرهاب ـ الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

هذه الدراسة هي رسالة دكتوراه في أصول التربية الإسلامية من جامعة أم القرى بمكة المكرمة في كلية التربية قسم التربية الإسلامية والمقارنة، وتهدف الدراسة إلى التعرف إلى دور التربية الإسلامية في مواجهة الإرهاب من حيث مفهومه، ومصادره، وأهدافه ودور بعض مؤسساتها في هذا المجال.

وتتكون هذه الدراسة من أربعة فصول رئيسة: تبدأ بإطار عام للدراسة ثم تعريف للإرهاب: أسبابه، وأنواعه، وتأثيراته في الفرد والمجتمع، وموقف الإسلام من الإرهاب، وموقف التربية الإسلامية من الإرهاب، ثم النتائج والتوصيات، ويخلص الباحث إلى عدد من المقترحات منها: إجراء دراسة تتناول دور الجامعات في المجتمع المسلم في مواجهة الإرهاب، وإجراء دراسة عن إسهام المسجد كمؤسسة تربوية في مواجهة هذه الظاهرة، وإجراء دراسة ميدانية لمعرفة الأسباب التربوية التي أدت إلى نقص الثقافة الدينية في بعض المجتمعات الإسلامية.

ياغي، إسماعيل أحمد/ الإرهاب والعنف في الفكر الصهيوني ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ١٩٨ص.

يتناول هذا الكتاب موضوعًا مهمًا وهو الصهيونية والعنف، من خلال التطرق إلى الجوانب التاريخية للفكر الصهيوني، ويؤكد المؤلف علاقة الصهيونية بالإرهاب واتخاذه أداة لتحقيق مطامعها، فعن طريق الإرهاب أقامت دولتها على أرض فلسطين العربية، وقد اتخذت الإرهاب منهجًا وفق شرائع التوراة والتلمود، ويتطرق الكتاب إلى الارتباط بين الصهيونية والاستعمار مبينًا بعض الأساليب اليهودية التي استطاعوا بواسطتها أن يسخروا الدول الاستعمارية لخدمة أهدافهم حتى وإن تعارضت مع مصالح دولهم وشعوبهم.

ويبين المؤلف كيف يتربى الناشئ اليهودي على الإرهاب والعداء للشعوب الأخرى كافة، فهو يرضع منذ صغره الكراهية والحقد للأجناس كافة، ويلقن بأن تعليم الدين اليهودي يقضي إبادة الأجناس البشرية الأخرى، وأنه لا بقاء إلا لشعب الله المختار الذي يجب أن يملك ويحكم العالم بأسره، كما يورد الكتاب بعض الوقائع التاريخية والمآسي التي عاشها الشعب الفلسطيني منذ نكبة عام ١٩٤٨م، والتي تعد شاهد إثبات على الإرهاب في الكفر الصهيوني، الذي استطاع قادته أن يقنعوا أنفسهم ومؤيديهم أن إرهابهم هو حق مشروع للدفاع عن النفس، بينما من يدافع عن نفسه وأرضه المحتلة فهو إرهابي.



السويدان، طارق/ فلسطين .. التاريخ المصور: دراسة تاريخية متسلسلة منذ بدء التاريخ حتى أحداث الساعة بالصور ـ الكويت: الإبداع الفكري، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ٤٣٠ص.

اعتمد المؤلف في هذا الكتاب على التسلسل التاريخي للأحداث وتعاقبها على مر السنين، وقد بدأ بمقدمة عن فضل الأرض المباركة والمسجد الأقصى، وقد اشتمل الكتاب على جزأين رئيسين: هما التاريخ القديم للقدس وفلسطين، وفيه بحث تاريخي من أول تاريخ معروف للقدس، حتى زمن دخول العثمانيين إلى جزيرة العرب، أما الجزء الثاني فهو التاريخ الحديث للقدس وفلسطين، وفيه بحث تاريخي للمرحلة التي تلت دخول العثمانيين حتى الوقت الحالي.

وقدّم المؤلف سرد الأمور المتعلقة بشكل أو بآخر بتطورات الأحداث على الأرض المقدسة، إضافة إلى بعض الجوانب التاريخية لأهميتها في مضمار البحث ولخطورتها ومدى تأثيرها في التاريخ والأحداث التالية.

وتأتي أهمية الكتاب من كونه مرجعًا مهمًا وملخصًا لما كتب عن تاريخ فلسطين والأرض المقدسة، واعتماده على التسلسل التاريخي من بدء التاريخ حتى أحداث الساعة، كما يدحض الكتاب مزاعم اليهود وأكاذيبهم في حقهم التاريخي بأرض فلسطين، وإثبات أن أول من سكن فلسطين هم العرب، وكشف المؤامرات والفضائح التي تجري على أرض الإسراء والمعراج على مدى التاريخ، ودُعِّم هذا الكتاب بالصور النادرة التي بلغت نحو ٥٠٠ صورة، إضافة إلى إحصائيات وأرقام مؤثرة في تاريخ الانتفاضة، وتقديم رؤية مستقبلية مبنية على الآيات والأحاديث الصحيحة.



ديلافون، جيل/ العنف في أمريكا: ديمقراطية مدججة بالسلاح، تعريب: نخلة فريفر ـ ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٥هـ، ٢٨٧ ص.

هذا الكتاب تحقيق صحفي عن الإرهاب الداخلي الذي يعيشه الأمريكيون ويحميه النظام والقانون، أعدّه جيل ديلافون كبير المحققين الصحفيين في صحيفة الأحد الفرنسية (جورنال دو ديمانش).

وقد كتب أحد كبار صحافيي نيويورك متعجبًا: «هناك حرب حقيقية في شوارع الولايات المتحدة» ويسقط قتلى بالرصاص ما يقارب ٤٥٠٠٠ شخص كل تسعة عشر شهرًا، وهو العدد نفسه الذي سقط خلال تسعة أعوام في حرب فيتنام. غير أن نزاع شبه الجزيرة الهندية الصينية كان قد صدم الضمائر وحرك الجماهير؛ في الوقت الذي يبدو فيه أن عنف الأسلحة النارية اليوم قد أصبح مألوفًا وملازمًا لطبيعة المجتمع الأمريكي.

في عام ١٩٩٢م، وفي الأيام الأولى من عملية ما يسمى «ردّ الأمل» إلى الصومال، قطعت محطة سي. إن. إن. برامجها لتنقل مباشرة عودة جثث طلائع الضحايا الأمريكية، وقد نقلت القناة مراسم دفن ١٢٠ قاصرًا، يقتلون في كل شهر في الولايات المتحدة، ويرجع المؤلف جميع هذه الجرائم إلى انتشار الأسلحة التي هي السبب في استمرار العنصرية، والتباينات الاجتماعية، وتضجر الخلية الأسرية، وإخلاص النظام التربوي، واستشراء المخدرات، وعدم فاعلية النظام القضائي، وقوة اللوبيات (جمع لوبي)، وسيادة قانون الدولار.

يتطرق المؤلف إلى مهمة قام بها مجرمون ومراهقون، تعكس واقع العنف في أمريكا، كما تناول ظاهرة انتشار السلاح، ودور اللوبيات والأسلحة في هذه الظاهرة، وعلاقة الثقافة الأمريكية بالعنف.



مذكرات غلوب باشا: حياتي في المشرق العربي، ترجمة: عبدالرحمن الشيخ ـ عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م، ٤٠١ص.

يعد غلوب باشا (أبو حنيك) واحداً من أبرز الشخصيات العسكرية والسياسية في بريطانيا. فبين عام ١٨٩٧م الذي هو عام ولادته وعام ١٩٨٦م إذ توفي في (مي فير) عن عمر ناهز الثمانية والثمانين عامًا، استطاع هذا الرجل أن يعيش حياة خصبة ومعطاء، خصوصاً في الجوانب العسكرية والسياسية والفكرية، ومن المهم أن نذكر ارتباط (غلوب باشا) الحميم بتاريخ العرب الحديث لكونه شاهدًا وقائداً للأحداث الكبرى التي مرت بها الأمة العربية خلال الحرب العالمية الأولى، وماتلاها وبالخصوص مأساة فلسطين، والدور الكبير الذي أداه الرجل بالانتصار لقضية العرب ودفاعه المستميت عن الأراضي الفلسطينية، وفضحه السياسات الصهيونية الوحشية التي ارتكبت بحق أهلنا في فلسطين على الصعيد الميداني، والسياسي، والفكري.

وكان غلوب باشا في أغلب آرائه قريباً من وجهة النظر العربية، لكنه في بعض الأحيان لايستطيع التحرر من وجهة النظر الإنجليزية الرسمية.

وتمثل مذكرات غلوب باشا جزأً حيوياً من تاريخ العراق، والأمة العربية عامة، وهي مذكرات جديرة بالقراءة والاطلاع، من قبل كل عربي للتوقف على المجهول من تاريخه المعاصر.



مجلة البحوث الفقهية المعاصرة (س١٦، ع٦٢، المحرم - صفر - ربيع الأول ١٤٢٥هـ، مارس - أبريل - مايو ٢٠٠٤م)

مجلة علمية محكمة متخصصة في الفقه الإسلامي.

تضمن هذا العدد مجموعة من البحوث التي تتناول قضايا فقهية متنوعة، أولها بحث عن «أحكام هبة الأولاد» للدكتور عبدالمحسن بن محمد المنيف، وبحث بعنوان «وقف النقدين» للدكتور عبدالله بن موسى العمار، وبيّن الدكتور عدلان بن غازي الشمراني «أثر الوفاة أو التفليس في حلول الديون المؤجلة في الفقه الإسلامي»، وكتب الدكتور عبدالرحمن بن عبدالله المخضوب عن «الشهادة في عقد النكاح».

وفي باب فتاوي الفقهاء: «يعتبر الثمن في مكان العقد وزمنه» للإمام محمد أمين الشهير بابن عابدين، و«مخالفة الموكل للوكيل» لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، و«نفقة الأولاد عليهم إن كانت لهم أموال» للإمام أبي الحسن علي بن محمد ابن حبيب الماوردي، و«القضاء على الميت والغائب وغير المكلف» للشيخ الإمام عبدالقادر ابن عمر التغلبي الشيباني الحنبلي.

وفي باب مسائل الفقه التي يتولى الإجابة عنها رئيس التحرير الدكتور عبدالرحمن النفيسة موضوعات مثل: الأسباب التي أدت إلى ضعف المسلمين في زمنهم المعاصر، وحكم التعصب لمذهب من المذاهب الفقهية، وحكم من يقوم بجمع الأموال لشراء الأنعام وذبحها عند القبور، وحكم إعطاء المال لهذا الغرض، والفحص الطبي قبل الزواج ومدى مشروعيته، والصوفية في التاريخ القديم والحديث وما يقال عنها، وضمن العدد كتب ألفاظ، ومصطلحات، ولغة الفقهاء، وختم بالرسائل الواردة للمجلة.

العنوان:

ص.ب: ١٩١٨ - الرياض: ١١٤٤١

هاتف: ٤٨٥٣٧٠٢

ناسوخ:٤٨٥٣٦٩٤

موقع المجلة على الإنترنت: www.fiqhia.com



مجلة كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية (س٢٦، ع٢٦، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣م)

مجلة دورية محكمة تصدر سنويًا عن كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة قطر.

تنوعت محتويات هذا العدد من البحوث والدراسات المختلفة، فقد تناول الدكتور أحمد محمد الصغير محمد علي «ظاهرة تعاقب الحروف في اللغة العربية: دراسة وصفية تحليلية من خلال الأمالي لـ(أبي علي الغالي)»، وقدم الدكتور حلمي خضر ساري بحثًا عن الصور النمطية للإناث في برامج الأطفال التلفازية: دراسة في سوسيولوجيا الاتصال لمحتوى مسلسل «بيت الأطفال»، وتطرق الدكتور خليل مصطفى حسن غرابية إلى التوزيع المكاني للسكان في مدينة عرعر بالمملكة

العربية السعودية.

وأرّخ الدكتور أسامة محمد أبو نحل لـ «حركات التمرد في مصر في بداية العهد العثماني (١٥١٧ـ ١٥٢٤م) والنتائج المترتبة عليها»، وكتب كل من: الدكتور حسن خميس الملخ والدكتورة سهى فتحي نعجة عن «الثقل الإعرابي بين الحقيقة الصوتية والتحليل النحوي»، وبين الدكتور هاشم العزام «أثر البعد الاجتماعي لمهمة الشعر في توجيه النقد عند ابن طباطبا: عيار الشعر نموذجًا»، وقدم الدكتور محمد محيي الدين عرضًا لكتاب «مستقبلنا ما بعد الإنساني: آثار الثورة التكنولوجية» للمفكر الأمريكي فرانسيس فوكوياما.

العنوان:

ص.ب: ٢٧١٣ ـ الدوحة ـ قطر

هاتف: ٤٨٥٢٦٤٢ ـ ٤٨٥٢٢٣٢

ناسوخ: ٤٨٣٥١٠٧



عالم الكتب (مج ٢٥، ع ٣ـ٤، ذو القعدة ـ ذو الحجة ١٤٢٤هـ/ المحرم ـ صفر ١٤٢٥هـ/ يناير ـ فبراير/ مارس ـ أبريل ٢٠٠٤م)

مجلة محكمة متخصصة في الكتاب وقضاياه تصدر عن دار ثقيف للنشر والتأليف.

احتوى هذا العدد على دراسات ومقالات متنوعة، بدأها عبدالغفور إسماعيل روزي بدراسة بعنوان: «تاريخ التأليف في القهوة: محاولة رصد لأدبيات القهوة العربية»، وكتب صالح سعيد الزاهراني عن «سياسة البلاغة عند عبدالحميد الفراهي»، وقدم مبارك بن سعد سليمان نظرة تحليلية مقارنة للمكتبات المدرسية في الدولة المتقدمة والدولة العربية، وتناول عبدالله بن سليم الرشيد موضوعًا بعنوان «العنوان في الشعر السعودي: بداياته وتياراته الإبداعية».

وفي باب المراجعات، قدم عبدالعزيز بن ناصر المانع مراجعة لكتاب «الشعر المصري في القرن السادس الهجري: ابن قلاقس» لعبدالهادي عطية، وتطرق عبدالله بن عمر الحاج إبراهيم إلى الفوائد والقواعد في النحو للثمانيني، وراجع مصطفى عراقي حسن كتاب «معاني القرآن للفراء: الجزء الثاني» تحقيق: محمد علي النجار.

وفي باب الببليوجرافيات، تناول أحمد بن عبدالقادر المهندس «العلوم الإسلامية في المراجع المعجمية العربية»، وقدم سليمان بن محمد الجار الله دراسة ببليوجرافية عن الدراسات والجهود الحديثية في المصادر الروسية، وختم العدد بالإصدارات الحديثة إعداد: نجيب بن محمد الخطيب.

العنوان:

ص.ب: ٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧ المملكة العربية السعودية.

هاتف التحرير: ٤٧٧٧٢٦٩

هاتف الإدارة: ٤٧٦٥٤٢٢

ناسوخ: ٤٧٦٣٤٣٨



المعرفة والإبداع بين القلم والحاسوب

وفاء عمر حصرمة
حلب - سورية

لا نستطيع أن نفهم الإبداع فهمًا صحيحًا إلا في إطار المعرفة الإنسانية، والمعرفة وجهان: وجه مادي تمثله العلوم الطبيعية (الفيزياء والكيمياء والطب) ووجه غير مادي (الدين والفلسفة والفنون ومنها الآداب). ولكن المعرفة لم تكن دائمًا بهذا الثراء والتنوع، بل كانت في المراحل الأولى من تطور الإنسان تعتمد إلى حد كبير على الطقوس والأساطير وأشكال التعبير الأخرى عن علاقة الإنسان مع الوجود المطلق، ومع محيطه الطبيعي والبشري، وفي تلك المراحل من التطور لم يكن من الممكن الفصل بين المعرفة والإبداع، فالمعرفة تتشكل عمومًا من علاقة الإنسان مع الوجود، لكنها لا تتشكل بمعزل عن وعي الإنسان، بل هي عمليًا نتاج علاقات هذا الوعي مع المحيط الاجتماعي، ممثلاً بالأفراد والهياكل الاجتماعية، ومن جهة أخرى فالوعي الإنساني يبني المعرفة بالتعبير عن علاقاته مع ما حوله، وهذا التعبير الذي يبني المعرفة غالبًا ما يكون تعبيرًا باللغة، والتعبير باللغة لا يبني المعرفة إلا إذا جاء بجديد، وبشرط أن يكون هذا الجديد جميلاً. فإذا جاء الجديد جميلاً فهو إبداع.

وهنالك من حاول تعريف الإبداع على أنه الإتيان بجديد، لكن مثل هذا التعريف لا يفي بالغرض، ولا يعطي الإبداع حقه، فمفهوم الجديد موجود في الإبداع الأدبي بصورة ما لكن الجديد قد يأتي في قالب أشياء تخلو من الجمال، فلا تمت إلى الإبداع بصلة؛ فالإبداع الفني عمومًا، ومنه الأدب لا يتحقق من دون الجمال؛ لأن الإبداع نتيجة لأنشطة المَلَكات الأرقى في النفس، تلك الملكات التي تميز الإنسان عن سواه من الكائنات، وتتمثل في الأحاسيس المرهفة، والعاطفة، والعقل الإنسانيين، ويحدث الإبداع بتفاعل هذه الملكات مع مادة الإبداع، أو خاصته الأولية التي هي الأشياء في وجودها المطلق، وعليه فالإتيان بجديد لا يكون إبداعًا إلا إذا كان جميلاً، ذلك لأن الإبداع الفني - عمومًا - إنما يتحقق بالإتيان بجديد جميل عبر الملكات الواعية، والإبداع الأدبي - خصوصًا من ذلك العموم - هو الإتيان بجديد جميل بواسطة التعبير اللغوي عبر تلك الملكات.

الفنون الأخرى غير الأدب تخاطب الأحاسيس والمشاعر كل منها بطبيعته الخاصة. فالموسيقى مثلاً تخاطب الأحاسيس والمشاعر بالإيقاع والنغمة، والرقص يخاطبها بالإيقاع والحركة، والرسم يخاطبها باللون والخطوط والنحت، وهكذا.

وجميع هذه المخاطبات موجهة إلى السمع أو البصر أو إليهما معًا، وإذا تحول أثر هذه الفنون إلى أفكار، فإنه لا يتحول إلاّ باللغة التي نفكر بواسطتها دون أن تخرج من داخلنا، أما الأدب فيخاطب الحس والشعور بما فيه من جمال، ويخاطب العقل بما فيه من فكر، ولهذا فإن الأدب أكثر الفنون والعلوم والمعارف تعبيرًا عن الإنسان، لأن الإنسان يحقق وجوده غير الحيواني على



مستويين من الوعي، هما مستوى العقل المجرد، ومستوى العواطف والأحاسيس والمشاعر، فالأدب يتجه إلى هذين المستويين معًا، وهو لهذا السبب كان الأداة الأكثر فاعلية في بناء المعرفة، لكن العلاقة بين المعرفة والإبداع الأدبي تلك كانت أوضح في المراحل الأولى من تطور الوعي، ففي تلك المراحل لم تكن العلوم المتطورة المعروفة اليوم مثل الفيزياء والكيمياء والرياضيات وعلوم الفضاء ونحوها بالصورة التي يعرفها الإنسان في العصر الحالي.

ولذا وجدنا في الأمم القديمة أن معرفتها الإنسانية تتركز أساسًا في الطقوس والعبادات والأساطير، وبها كان الإنسان يعبر عن همومه وهواجسه وأفراحه ومخاوفه وعن كل ما يميزه من الكائنات غير البشرية، وهذا التعبير في حقيقته وجوهره كان تعبيرًا نفسيًا، فقد ظل الإنسان يرسم ممارسات طقوسه وأشكال عباداته ومعتقداته على الصخور وجدران الكهوف، وبهذه الطريقة بدأت فنون الرسم والنحت، وتطورت حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن.

في بداياته اقتصر على الشعر تقريبًا، وبه كان الإنسان القديم يقيم طقوسه في الجانب المنطوق، كما كان هذا الإنسان يرفع بالشعر ابتهالاته وأدعيته، ويخاطب آلهته عند تقديم القرابين أو بناء المعابد والمذابح، حتى تاريخ الأقوام البدائية كان يسجل بالشعر، وتسجيل التاريخ بالشعر تطور إلى ما يعرف الآن بالملاحم، وتعرَّف الملحمة بأنها: (قصيدة روائية طويلة، شخصياتها من الأبطال وأحداثها بطولية)

ومن الأمثلة على الملاحم الكلاسيكية الشهيرة، التي ينطبق عليها هذا التعريف: الإلياذة والأوديسة المنسوبتان إلى الشاعر الإغريقي (هوميروس) وكذلك الإنيادة للشاعر الروماني (فيرجيل)

والملحمة إذن هي: إبداع شعري، لكنها كانت تؤدي الدور الذي يؤديه الآن التاريخ المكتوب؛ إذ كانت تروي أحداث التاريخ بلغة الشعر، وكان الشاعر يمزج بين ما حدث فعلاً من تاريخ قومه، وبين عواطفه تجاههم، وتزول الحدود أو تكاد بين الملحمة والسطورة.

وفي ظل تطور تقنيات الاتصال والإعلام ووسائطهما المرئية والمسموعة والمكتوبة والممغنطة والإلكترونية ينبت السؤال المهم: كيف كان، وكيف أصبح حال الإبداع في ظل هذه التطورات بين القلم بمداده ومحبرته، وبين الحاسوب بأقراصه وبرمجياته؟ وهل يمكن لهذه التقنيات والوسائط أن تضع حدودًا مرسومة يمكن حصر الإبداع فيها؟ أم أن تلك الحدود توسعت إلى درجة لا يمكن - بحال - توصيف ملامحها، أو حصر معطياتها؟ وكيف نستطيع تنمية الإبداع وتغذيته في هذا العصر؟ ونحو ذلك من الأسئلة المشروعة والمُشرَعة التي تظل حبيسة الذهن بانتظار إجابات شافية ومقنعة!